

الزواج والبيئة فى منطقة الشلاتين

جيهان حسن مصطفى

لوجو
الهيئة المربع

تعنى بنشر الدراسات المتعلقة بالفولكلور ونصوص
وسير وحكايات وملاحم الأدب الشعبي

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير

خيري شلبي

مدير التحرير

حمدى أبو جليل

سكرتير التحرير

عادل سميج

مكتبة

الدراسات الشعبية

تصدرها

الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

أمين عام النشر

سعد عبد الرحمن

الإشراف العام

جمال العسكري

الإشراف الفني

د. خالد سرور

• الزواج والبيئة

فى منطقة الشلاتين

• جيهان حسن مصطفى

• الطبعة الأولى؛

الهيئة العامة لقصور الثقافة

القاهرة - 2009 م

344 ص. 13,5 x 19,5 سم

• تصميم الغلاف: أحمد اللباد

• المراجعة اللغوية: سعاد عبد الحليم

• رقم الإيداع: ٢٩٢٦/٢٠٠٩

• الترقيم الدولي: 4-061-479-977-978

• المراسلات:

باسم / مدير التحرير

على العنوان التالي : ١٦ شارع أمين

سامي - قصر العيني

القاهرة - رقم بريدى 11561

ت : 7947891 (داخلى : 180)

• الطباعة والتنفيذ :

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت : 23904096

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة
بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.

• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن

كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

الزواج والبيئة

فى منطقة الشلاتين

المحتوى

7	- هذا الكتاب
13	- المقدمة
	* الفصل الأول:
21	- تاريخ شلاتين وجغرافيتها
	* الفصل الثاني:
51	- البيئة وأنماط النشاط الاقتصادي في الشلاتين
	* الفصل الثالث:
83	- المنطقة الثقافية والحدود السياسية
	* الباب الثاني:
99	- أشكال التفاعل بين الإنسان والبيئة
	* الفصل الأول:
101	- المدخل الثقافي للتفاعل بين الإنسان والبيئة

هذا الكتاب

فى جذور الهوية المصرية

ما أحوجنا إلى معرفة الكثير والكثير عن منطقة الشلاتين وعن جميع المناطق الحدودية البعيدة ذات الطبيعة البيئية الخاصة مثل منطقة الشلاتين على الحدود المصرية السودانية ، من المؤكد أن هذه المنطقة تسرى فى عروق أهلها وباطن أرضها أسرار مصر القديمة وكيف تكونت حضارتها على امتداد الأزمنة السحيقة ، ففى أدمغة هؤلاء الناس كما فى وجدانهم - كما فى أحشاء الأرض نفسها - بقايا مفردات عتيقة تقودنا مباشرة إلى أصول العلاقة السرية القوية بين ثقافتنا الشعبية الشائعة على ضفتى الوادى من شلاتين إلى البحر المتوسط ، وبين الثقافة الرسمية القديمة التى تأصلت عليها حضارة مصر التى لم

* الفصل الثانى :

- عادات الزواج 127

* الفصل الثالث :

- احتفالية الزواج لدى العبادة والبخارية 213

* الفصل الرابع :

- الآلات الشعبية المستخدمة فى احتفالية الزواج 249

* الفصل الخامس :

- الرقص الشعبى فى احتفالية الزواج 263

- توصيات الدراسة 283

* الملحق

- الملحق الأول : بيانات الإخباريين 291

- الملحق الثانى : قاموس مبسط للغة التبادوية 317

* ملحق الصور الفوتوغرافية 331

نعرف عنها إلى اليوم إلا أقل القليل.

ولكن طموح هذه الدراسة التي نحن بصددتها وإن كان محدودا بدراسة ميدانية عن عادات الزواج والبيئة في منطقة الشلاتين، فإنه يفتح أمام الدارسين أفقا أوسع يقوم بشأنها طموح أكثر سموقا، وقد بذلت الباحثة جيهان حسن مصطفى جهدا واضحا ملموسا في إعداد هذه الدراسة الميدانية للحصول بموجبها على إجازة الماجستير في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم الاجتماع. ونحن في هذه السلسلة نقلق من نشر الدراسات الأكاديمية الصرفة نظرا لأننا نخاطب القارئ العام ونطلب من الباحثين الذين يتقدمون إلينا بأبحاثهم أن يعيدوا صياغتها بأسلوب متخفف من ثقل المصطلحات العلمية المبهمة بالنسبة للقارئ العادي، وأن يخلصوا البحث أو الدراسة من حشد الآراء والمقولات المكررة، ومن التحاليل المتمهلة، ومن الجداول والرموز التخصصية.. إلخ، وفي الواقع قلما نجح واحد منهم في تحويل بحثه العلمي إلى كتاب مقروء جذاب، ذلك أنها عملية تقتضى موهبة الكتابة، أن يكون الباحث كاتباً في نفس الوقت و متمكناً من لغته العربية مثلما كان روادنا العظماء أمثال محمد عوض محمد وسليمان حزين وجمال حمدان وأحمد أبو زيد وغيرهم، وهذا للأسف لم يعد متوفراً في باحثينا المحدثين.

وكنا على وشك أن نعيد هذه الدراسة إلى الباحثة جيهان لتخليصها من الطابع الأكاديمي الجاف، ولكن الفاحصين الذين قرأوها وجدوا أن هذا الطابع الأكاديمي لا يعوق فهمها واستيعابها لأنه لم يكن مفرطاً في الأكاديمية من الأساس، إضافة إلى أن

أسلوب الباحثة سهل مستساغ، وكنا كذلك نريد أن تشطب الباحثة التوصيات على اعتبار أن القارئ ليس جهة اختصاص لتنفيذها، ولكننا وجدنا أنه لا بأس من الإبقاء عليها تحقيقاً للوعى بها على نطاق واسع، ولم يكن ثمة من مفر أمامنا من إقناع الباحثة بالاستغناء عن فصلين لا فائدة من ورائهما للقارئ العام لهذه السلسلة: فصل عن الإطار النظري والمنهجى للدراسة، وفصل عن رؤية نقدية للدراسات السابقة، وباختصارهما لن يتأثر سياق هذه الدراسة التي نرى بحق أنها سوف تكون مهمة وممتعة للقارئ المعنى بالدراسات الشعبية.

ولسوف يفاجأ القارئ بمعلومات غزيرة ومثيرة يتشكل منها عالم اجتماعي شديد الثراء بمفرداته وعاداته وتقاليده في المأكل والمشرب والملبس والزواج والإنجاب، إنها حياة جنوبية مختلفة تماماً عن حياتنا في الشمال حتى لتكاد تكون دولة أجنبية مع أن المتاع المكون للشخصية المصرية واحد على امتداد الوادى من شلاتين إلى البحر المتوسط. نعم إن الجواهر واحد ولكن الأشكال والأسماء والمظاهر تختلف باختلاف المناخ البيئى ومزاجه. ومن هنا تأتى أهمية مثل هذه الدراسات، إنها تساعد فى الإمساك بالجذور المشتركة للهوية المصرية، هى إذا بحث فى أعماق الهوية المصرية وفى أصولها البعيدة جداً.

نرجو أن نكون قد أفدنا، فشكراً لكم، وسلام عليكم.

خيرى شلبى

إهداء

إلى من عاشت سنوات تنتظر معي أمل
أن يخرج العمل إلى النور
تحية تقدير وعرفان بالجميل
أمي العزيزة

المقدمة

تمثل المجتمعات الحدودية إحدى المشاكل العميقة التي تحتاج إلى تضافر وتعاون بين العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية والإيكولوجية والإيكولوجية والفولكلورية، وذلك لفهم هذه المجتمعات والتعرف على الجماعات السلالية أو الهامشية التي تقطنها، وفهم الثقافة التي تعبر عن قوى التفاعل بين الإنسان والبيئة الفيزيائية أو المكانية التي تحيط به، وذلك بهدف تكيف الفرد مع بيئته واندماجه في المجتمع القومي، فمنذ بدء الخليقة والإنسان في تفاعل مع البيئة، يؤثر فيها ويتأثر بها، فعلاقة الإنسان بالبيئة وموقفه منها قضية جوهرية يتضح أثرها على مستوى محلي وقومي، فيمكن فهم هذه العلاقة من خلال النسق الإيكولوجي، وهي النظرية التي تقوم على أساس مشترك من نظرية الأنساق، والإيكولوجيا البشرية، والأنثروبولوجيا الثقافية، فالإيكولوجيا البشرية تعنى التفاعلات

المتبادلة بين العوامل الفيزيائية المحيطة والكائنات الحية، وهكذا تنظر الإيكولوجيا البشرية فى إطار الكون الشامل الذي يكون البشر جزءاً أساسياً منه، ويعتبر النسق الإيكولوجى هو النسق الوظيفى الناتج عن التفاعل بين الكائنات الحية والعوامل المحيطة^(١)، وهكذا تساعد نظرية الأنساق الإيكولوجية على توضيح قوى التفاعلات المتبادلة والمستمرة بين كل عناصر البيئة وبين الإنسان فى بيئة الشلاتين، وذلك تحت مظلة الأنثروبولوجيا الثقافية، والتي تعنى الكشف عن أصول المجتمعات والثقافات وتتبع نموها وتطورها وأدائها لوظائفها وتسهم فى الكشف عن استجابات الناس المتمثلة فى الأشكال الثقافية للمشكلات التى تطرحها البيئة المادية «الطبيعة» فى محاولات الناس والحياة والعمل معهم، فتفاعلات المجتمعات الإنسانية والتوافقات والاختلافات فى السلوك داخل المجموعة الإنسانية لاستخراج الشخصية المتميزة للثقافات المختلفة وخطوات الثبات والتغير والتطور الموجودة فيه^(٢).

إن دراسة الجماعات الهامشية ، وفهم التراث الثقافى كنتاج للتفاعلات بين الإنسان والبيئة الفيزيائية، تعكس التداخل فى نسيج الثقافة الشعبية، وتكشف أشكال التفاعل بين الإنسان والبيئة فى مدينة الشلاتين، من منظور ثقافى وسلوكى، ومن ثم فإن البيئة تمد أفرادها بالثقافة التى أساسها هذه التفاعلات الإيجابية والسلبية، لتشكل منظومة ثقافية فى سياقها الاجتماعى والثقافى.

وقد حاولت الباحثة فى دراستها التعرف على البعد التاريخى لقبائل المنطقة ، وتتبع الأصول السلالية لهذه القبائل الحدودية

الهامشية، وقد استلزم ذلك دراسة وافية لمنطقة الدراسة وحدودها السياسية والإدارية وتاريخ العلاقات المصرية السودانية، وموقف هذه القبائل الهامشية، وذلك من واقع الأحداث التاريخية والسياسية التى تصورها الكتاب والمؤلفون عن حقيقة الأوضاع التاريخية والسياسية، كما يرونها أعضاء هذه الجماعات التى تكمن أهميتها فى تشكيل الواقع، لمجتمع الشلاتين والذى فرضته الظروف الإيكولوجية على هذه الجماعة الحدودية، لذا كان من المحاور الأساسية فى الدراسة الاهتمام بالأوضاع الإيكولوجية والجغرافية والتعرف على معطيات وموارد المجتمع الحدودى ، حيث ساهمت بصورة واضحة فى تشكيل بعض عناصر التراث الشعبى، كما اهتمت الباحثة بدراسة ارتباط وتأثير البيئة فى النشاط الاقتصادية فى مجتمع الدراسة، فقد ساهمت البيئة وواقع المجتمع وإيكولوجيته واتصاله بمجتمعات الجوار، والتى ظهرت فى منظومته الاقتصادية للسلوك اليومي، ومواجهته لحتمية البيئة فى ممارستها للنشاط الاقتصادية التى تتمثل فى العديد من الأنشطة الاقتصادية الخاصة بمجتمع الشلاتين البدوى، الصحراوى الحدودى.

ولذا حاولت الدراسة أن تعكس واقع هذه الجماعات القبلية من خلال فهم ثقافة قبيلة الرشيدة التى تحكم وجودها الفيزيقي فى منطقة الدراسة شكلاً من أشكال التباين الثقافى فى وحدة جغرافية إقليمية واحدة.

وقد أسندت الباحثة باباً لدراسة أشكال التفاعل بين الثقافة والبيئة من منظور مداخل هذه المنظومة التفاعلية من مدخلين:

الثقافى، والسلوكى ، فقد اهتمت الباحثة بالمدخل الثقافى والذى يتمثل فى إشكالية التفاعل بين الإنسان والبيئة، حيث تظهر تعددية الثقافات نتيجة اتصال قبائل الدراسة، وقبائل هامشية مع مجتمعات الجوار، والتي تقوم على الجانب الآخر من الحدود الدولية وقيام علاقات اجتماعية وثقافية متبادلة على الجانبين، وما يرتبط بذلك من استعارات ثقافية ودخول بعض عناصر فى ثقافة الشلاتين مكونة ثقافة خاصة تظهر بوضوح فى الشكل الثقافى لقبائل الدراسة، فاهتمت الباحثة بعادات الزواج ونظام القرابة ، كشكل من أشكال التفاعل الدينامى لتماسك وبقاء هذه الجماعات الحدودية، وبيان إسهام النظرية البنائية الوظيفية فى الكشف عن دور النظام الاقتصادى فى الزواج، كما تساهم النظرية التفاعلية الرمزية فى تفسير هذه الاحتفالية وكذلك يرتبط الزواج ببعض عناصر التراث الشعبى، حيث إن الرمز لدى قبيلة العباددة والبشارية يمثل محورا فى السياق الثقافى والاجتماعى، كما ساهم الرمز الاعتقادى فى احتفالية الزواج والتي ترتبط بالقيمة الجمالية فضلا عن ارتباطه بالقيم النفعية، كما اتخذت الرموز أشكالا فى احتفالية الزواج، وقد استفادت الباحثة فى دراستها بنظرية المنطقة الثقافية وذلك من خلال التركيز على فهم ثقافة المجتمع المحلى الخاص بمنطقة الشلاتين التى تمثل منطقة حدودية تعبر عن جماعات إنثنوجرافية لها أصول سلالية واحدة، وتحمل موروثة شعبيا خاصا، وبذلك حاولت الباحثة الجمع ما بين دراسة الإيكولوجية والدراسة الفولكلورية فى تأثير التفاعل البيئى، واحتفالية الزواج والتي تتضمن بعض عناصر الثقافة

الشعبية، كما اهتمت الباحثة بالمدخل السلوكى على اعتبار أن السلوك رمز لهذا التفاعل بين الإنسان وبيئته، فقد رسم الاتجاه التفاعلى بين الإنسان والبيئة أشكال النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية، فقد تفسر الباحثة العديد من الممارسات السلوكية بداخل قوى التفاعل بين الإنسان والبيئة فى ضوء العلاقات الاجتماعية بداخل المنظومة الاجتماعية، والتي تتمثل فى الدور الاجتماعى وما تفرضه البيئة الإيكولوجية والثقافية لهذه الأدوار الاجتماعية فى الحياة اليومية لمجتمع الدراسة، ثم ناقشت مدى إسهام هذا الاتجاه فى فهم تأثير البيئة على بعض الممارسات السلوكية لعادات الطعام الخاصة بثقافة هذه الجماعات الهامشية، والتي تدخل فى تكوين هذا الكل الثقافى وفى توظيف نوعية الغذاء وأشكاله المرتبطة باحتفالية الزواج.

وقد رصدت الباحثة قوى الثبات والتغير بين أبعاد هذه الإشكالية ،كما اهتمت برصد الخدمات التنموية فى منطقة الدراسة، مع وضع بعض التوصيات من منظور تخطيط واع للمنطقة وتنميتها فى محاولة لدمج المجتمع المحلى فى المجتمع القومى فى ظل استراتيجية السياسة المصرية.

الهوامش

(١) حاتم عبد المنعم أحمد، دور أعضاء الأحزاب السياسية في المشاركة في العمل الاجتماعي لحماية البيئة، دراسة مقارنة، ص ١٨ - ١٩ ، فى : البيئة والمجتمع : دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية ميدانية لقضايا البيئة والمجتمع، تحرير/ محمد الجوهري وعلياء شكرى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

(٢) أحمد عبد الإله عبد الجبار، عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية بالملكة العربية السعودية، دراسة ميدانية أنثروبولوجية ، إشراف/ محمد الجوهري، جدة، (د. ن) ١٩٨٢، ص ٤، أطروحة (ماجستير) جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع.

الفصل الأول

تاريخ شلاتين وجغرافيتها

أولاً: تاريخ المنطقة فى العصور القديمة والوسيطه

فى الآونة الأخيرة قوى اتجاه يدعو إلى تشابك الثقافة المصرية مع الثقافة السودانية. وارتكز هذا الاتجاه على حقيقة المجتمع الهامشى فى تكوين ثقافة وهوية هذه الجماعات العشائرية، والتي كانت بمثابة بوتقة انصهرت فيها شتى هذه التيارات فى صياغة جديدة، ويبدأ هذا المنطلق من تناول الجذور التاريخية والملاحج الجغرافية لهذه الجماعات الهامشية محللين أصولها، وخلفياتها الحضارية وذلك على اعتبار أنها كيانات متفاعلة خلال أزمنة طويلة داخل الرقعة الجغرافية المحددة بمجتمع الدراسة.

لمنطقة الشلاتين تاريخ طويل ممتد متكامل الحلقات متصل بلا انقطاع نتج عن تراكم وترسيب حضارى متفاعل خلال عمليات التأثير والتأثر والتكيف والتأقلم، فالمنطقة الجنوبية لمصر تمثل لدى

الكثير من العلماء والمؤلفين الإقليم الشمالى للسودان، هذا بخلاف الأهالى الذين يعتبرون أنفسهم من الإقليم الشمالى للسودان، وذلك نتيجة لأنها بقعة من الأرض تتجاوز مكانيا بالإقليم الشمالى. وقد نجد أن لدينا وثائق تاريخية وأثرية تشير إلى سكان مناطق الإقليم الشمالى التى تمثلت فى العديد من هجرات القبائل العربية التى وفدت من مصر نحو السودان منذ أكثر من خمسة آلاف عام مضت، وهذه الهجرات أعطت للسودان شكله الحالى، وصحب ذلك هجرة عناصر سودانية نحو القاهرة، وانتشرت عملية التمازج والاختلاط هذه على طول المنطقة حتى جنوب الجزيرة والنيلين الأبيض والأزرق بدرجات متفاوتة، ولم يكن البحر الأحمر حاجزا، بل عبرته الأعداد الكبيرة عبر التاريخ الطويل المدون، فالتطورات السياسية أو الاجتماعية أو الحركات الدينية قد تكون داعيا آخر لتحركات واسعة^(١).

وفى فترات لاحقة عرفت منطقة السودان أو وادى النيل - والتى كان يعرفها العرب - بهذا الاسم، وهى أرض منبسطة وفدت إليها قبائل البجة والنوبة والتى نزحت إلى السودان منذ العصور القديمة، وقد التقت هذه الأجناس ، وتمازجت بالتدرج حضارات الفراعنة والنوبة والزنوج مع حضارة العرب المسلمين، وتأثرت حياة الناس بهذا اللقاء إلى حدود بعيدة، وكان أقوى هذه الآثار الأثر العربى الذى بدأ يظهر بعد دخول العرب السودان من الشمال عن طريق مصر ومن الشرق عن طريق البحر الأحمر كتجار ، وكمهاجرين ، فقد استقر العرب واشتغلوا بالرعى وأخذوا يتجولون بماشييتهم فى

أراضى السودان المنبسطة، واشتغلوا بالتجارة وبالأعمال اليدوية من غزل ونسيج، وظل العرب يختلطون ويتمازجون مع السكان الأصليين فأنثروا فى عقائدهم وتقاليدهم، وظهرت هذه الآثار قوية فى مواضع منها جوانب ضعف، وجوانب قوة^(٢). وهكذا حملت منطقة الشلاتين مسار الثقافة الخاصة التى تنتمى لبيئة خاصة.

وعلى الرغم من هذه الخصوصية فقد كان الامتزاج بين السلالات والاختلاط عنصرا قويا ومساندا للانتشار، «ولحرفة الرعى والتجوال سبب لهذا الامتزاج، فهم جماعات عشائرية يرتكز نمط حياتهم حول القطعان والعناية بها والدفاع عنها، دون التقيد بالأرض التى يعيشون فيها، ولم يكن هذا التأثير لمجرد التجاور الإقليمى، بل كان لسهولة الأرض وسهولة التنقل عبر هذا الامتزاج والاختلاط ، وظل البجة محتفظين بطابعهم العربى فكثير منهم يدينون بالإسلام الذى اختاروه فى الوقت الذى كان فيه ساحل البحر الأحمر تحت حماية المسلمين خلال القرون الثلاثة الأخيرة، ومنذ ذلك التاريخ أصبح البجة يعرفون باسم الرعاة الرحل Wandering Nomads ولا يوجد لديهم زعيم، ولكنهم ينقسمون إلى مجموعات يرأس كلاً منها شيخ، وقد أثبتت الأحداث التاريخية اتصال قبائل البجة ومنهم البشارية والعبادة بسكان وادى النيل بمصر والنوبة منذ أقدم العصور، واقتبسوا من حضارتهم وتعلموا الزراعة واستئناس الحيوان^(٣).

تاريخ المنطقة فى العصور الوسطى

كانت مدينة سواكن القديمة الميناء الرئيس لسفر الحجاج، ومن خلال الإشارات الموجودة فى بعض المراجع نجد إشارة تدل على أن

سواكن القديمة هي عيذاب ، أو أيديهاب، وهي مدينة قريبة من حلايب وتقع بينها وبين شلاتين، وهي المدينة التي يذكر أنها قد غطتها الرمال والصخور الآن، ولكن بعض البدو يعرفون بعض المداخل إليها، وقد وصف ابن بطوطة في رحلته ميناء عيذاب بأنها: «مدينة كبيرة تحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر وأهلها البجاة، وهم سود اللون، يلتحفون ملاحف صفراء، وينشرون على رعوسهم عصائب، وهم لا يورثون البنات وطعامهم ألبان الإبل، ويركبون المهارى ويسمونها الصهب، وثلاث ميناء عيذاب للملك الناصر، وثلاثها لملك البجا وهو يعرف بالحدري، وبالمدينة مسجد ينسب للقسطاني^(٤).

وذكر المقرئى عام ١٠٥٨م: «إن عيذاب مدينة تقع تحت سيطرة الإدارة المصرية، والتي كانت تأخذ ٣١٪ من عائد الميناء وكانت البجاة تنهرب من دفع الضرائب مما دفع سلطان مصر عام ١٢٣٦م لإيفاد نائب عنه ليقوم بالمدينة ليحصل الضرائب، ويترقب الأمن - وسواكن القديمة - والتي أنشأها البجا عام ٥٥٠م بالقرب من الساحل، تفرض الإتاوات التي كانت في الغالب عددا من رعوس الأغنام، وحبوبا مما تحمله الجمال، وذلك نظير قيام البجا بتوفير حماية القوافل وتزويدها ببعض المياه^(٥).

وغدت عيذاب ميناء مصر الرئيسى على البحر الأحمر منذ أواخر الدولة الفاطمية إلى أوائل دولة المماليك الثانية^(٦).

وبعد نشأة الميناء صنعوا مراكب بدائية ، وهي عبارة عن فروع نخل الدوم المربوطة بحبال التيل، وذاع صيت الميناء بعد أن أصبح

جسرا بين المنطقة والجانب الآخر من البحر الأحمر (اليمن - الجزيرة العربية - الهند) وبدأت تنتعش تجارة العبيد والتوابل ، وجلود الحيوانات وريش النعام والبخور، وزاد دخل «البجا» وازدادوا ثراء وأصبح ميناء حلايب يقع على أطراف الصحراء المصرية، وقد خضع للسلطان المصرى الذى أرسل نائبا عنه ليقوم به بهدف الإشراف على إدارة الميناء، وجباية الضرائب.

ثانياً: التاريخ الحديث والمعاصر

العلاقات المصرية السودانية ممتدة منذ عهد الفراعنة، وفي العصور الحديثة بدأت مصر والسودان تبدوان في المجال الدولى كوحدة سياسية واحدة من الفتح التركى بفضل سياسة الباب العالى، وبفضل رابطتى الدين واللغة منذ القدم، وفى ٢٥ مارس ١٨٨٢ صدر قانون الانتخاب الذى جعل السودان جزءاً لا يتجزأ من الدولة المصرية، واتضحت مظاهر وحدة الوادى فى نظام الحكم الذى وضعت مصر للسودان مما جعل البريطانيين يتأكدون بأن وحدة وادى النيل قد تؤدى إلى قيام دولة قوية على سطح أفريقيا، إلا إن تعيين غوردون حكاما للسودان منع من تأكيد هذه الوحدة، فبدأ باختيار مساعدين من جنسيات أوروبية مختلفة، كما لجأ لسياسة العنف، وتدبر احتكار تجارة العاج، وبدأ فى السيطرة على مورد الرزق الأساسى لكبار تجار السودان مما بث روح التذمر والثورة.

وفى اتفاقية عام ١٨٩٩ حرصت بريطانيا فى الاتفاقية التى عقدت بينها وبين مصر على أن تخلو نصوصها من كل مادة تنص على

اشترك مصر فى حكومة السودان، وأصبحت الحدود الفاصلة بين الدولتين خط عرض ٢٢° شمال خط الاستواء (٧).

وأطلقت الاتفاقية اسم المنطقة السودانية على جميع الأراضى الكائنة جنوب الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض، وكان من أضرار هذه الاتفاقية تقسيم أراضى بعض القبائل بين الدولتين لذلك صدرت فيما بعد قرارات إدارية لتعديل الحدود فى ثلاث مناطق هى:

١- منطقة مجرى النيل حيث وضعت تحت سيطرة السودان، وهى المنطقة التى تمتد إلى مسافة ٢٢ كم شمالا وتمر بالضفة الشرقية لنهر النيل والضفة الغربية (حيث قرية نورص).

٢- منطقة علبة حيث وضعت تحت قيادة الإدارة السودانية وهى تضم قرية حلايب.

٣- المنطقة الصحراوية وكانت تحت قيادة الإدارة المصرية وهى تضم المنطقة الجبلية فى هذه الصحراء وتقع جنوب الحدود السياسية فى منتصف المسافة بين مجرى النيل وجبل علبة. وقد ظل الأمر كذلك طول مدة الحكم الثنائى فى السودان، وكان من الطبيعى أن تكون مسألة الحدود ضمن المسائل المشتركة التى تم التباحث بشأنها من حكومتى مصر والسودان بعد استقلال السودان وخاصة بعد تطور الأزمة بين الدولتين» (٨).

وقد سارعت بريطانيا بنشر أجنتها على السودان كله، وأصبحت بفضل ضعف الحكومة المصرية وعدم عنايتها بشئون السودان تملك السيادة المطلقة على القطر كله، فقد كان للسودان منذ فجر القرن العشرين وضع خاص امتاز عن بقية الشعوب

الأفريقية، فهى أرض للحكم الثنائى لمصر وبريطانيا ، فلم تكن مستعمرة وذلك كما أكدته معاهدة ١٩٣٦ (٩) .

وفى عام ١٩٥٢ تم الاتفاق بين الحكومتين المصرية والإنجليزية على تعديل الحدود الشمالية السودانية عند وادى حلفا حيث اتجهت جنوبا عند مدينة حلايب وانحرفت شمالا، فأصبحت ميناء برّ شلاتين وهى الحدود الفاصلة بين السودان شمالا ومصر جنوبا (١٠) . وثار خلاف طويل مؤسف بين مصر والسودان على السيادة على مثلث حلايب، وذلك بمناسبة سعى الحكومة السودانية لإدخالها ضمن دوائرها الانتخابية، وأبدت حكومة السودان تشددا، فى الوقت الذى مارس فيه الرئيس عبد الناصر ضبط النفس:

وقد طلبت السودان عقد جلسة لمجلس الأمن لمناقشة الوضع على الحدود السودانية المصرية، والناجمة عن حشد قوات مصرية تتحرك نحو الحدود السودانية فتحدث مندوب مصر وأبدى أسفه للقرار المتسرع الذى اتخذته حكومة السودان لعرض هذا الخلاف الإقليمى على مجلس الأمن، كما أكد أنه ليس لدى مصر قوات قرب الحدود السودانية ما عدا حرس الحدود فقط، وقد أعرب ممثلو الدول الأعضاء فى مجلس الأمن عن أملهم فى تمكن الطرفين من تسوية النزاع سلميا عن طريق المفاوضات ، فأعلن مندوب مصر أن حكومته نشرت بيانا أعربت فيه عن عزمها على إرجاء تسوية مسألة الحدود إلى ما بعد الانتخابات السودانية، وقد تمت تصفية الخلاف بين الدولتين عندما أبرمت اتفاقية توزيع مياه النيل عام ١٩٥٩.

وكان دافع الموقف المصرى والمتساهل مرتبطا بتوقيت الانتخابات

السودانية، وكان الهدف فى الواقع مساعدة العناصر والأحزاب السودانية المويده لمصر لكسب الانتخابات فى السودان، وإضعاف العناصر المناهضة لمصر ، ولهذا كان الجانب المصرى يفضل أن يبقى الخلاف على المستوى الإقليمى العربى لتحقيق انتصار دبلوماسى بدعم موقف الأحزاب والتنظيمات السياسية والسودانية ذات التوجهات العروبية^(١١) .

ثالثا: الجغرافيا الطبيعية والبشرية للمنطقة

١- جغرافية المنطقة

الموقع

تقع منطقة شلاتين فى أقصى الجزء الجنوبى الشرقى من الصحراء الشرقية، ومساحتها ٦٠ ألف كم تقريبا، تمثل أربعة أخماس مساحة الدلتا، وتنحصر ما بين خطى عرض ٢٤، ٢٢ درجة شمالا، وخطى طول ٢٧ شرقا، ٣٠، ٣٤ غربا .

ومن أهم مدن المنطقة من الشمال إلى الجنوب (برنيس - شلاتين - أبورماد - حلايب) وتعتبر مدينة شلاتين المركز الرئيسى حيث تبعد عن حلايب بحوالى ١٨٠ كم، وعن أبو رماد بـ ١٣٥ كم، فى اتجاه الجنوب وعن برنيس ١١٠ كم، وعن مدينة الغردقة ٥٥٥ كم، وعن مرسى علم ٢٦٠ كم، فى اتجاه الشمال كما تبعد عن قنا ٦٦٠ كم، وعن مدينة إدفو ٤٨٠ كم، وعن أسوان ٣٣٠ كم^(١٢) .

وتتمتد الصحراء النوبية، أو هضبة العباددة من وادى النيل غربا، وحتى ساحل البحر الأحمر، ومن خط ٢٥ شمالا أو حتى خط عرض

٢٢ جنوبا، تأخذ شكل شبه منحرف قاعدته هى حدود مصر السياسية مع السودان بطول ٤٠٠ كم، وضلعه الأعلى يمثل الخط الواصل بين مدينة إدفو على نهر النيل، ومدينة مرسى علم على البحر بطول ٢٢٠ كم وتبلغ مساحتها عشر مساحة ج.م.ع.

وتتميز منطقة حلايب - شلاتين بموقعها الجغرافى حيث تقع على الطريق الساحلى بين مصر والسودان ، وتقترب سواحلها من السواحل اليمنية السعودية، لذلك تعتبر البوابة الجنوبية الشرقية لمصر، كما تتميز بمراعيها الشاسعة وسواحلها الممتدة وثرواتها السمكية والصدفية، وكل هذه العوامل تعطى المنطقة أهمية اقتصادية باعتبارها مركزا للتجارة فى مجال الثروة الحيوانية والسمكية والسياحية والتعدينية، والصحراء الشرقية غنية بثرواتها المعدنية سواء فى باطن الأرض أو فى القمم الجبلية، ومنها الذهب ، والحديد، والنحاس ، والقصدير، والفوسفات ، والمايكا، والسلك، والرخام، فإن هذه المعادن إذا أحسن استغلالها بطريقة علمية فيمكن أن تمد بالنفع والفوائد العظيمة القطر بأسره^(١٣) .

المناخ

يسود المنطقة مناخ صحراوى مدارى جاف صيفاً يميل إلى البرودة شتاء، وتهب على المنطقة رياح شمالية غربية جافة، وكذلك الرياح الجنوبية الشرقية الرطبة، وتقع المنطقة فى حزام التجمع بين المدارى ، وهو النطاق الذى يسقط فيه المطر ويتحرك التجمع بين المدارى مع رحلة الشمس السنوية من الشمال إلى الجنوب ثم الشمال مرة أخرى، ولهذا فإن منطقة الدراسة بها فصلان للأمطار،

أولهما قبل شهرى مارس ومايو، والثانى فى شهرى أكتوبر ونوفمبر^(١٤). وكمية الأمطار فى منطقة المثلث تكون أغزر من مثيلتها حيث نجد ارتفاع قمم الجبال فى غربها، وأيضا لقربها من البحر وإن كان هناك تفاوت فى كمية الأمطار من سنة إلى أخرى، إلا أن هذه الشهور أكثر غزارة فى الأمطار وتعتمد الصحراء بصفة عامة على الأمطار التى تسقط على سلاسل جبال البحر الأحمر التى تنساب فى بعض الفصول على هيئة سيول فى الرمال والحصى ، وقد تتجمع هذه المياه إذا اعترض سيرها سد بطيء فيؤدى إلى تجمعها ، ومن هنا تتكون بعد سقوط الأمطار خزانات مياه طبيعية يعتمد عليها سكان المنطقة إلى جانب بعض الآبار.

وتتراوح درجة الحرارة فى المثلث ما بين ٢٤ ، ٢٥ درجة مئوية وتختلف درجة الرطوبة النسبية على مدار العام، إذ تتراوح ما بين ٣٠٪ ، ٧٠٪ تبلغ أدناها من شهر أبريل إلى سبتمبر بينما تبلغ أقصاها من خلال أشهر الشتاء (أكتوبر - مارس)^(١٥) .

أودية المنطقة

ومن أهم الأودية التى تتصل بالنيل وادى العلاقى، ووادى خريط ، ووادى شعيت، ووادى عباد، ووادى الحمامات، أما الأودية التى تتصل بالبحر، فمنها وادى الجمال، وادى الحمر، وادى القصير، والصخور النارية هى أكثر أنواع الصخور انتشارا فى الهضبة الجنوبية، وصخور الجرانيت هى أكثر الأنواع النارية، أما الصخور الرملية فتغطى سطح الهضبة الجنوبية^(١٦).

موارد المياه

إلى جانب مياه الأمطار توجد بعض الآبار الغنية بالمياه الصالحة للشرب مثل آبار السنطة، وعمرى ، وديت، وبيضة، (بجوار الشلاتين على بعد ٦٠ كم من جبل بيضه)، وبئر الشلاتين (مياه مرة تصلح لشرب الإبل) ، والمرات ، وأحمير، وأنفاث، الأمريت، وبئر الإنجليز بالإضافة إلى ينابيع الماء العذب التى تنبثق انبثاقا طبيعيا من باطن الأرض مثل الآبار من أبرق، أبو سعف، بئر الشاذلى، وبئر أولديب (هذا البئر موجود بين أبو رماد وشلاتين، ومياهه مالحة تصلح لشرب الإبل)^(١٧) . وهذه الآبار مقسمة بين القبائل المختلفة، والمسجلة فى وثائق يحفظها ناظر القبيلة، وقد يستخدمون الآبار كمعالم طبيعية مثل موطن القبائل.

الثروة الغابية

لاشك أن الثروة الغابية إذا توفرت فى منطقة ما، فإن أثرها سيكون واضحا على الدخل القومى، والانتعاش الاقتصادى ، ولهذا فإن منطقة حلايب من هذه المناطق، إلا أن التخطيط غير منتظم ، حيث تقع الأشجار (أخشابها للحريق) أو لعمل الفحم من غير توجيه منتظم أو ترشيد لاستغلالها، (أشهر هذه الغابات مرسى شنعب، غابة محمد قول) وتبلغ مساحة كل غابة منها عشرة آلاف متر، هذا إلى جانب ثرواتها من الأخشاب الطبيعية المختلفة من هذه الغابات^(١٨).

الثروة السمكية

تقع منطقة حلايب بأسرها على ساحل البحر الأحمر الغنى

بالثروة السمكية ، ومن أشهر أماكن توافر الأسماك فى شواطئ حلايب، محمد قول ، دنقتاب ، مما يساعد على توافر الأسماك الجيدة للشاطئ المرجانى، وتوفر الخلجان - التى تمتد حتى حدود مصر - مما ينتج عنه حركات ودوامات مائية كثيرة فى المنطقة الساحلية، وبذلك تتميز بعدم خطورتها على عمليات الصيد^(١٩). فهناك بعض المؤشرات التى تدل على إمكانية الحصول على إنتاج سمكى أوفر على الرغم من أن وسائل الصيد فى المنطقة لازالت بدائية حيث يتم الصيد بالشباك القديمة التقليدية، والقوارب الشراعية المزودة بالماكينات.

الملامح والخصائص السكانية

باستعراض حجم السكان لمنطقة الشلاتين تبين أن عدد السكان بلغ ٢٧٣ نسمة فقط فى تعداد سنة ١٩٧٦، ثم ارتفع إلى ١٠٠٠ نسمة فى تعداد ١٩٨٦، ثم إلى ٩٠٥ ألف نسمة عام ١٩٩١، ثم ارتفع إلى ١١,٦ ألف نسمة عام ١٩٩٣، مما يعنى أن عدد السكان قد تضاعف بمقدار ٤٢,٥ مرة خلال عشرين عاما، وبلغ معدل النمو السائد بالمنطقة ٦٪ سنويا خلال الفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٨٦ ، ثم ارتفع المعدل إلى ٩٪ سنويا خلال الفترة من ١٩٩١/ ١٩٩٣. وكان تقسيم المنطقة يسمى بالمنطقة الجنوبية الشرقية قبل عام ١٩٩١، كما تم تقسيمها إلى مناطق وتضم قسم الشلاتين وهو يضم مدينة الشلاتين وتجمعات بدوية، وقسم أبو رماد ويضم قرية أبو رماد وقرية حلايب وتجمعات بدوية، واشتهرت منطقة الدراسة باسم منطقة حلايب على الجانب المصرى والسودانى، كما اشتهرت إعلاميا بهذا

الاسم ثم أطلق عليها مدينة الشلاتين لعام ١٩٩١»^(٢٠).

ولما كان من الصعب أن يتم إحصاء دقيق فى المجتمعات الصحراوية خاصة إذا كان الترحال سمة تغلب عليها ، فقد قام الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء عند قيامه بمشروع التنمية الاجتماعية بمحافظة البحر الأحمر بإحصاء سكان المنطقة فى عام ١٩٩٣ وقدره بحوالى ١٣ ألف نسمة، ويمثل البشارية ٧٠٪ ويمثل العبادية نسبة ٢٠٪ أما الرشيدة فعددهم لا يتجاوز الـ ١٠٪ وفى عام ١٩٩٧ كان إجمالى سكان المنطقة بالمثلث ١٣٤١٨ موزعين هكذا: ٧٧٣٦ نسمة فى الشلاتين ، وفى حلايب ٣٩٠٠ نسمة، وفى أبو رماد ١٠٢٩، ومرسى حمير ٣١٠ نسمة، ورأس حداربة ٢٣١ نسمة، وفى أبرق ٢٣٠ نسمة^(٢١).

ولقد تم تقدير السكان حتى عام ٢٠١٦ وكانت النتائج أنه سيبلغ تعداد المنطقة حوالى ١٧٥٨٦ نسمة فى ٢٠٠٦، وسيصل إلى ٢٣٩٧٣ نسمة عام ٢٠١٦، وذلك باستعراض كل من الزيادة الطبيعية، وصافى الهجرة لكل منهما لكونهما العنصرين الرئيسيين المؤثرين سلبا وإيجابا على نمو حجم السكان وتأثير حركة الاتصال من السكان الأصليين والمهاجرين على حركة التنمية.

بلغ معدل المواليد ٣٨ فى الألف عام ١٩٧٦، وارتفع إلى ٥٠ فى الألف عام ١٩٨٢، وانخفض إلى ٢٤ فى الألف عام ١٩٨٨، ثم انخفض مرة أخرى إلى ٢٨ فى الألف عام ١٩٩٠، وتشير الإحصاءات أن معدل الوفيات يرتفع عن مثيله على مستوى محافظة البحر الأحمر ، فبلغت النسبة ٦,٥ فى الألف خلال الفترة ما بين

١٩٧٦ إلى ١٩٩٠ (٢٢).

ويدل معدل النمو السكاني الكبير على أن منطقة الحدود، منطقة جذب لتحقيق فرصة عمل تشهدها المنطقة، تفد إليها من محافظات الوادى وخاصة أسوان وقنا.

٢ - قبائل المنطقة

كان نسب قبائل البجا نظاماً أمومياً قبل دخولها الإسلام ثم تحول هذا إلى النظام الأبوى، بعدها عرفت قبائلهم بأسمائها العربية المعروفة (البشارية - العبادية - الهدندوة - الأمرار - بنى عامر) ومعظم تلك الفروع لازالت تقطن الصحراء، وتتكلم اللسان البجاوى ، فيما عدا العبادية الذين يتحدثون العربية ، وربما يرجع ذلك إلى سيطرتهم السابقة على ميناء عيذاب، والذي كان الميناء الرئيس لسفر الحجاج ، أما باقى قبائل «البجا» فإن لغتهم حامية الأصل، وهى المسماة التبادوى أو بداوىت، ويستثنى من هذا معظم العشائر الجنوبية من بنى عامر ومن يجاورهم من الجماعات القليلة التى تتكلم لغة (تجرة) وهى لغة سامية منتشرة فى «إريتريا» وبلاد الحبشة، وإن كان بعضهم يتكلم اللغة التبادوية، ومعظم قبائل «البجا» يعرفون العربية إلى جانب اللغة الأصلية، وهى أثر من آثار النفوذ العربى الذى دخل فى عهد متأخر نسبياً إلى أوطانهم (٢٣).

التوزيع القبلى وتفرعات القبائل وأقسامها

تسكن المنطقة قبائل العبادية والبشارية، وهما فرعان من قبيلة «البجا» التى عاشت فى الصحراء الشرقية الممتدة بطول ساحل البحر الأحمر من مصر والسودان وأثيوبيا وتشمل هذه القبيلة ستة

فروع وهى : «الهدندوه - الأمرار - الحلانقة - بنى عامر - العبادية - البشارية» وتوجد كل فروع قبيلة البجا بالسودان فيما عدا «البشارية والعبادية» المنقسمين بين مصر والسودان وإريتريا.

وقد تضاربت الآراء حول كون العبادية فرعاً من قبيلة البجة (٢٤) . فمنها من ذكر العبادية ضمن قبلية البجا، أما من خالف ذلك فهما: محمد عوض محمد، ومصطفى محمد مسعد حيث لم يدرج الاثنان العبادية ضمن التقسيم، وذكر أن فى هذه البيئية، تعيش جماعات البجة منذ عصور عديدة وقد نظموا حياتهم على المنوال الذى تفرضه خصائصها الطبيعية، فأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منها، وأن البجة ينقسمون إلى أربع قبائل (البشاريون شمالاً، ويليهم من الجنوب الأمرار، ثم الهدندوة وأخيراً نجد إلى الجنوب الشرقى جماعة بنى عامر) (٢٥). أما ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية من أن العبادية والشكرية من قبائل البجة أيضاً فليس صحيحاً، لأن هذه القبائل عربية نزحت إلى السودان بعد انتشار الإسلام وليس لها علاقة بالبجة من حيث اللغة أو التاريخ. وينقسم البجا إلى خمس قبائل هى الهدندوة والأمرار والبشاريين والبنى عامر والحلانقة (٢٦). وكل ما فى الأمر أنهم جاؤوا البجة بعد هجرتهم من الجزيرة العربية، ومازال أصل العبادية مثار جدل حيث يصعب القطع فيه برأى حاسم.

أولاً : البشارية

تضم قبيلة البشارية فرعين، أحدهما: يدعى بشارية أم على، والثانى يسمى بشارية أم ناجى، وتنتشر بينهم حكاية (أسطورة)

تقول، إن جدهم الأكبر كوكا كان فى الأصل حجرا انحدر من جبل علبة، وتحول لبشر، وكان له زوجة تدعى (كوكا) وقد اختطفها الرومان وفروا بها إلى الساحل لبيعها، ولكنها تمكنت من الهرب إلى مغارة فى جبل علبة، فانهارت عليها ولفظت أنفاسها الأخيرة بعد أن وضعت ولدها «أنوكا» وكبر طفلها وتزوج من امرأتين، إحداهما تسمى «أترانا» والأخرى تدعى «أسوانا» ومن نسلهما كانت قبائل البشارية، أما الجد الأكبر «كوكا» فقد حزن على فقدان زوجته، وعاد مرة أخرى إلى جبل علبة فى شكله وطبيعته الحجرية الأولى بعد أن وعد نسله بأن يظل باقيا لحمايتهم من الشرور^(٢٧).

ويقول البعض إن اسمهم مأخوذ من أحد أمرائهم وهو بشرى بن مروان الذى تنتسب إليه قبائل البشارية والكنوز من ربيعة، وهى من القبائل التى اندمجت مع قبائل «البجا» ويقال أيضا إنهم ينتسبون إلى جدهم بشار بن كاهل ويرجع نسبه إلى قبيلة الكواهلة التى تنحدر من نسب الزبير بن العوام، وقد تزوج بشار امرأتين من البجا، إحداهما أم ناجى والأخرى أم على، وهكذا سنجد تبريرا للتسمية السابقة التى قسمت قبيلة البشارية إلى فرعين، هما بشارية أم ناجى، بشارية أم على، وتتفرع من هذه القبيلة بطون كثيرة، منها العلياب - العميراب - الهمدوراب - الشنتيراب. ويتمسك البشارية بنسبهم إلى عبد الله بن الزبير بن العوام الذى ينتسب إلى جدهم كاهل (جد قبيلة الكواهلة، وهى قبيلة عربية تقطن كردفان بالسودان) ويقال إن كاهل أنجب ثلاثة عشر ولدا، أحدهم اسمه بشار وهو جد البشاريين، وتنتشر هذه القبائل بين مصر والسودان فى ثلاث غرق:

الأولى تمتد من القصير حتى سواكن، الثانية تعيش على نهر عطبرة بالسودان، والثالثة تقطن جزيرة عتباى، وأهم بطون البشارية التى تعيش فى مصر: الحمدوراب، الشنتيراب. ويذكر تقرير إثنولوجى أن إجمالى تعداد البشاريين فى السودان بلغ حوالى ١٥٠,٠٠٠ فى عام ١٩٩٢، ويسكنون الشمال الشرقى للسودان على طول البحر الأحمر، ويقطنون المنطقة الحدودية إلى إريتريا^(٢٨).

ثانيا: العبادية

ينتسب العبادية إلى جدهم عباد الثالث المدفون بوادى عبادى بقنا، وهم يرجعون نسبه إلى الزبير بن العوام، وينقسم العبادية إلى عدة بطون تنقسم بدورها إلى عدة عشائر رحل، كالاتى:

أ - الشناطير: العبوديون، ويرجعون نسبهم إلى عبود بن عباد الثالث.

ب - المليكاب: والفقراء، والكارمة، وهم ينتسبون إلى عبد الله الفقى.

ج - العشباب: وهم من نسل عشباب بن عبد الله بن عباد الثالث. ومعظم فروع العبادية تنتهى أسماؤها غالبا بكلمة (آب) ومعناها بالجاوية أبناء، أو أولاد، فالعشباب هم أبناء عشباب وأقسامهم كالاتى (عشباب، وعبادة، وهم منتشرون بين قنا وكورسكو، ومركز شيخهم مدينة أسوان، ولهم آبار شهيرة منها: (أحمير - أنفات - أبرق) وأهم فروع عشباب هى:

(١) المحمد وراب: وعائلاته ومنها الفراجاب - الشويماب - عمر اناب.

(٢) الجامعاب: وعائلاته ومنها أيدريجاراب - أميراب - بلالاب.

(٣) الكريجاب: وعائلاته وهم صيادو الأسماك بالحرا ب بدلاً من

الشباك.

عرب العباددة: امتدت أصولهم جنوب النيل فى أسوان إلى البحر الأحمر وتصل فى اتجاه الشمال إلى طريق السودان، ويحتلون الحدود الجنوبية لمصر شرق النيل، ويسمون أنفسهم أبناء الصحراء^(٢٩).

وكان الجغرافيون يطلقون على العباددة اسم (البليمين) وموقعهم فى أيام الرومان هو نفس الموقع الآن (فهم يسكنون صحراء مثلث حلايب وشلاتين) وفى العصور المتوسطة عرفوا بأنهم البجاي، فهم ذوو أصول بجاوية ويصاحبون الحجاج من وادى النيل إلى أيديهاب (حلايب) ثم ميناء الارتحال إلى جدة، وقديما كانوا يعملون كمرشدين، وأدلاء للطرق وإلى الكهوف خلال الصحراء النوبية، فهم يسكنون أعالي وادى النيل وصولاً إلى سنار.

واليوم التحق العديد منهم للعمل بالخدمات الحكومية فى التلغراف أو السنترال الخاص بمدينة شلاتين، وتزوجوا من النوبيين، إلا إنهم مازالوا يملكون المهارات الفائقة فى التجارة، فأصبحوا الآن أكثر احتكاكا وتفاعلا مع العالم الخارجى، والمجتمعات المجاورة^(٣٠). وفى حقيقة الأمر نجد هذه الجماعات متمسكة بالزواج الداخلى فمازالوا يتزوجون من نفس القبيلة ضمنا لنقاء السلالة.

أما من الناحية البيولوجية، فإن أبناء قبائل العباددة يتسمون بالطول، وبشترتهم أكثر سوادا من البشارية، وملامحهم أكثر حدة،

وهم مستقيمو الأنف وذوو شعر كثيف، وليسوا أقوياء، وشخصيتهم تتسم بالوفاء وعدم الغدر، وشرفاء ولديهم كرامة وعزة نفس على الرغم من أنهم فقراء، إلا أنهم لا يسألون الناس، وهم الآن فى طريقهم لتحسين الحالة الاقتصادية عن طريق التجارة والبيع والشراء (الفحم الأبيض) أو تجارة البخور، وبعض السلع الغذائية، وهم يعيشون فى بيوتهم المفروشة بالبرش التي تصنع من المواد الخام المتاحة فى البيئة، كأنها كهوف طبيعية ويستخدمون قضاقيص الصوف ليفرشوه على الأرض كأثاث بسيط لهم، ويستخدمون الجمال لحمل العبء الثقيل، أو ركوبها، أوفى التجارة، ويعيشون على اللبن والعصيدة ويأكلون لحم الغنم وتسمى (السلات) وأكلتهم المفضلة (العصيدة) المكونة من الدقيق والماء، ويتسم تراثهم الشعبى بالثراء.

ومن الجدير بالذكر أن معظم فروع العباددة نزحوا لوادى النيل واندمجوا بين سكانه، ما عدا قبيلة العشباب التي تقطن الصحراء الشرقية ابتداء من الخط الواصل بين قنا والقصير وحتى آخر السودان، ويتوزعون كما يلى:

أ - مليكاب العباددة وتنقسم إلى : ١- بدرياب ٢- مليكاب

٣- سعد حميراب ٤- يوسف باب

ويقيمون غالبا بين بلدة دراو بأسوان، وبربر فى السودان، وتسمى أبارهم (المرات) ومركزهم فى بلدة دراو بأسوان.

ب - مليكاب (فقراء) العباددة: متفرقون فى شرقي النيل بين قنا بمصر، وكورسكو بالسودان ومركز شياختهم بلدة الرمادى قرب إدفو.

ج - العبوديون الشناطير: متفرقون شرقى النيل بين قنا، وكورسكو ومركز شياختهم بلدة السيالة النوبية وإدفو^(٣١).

وعلى الرغم من أن معظم قبائل العباددة تقطن الصحراء الشرقية ويعيشون فى مرسى علم، والشاذلى، وحفافين، وأبو غصون، والحلجان، وأبرق، والبوابة، والحمير، وبرنيس، ورأس بناس، ويفصلهم عن قبائل المعازة شمالاً خط عرض يمتد على النيل إلى بلدة (الشلاتين - الغردقة) على البحر الأحمر، وجنوباً حتى حدود السودان، إلا أن بعضهم يسكن بالقرب من شواطئ النيل على مقربة من قنا، بل إن بعضهم يقطن بعض محافظات الوجه البحرى، مثل (الشرقية، والدقهلية، والغربية) ويقال: إن هؤلاء انفصلوا عن القبائل الأصلية عام ١٥١٩ م عقب غزو الأتراك لمصر^(٣٢).

وعلى الرغم من أن نسبتهم أقل بكثير من البشارية إلا أنهم فى حقيقة الأمر قد لعبوا دوراً رئيساً فى خدمة الإدارة المصرية بالسودان وكان هذا الدور مهماً لعدة عوامل.

الأول: أن العباددة تركزوا فى منطقة بربر التى تعتبر حلقة وصل بين مصر والسودان من جهة، وبين السودان وشرقه من ناحية أخرى، حيث يبدأ من بربر طريق يصلها بالبحر الأحمر، وهذا الموقع الاستراتيجى أتاح لبربر أن تكون محطة تموين، ومركز لحشد معدات الحرب.

الثانى: أن العباددة من خلال موقعهم الاستراتيجى الوسيط بين مصر والسودان كانوا هداة للقوافل، فقد لعبوا هذا الدور باقتدار شديد، وكانوا أشبه بترمومتر لقياس مدى ازدهار وكساد التجارة

بين مصر والسودان.

الثالث: أن معظم الأحداث المهمة التى ارتبطت بتاريخ العلاقات بين مصر والسودان أظهرت خطورة دور العباددة ومساهماتهم فى هذا الدور، حيث تمثل ذلك عند ضم السودان على يد إسماعيل كامل بن محمد على وإمدادهم له فى هذه الحملة بالإبل والرجال، وكذلك دورهم فى إحداث الثورة المهدية، حيث كان زعيمهم حسين باشا خليفة يدين بالولاء للإدارة المصرية وقد نالوا هزيمتهم فى بربر على يد رجال المهدي.

الرابع: جاءت أهمية هذا الدور الذى لعبه العباددة باقتدار لأنهم كانوا موزعين بين أرجاء مصر والسودان، وكانوا شديدي المعرفة بسيكولوجية الطرفين، وبذلك يعتبر العباددة مفتاحاً للشخصية السودانية والمصرية، إذ إنه من الثابت والمؤيد بالقرائن التاريخية والطبيعية أنهم من سلالة غير سلالة السود، وأنهم من أقدم شعوب أفريقيا بعد السود، ولم ينشأوا فيها بل هاجروا من آسيا عن طريق مصر والبحر الأحمر منذ عهد بعيد، أما ملامحهم وعاداتهم وأخلاقهم فجميعها عربية^(٣٣).

وكانوا إضافة لذلك عاملاً مهماً للتقارب بين الشعبين المصرى والسودانى، فالعباددة من خلال مصالحهم التجارية ومصاهراتهم للسودانيين ووجود عائلات مشتركة بين مصر والسودان على طول التاريخ، قد تمكنوا من لعب دور مهم لإيجاد لغة الحوار المشتركة.

ثالثاً: الرشيدة

من خلال الدراسة الميدانية لمدينة الشلاتين وبجانب دراستنا

لقبيلة العباددة، والبشارية، وجدنا أن هناك قبيلة أخرى غير العباددة والبشارية تسكن المنطقة وهى «قبيلة الزبيدية» وغالبا ما يطلقون على أبناء هذه القبيلة اسم الرشايدة وهى من القبائل العربية التى هاجرت من السعودية فى القرن التاسع عشر بعد سقوط أسرة آل رشيد وتولى آل سعود الحكم، ويرجع البعض نسبهم إلى هارون الرشيد وزوجته زبيدة لذلك يسمونهم أحيانا بالزبايدة، والملاحظ أن هذه القبيلة لم تختلط بالجنس الأفريقى مما جعلهم يحتفظون بالسمات الوراثية المختلفة من حيث لون البشرة والشعر ولون الشفتين وغيره من الصفات المميزة للجنس غير الأفريقى، وتمثل الزبايدة حوالى ١٠٪ من إجمالى سكان المنطقة.

وتنقسم القبيلة إلى ثلاثة فروع كبيرة وهى:

(زبيد - مريعص - برطيخ) ويضم كل فرع منها عدة قبائل، وهم يسمون بالرشايدة، وأحيانا بالزبايدة، أو بالزبيديين ، وقد كان هذا الاسم سبباً فى نشوب حرب بينهم وبين القبائل الأخرى، مما تنطوى عليها تلك التسمية من معنى التحقير والإذلال، فالزبايدة تعنى انتسابهم إلى زبيدة .(ومن شدة كراهيتهم لهذا الاسم فقد نص قانونهم العرفى على تغريم أى رشيدى جملاً إذا ما لى نداء أى إنسان يناديه بكلمة زبيدى) وقد هاجر الرشايدة إلى السودان عبر ميناء سواكن، وعاشوا قرنين من الزمان فى حروب مستمرة مع قبائل البجا وأصحاب الأرض فى شرق السودان حتى تمكنوا فى النهاية من استقطاع جزء من أرض الهدنوده واستقروا بها، ولأنهم اغتصبوا الأرض بالقوة فقد حرموا من تعيين رئيس لهم يمثلهم أمام

الحكومة، والذى يسمونه «ناظرا» ولذلك فهم خاضعون لناظر قبيلة «الهدنوده»^(٣٤). والرشايدة هى جماعة رعوية من العرب المهاجرين خلال القرن العشرين ، ليس لهم علاقة بالبجة.

ويوجد فى الجزء السودانى من الصحراء الشرقية جماعة أخرى تسمى «المعازة» والتى يعيش أفرادها فى منطقة شمال العباددة، وقد انتزعت المعازة أرض العباددة واستقرت فى الجزء الشمالى من تلال البحر الأحمر، فى حين لم يكن هناك أرض يملكها ويعيش فيها الرشايدة^(٣٥).

نظرة تاريخية لديانا المنطقة

كانت ديانة البجا قبل دخول الإسلام والمسيحية إلى بلاد النوبة خليطاً من الديانة المصرية القديمة، واليونانية، والمروية، فقد عبدوا إيزيس وأوزوريس ، وكانوا يذهبون كل عام إلى معبد فيلة، أو يرجعون للصحراء حاملين تمثال إيزيس ليجلب الخير لهم: ومع انتشار عبادة إله الشمس فى حضارة هليوبوليس القديمة، تأثر بها البجة وعبدوا إله الشمس ، وكان من عاداتهم تقديم القرابين من البشر لهذا الإله^(٣٦) . وبعد فتح مصر عام ٦٣٩م بأربع سنوات بدأ الإسلام يغزو المملكة النوبية، ولم يكن البجة الأقدمون مسلمين خالصين، ولكنهم كانوا خليطاً بين الإسلام وعاداتهم القديمة الوثنية، والتى تظهر بوضوح فى صلاتهم، وكأنها روتين لأبعد الحدود وغير مفهومة بالنسبة لهم، أما المسيحية فى القرن الخامس عشر الميلادى، فقد كانت مركزها مملكة أكسيوم المسيحية فى جنوب إريتريا ، أما موقف البجا من الديانة المسيحية فالمعروف أنهم وقفوا منها موقفاً

عدائيا، إلا أن الأنبا شنودة لم يفقد الأمل، وفي منتصف نفس القرن، قدم لهم ما يتييسر أملا في اجتذابهم إلى صفوف المسيحيين.

والمنطقة بدأت في جذب المتصوفين في شتى الأديان ، فقد سكنها الأنبا بولا وله دير في وادي الحمامات، أما الأنبا أنطونيس ، فقد أقام بجبل سيجة غرب الشلاتين، وفي صحراء عيذاب سكن سيدي أبوالحسن الشاذلي الذي يعد من أشهر الأولياء الصالحين، فاعتادت قبائل العباددة والبشارية زيارته وتقديم النذور والهدايا ونسب الكرامات إليه، وكان ميناء حلايب (سواكن القديمة) منطلقا للأفارقة إلى بيت الله الحرام^(٣٧).

ومن الثابت الآن أن هذه الجماعة قد اعتنقت الإسلام، وذلك لبساطة التعاليم الدينية وسهولة وصولها للأذهان والقلوب، وأصبح يشكل الجزء المهم من معتقداتهم، وأخذت الخلاوى تنتشر لتعليم القرآن والفقه والدين الإسلامي الصحيح.

الهوامش

- (١) يوسف فضل: المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٣، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٢.
- (٢) حجة كاشف البدرى : الحركة النسائية في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٣، ص ١١١.
- (٣) محمد عوض محمد، السودان الشمالى سكانه، وقبائله، ط١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١، ص ٣١.
- (٤) رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت ، ١٩٦٨، ص ٤٧: ص ٤٩.
- (٥) نادية بدوى: يوميات باحثة مصرية في حلايب، دار الهلال، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ص ١٥٠.
- (٦) مصطفى محمد مسعد: البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، العدد ٢، مجلد ٢١ ديسمبر ١٩٥٩، ص ٤٣.
- (٧) أحمد ناصر الحبشى، مشاكل الحدود في العالم العربى، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩١، ص ٥٢.
- (٨) بطرس بطرس غالى: دراسة في الدبلوماسية العربية، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٣، ص ١٨٢.
- (٩) أحمد ناصر الحبشى: مشاكل الحدود في العالم العربى، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٨.
- (١٠) إحسان إسماعيل محمد عثمان، منطقة حلايب بشرق السودان مرجع سبق ذكره، ص ٣، ٤.
- (١١) أحمد ناصر حبشى: مشاكل الحدود في العالم العربى، مرجع سبق ذكره، ص ٦٠.
- (١٢) محمد وفاء عبد الحميد، محاضرات قدمت خلال الدورة التدريبية في ١٨/١٢/١٩٩٤.
- (١٣) محمد وفاء عبد الحميد، مرجع سبق ذكره.

(١٤) يوسف محمد بيومي: التخطيط الإقليمي كأسلوب لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر، القاهرة، معهد التخطيط القومي، مركز التخطيط الإقليمي للدراسات والبحوث، ٢٠٠٠، ص ١٨، ١٩.

(١٥) محمد رياض، العبادة دراسة في الاقتصاد الصحراوي، مجلة الجمعية المصرية الجغرافية، محاضرة أُلقيت بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦١، ص ١٠٤.

(١٦) يوسف محمد بيومي: التخطيط الإقليمي كأسلوب لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

(١٧) إخباريون من الرعاة في منطقة الشلاتين.

(١٨) إحسان إسماعيل، محمد عثمان، منطقة حلايب بشرق السودان، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠ - ٣٣.

(١٩) انظر إخباري رقم (٣) في منطقة مرسى الشلاتين.

(٢٠) حصر القوات المسلحة، بيانات من جهاز شئون القبائل بمدينة شلاتين.

(٢١) يوسف محمد بيومي، التخطيط الإقليمي كأسلوب لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر، معهد التخطيط القومي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠.

(٢٢) يوسف محمد بيومي، التخطيط الإقليمي لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر، معهد التخطيط القومي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣١، ٣٢.

(٢٣) مجلة بداويت «شعب، ولغة (نمط الحياة)» جمعية الثقافة البجاوية، العدد الثالث، ١٩٩٨، ص ٦.

(24) Ababda Article from Wikipedia, the free encyclopedia , last edited 25 January 2002, p. 1.2. <http://en.wikipedia.org/wiki/Ababda>.

(٢٥) مصطفى محمد سعد: البجة والعرب في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢٦) من شبكة الإنترنت:

<http://www.aljazirah.com.sa/magazine/28102003> graibalsh9.htm

مجلة الجزيرة، خالد سيف الدين، البجا في شرق السودان، غموض التاريخ وبؤس الحال، العدد ٥٦، الثلاثاء ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٣.

(٢٧) نادية بدوى، باحثة مصرية في حلايب، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

(٢٨) من شبكة الإنترنت:

Ethnology report for language of the world code: BEI Copy-right 2002Kp.3.

(٢٩) بدر إبراهيم عبد الباري، التنمية البيئية لجنوب مصر، دراسة خاصة عن الجنوب الشرقي لحلايب، معهد الدراسات والبحوث البيئية، عين شمس، ١٩٩٦، ص ٦١ - ٦٢.

(30) Ababda: Article from Wikipedia, the free encyclopedia, last edited 25 january 2002, p.1.2. <http://en.wikipedia.org/wiki/Ababda>.

(٣١) انظر الخريطة الخاصة بقبائل المدارس وتفرعاتها.

(٣٢) حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص ١٤ - ١٦.

(٣٣) نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، الجزء الثالث، مطبعة المعارف بدون تاريخ، ص ٢١٣.

(٣٤) نادية بدوى، يوميات باحثة مصرية في حلايب، مرجع سبق ذكره، ص ٨٧ - ٨٨.

(35) Knut Krzywinski, Richard Holton Pierce, Deserting the Desert "a threatened cultural landscape between the Nile and the sea, University of Bergen , Department of Botany and Department of Greek, Latin and Egyptology 2001. p54.

(٣٦) المقریزی، تقى الدين أحمد بن على، الخطط المقريزية، المجلد الأول، الجزء الثالث، بدون تاريخ، ص ٨٠.

(٣٧) من شبكة الإنترنت:

Orville Boyed Jenkins Profile of the Beja "People of Sudan Eritrea and Egypt " last edited , January. 1997. p.3.

الفصل الثانى

البيئة وأنماط النشاط الاقتصادى فى الشلاتين

مقدمة:

الإيكولوجيا هي دراسة علاقة الكائن الحي ببيئته، أما كلمة بيئة فتشمل البيئة العضوية من ناحية، أى مجموعة الكائنات التى تشارك فى نفس المكان المعيشى، كما تشمل البيئة الفيزيائية المحيطة من ناحية أخرى، ومن أهم أقسامها:

١- الإيكولوجيا البشرية: هى دراسة العلاقات بين الأفراد والجماعات الاجتماعية والبيئات الاجتماعية التى يعيشون فيها، فهى نتاج المجتمعات البشرية وأنماط للعلاقات الاجتماعية فى ثنايا عمليات تكيفها مع بيئتها ، حيث يعبر عن الخصائص الرئيسية التى يعتقد أنها خصائص كافة لأى نسق اجتماعى^(١).

٢- الإيكولوجيا الثقافية: تعنى بدراسة العمليات التى من خلالها تتوافق المجتمعات مع البيئة، وما يترتب على هذه التوافقات من

تحولات جوهرية أو تطور اجتماعي، وتحليلها في حدود ارتباطها بالعمليات الأخرى للتغير، ولذلك فهي تعنى أساسا بالتفاعل القائم بين المجتمعات والنظم الاجتماعية بعضها ببعض، وبينها وبين البيئة الطبيعية من ناحية أخرى، ويتضح ذلك في العلاقة بين الظروف الجغرافية والسلوك الإنساني والتنظيم الاجتماعي^(٢).

٣- النسق الإيكولوجي: ويعرف النسق الإيكولوجي على أنه مجموعة التفاعلات التي تقوم بين أفراد النوع الواحد أو بين الأنواع المختلفة، أو بين الموطن الذي يشتركون فيه، والنسق الإيكولوجي ليس نسقاً مغلقاً، وإنما هو يعتمد على التأثير المتبادل بين الإيكولوجيا، والأنساق الاجتماعية الأخرى، فهو ليس نسقاً مستقلاً بذاته، ويعرفه Fosberg بأنه نسق وظيفي تفاعلي يتركب من تجمع واحد أو أكثر من الكائنات الحية في تفاعلها مع البيئة الفيزيائية والبيولوجية، لذلك فهو يتضمن توضيح العلاقات المكانية ومسح شامل لسماته وخصائصه الفيزيائية ومواطنه وأوضاعه الإيكولوجية.

ولذلك يتميز هذا النسق الإيكولوجي بأنه كل واحد لا يتجزأ Monistic ويجمع بين البيئة وعالم الإنسان والحيوان والنبات في إطار واحد يمكن من خلاله أنماط التفاعل القائم بين عناصره ومكوناته.

والنسق الإيكولوجي نسق بنائي متكامل ووظيفي، حيث تشمل هذه الخاصية في عمليات تدفق الطاقة بين مختلف أنواع الكائنات الحية التي يحتويها بداخلها، ويجمع بين البيئة وعالم الإنسان والحيوان والنبات في إطار واحد يمكن من خلاله تحليل أنماط

التفاعل القائم بين عناصره ومكوناته في ضوء الأدوار الوظيفية التي تلعبها مقومات النسق الأساسية من أجل استمراره وبقائه^(٣)، ولعل دراسة النسق الإيكولوجي من خلال الخصائص والسمات تلقي الضوء على الدور الوظيفي الذي يقوم في البناء الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع الشلاتين.

وفي المناطق التي لم تقطع شوطاً في مجالات التقدم أو التكنولوجيا، بدرجة تسمح للناس بالتغلب على الظروف الطبيعية مثل منطقة شلاتين يظهر أثر البيئة قويا واضحا في النظم الاجتماعية والأنماط الثقافية، ومن ثم كان لابد من الإشارة إلى الملامح الإيكولوجية للمنطقة باعتبارها إطاراً لفهم عدد من الظواهر الاقتصادية وثيقة الصلة بتوزيع النشاط الاقتصادي المتأثر أساساً بالبيئة.

أولاً: البيئات الطبيعية في منطقة الدراسة

لو نظرنا إلى البيئة في المنطقة وتركيبها لوجدنا أن النشاط الاقتصادي قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً باحتياجات الأفراد وحياتهم وأنشطتهم المختلفة، وعلى الرغم من أنها تنطبق عليها حقيقة أنها تندرج تحت نمط البيئة الساحلية، إلا أنها تعد منطقة جبلية تنتشر فيها الجبال وتحتوي على مجموعة من الأودية التي تدخل ضمن سلاسل جبال ووديان البحر الأحمر، فقد يعيش جزء من السكان فوق هذه الجبال أو بين أوديتها المباشرة على حرفة رعي الإبل والأغنام حيث ينتظرون سقوط الأمطار فتنمو الأعشاب، وعلى هذا يمكن تصنيف البيئات الخاصة بمنطقة الدراسة إلى:

البيئة الساحلية: تعد منطقة الشلاتين فى المقام الثانى بيئة ساحلية وهى عبارة عن شريط ضيق من المساحة المسطحة تقع ما بين البحر والجبال ، وتتسع أحيانا وتضيق أحيانا أخرى، فهى شبه سهلية، حيث تحد البحر الأحمر من الغرب فتقلل من تأثير البحر على مناخ المنطقة حيث يعمل بعض الأهالى بالصيد فى البحر ويعتمدون على ما يصطادونه فى قضاء حاجاتهم بما يبيعونه من الأسماك.

البيئة الصحراوية: تندر فيها المزروعات والأشجار نظرا لطبيعتها الصحراوية ولندرة المياه اللهم إلا بعض من الأعشاب ونباتات الصحارى التى يستخدمونها للتداوى.

ولذا يمكن القول إن العامل البيئى أحد العوامل الرئيسة فى تفهم النظام الاقتصادى والبناء الاجتماعى، فى منطقة الشلاتين، إذ تعد منطقة بدو فى مفهوم علماء الاجتماع والأنثربولوجيا على أساس أن البدو شعوب تعيش كلية على قطعانها ولا توطن أنفسها على الزراعة، فهم فئة من السكان يتميزون بخصائص معينة وسلوك خاص ترسمه البيئة الصحراوية المحيطة بهم ولا تسمح بإقامة حياة سكانية مستقرة، كما أنهم ينتمون إلى مجموعة تغير محل إقامتها فى أوقات معلومة تبعاً للتغيرات الموسمية لكل مجتمع محلى مثل صيد أفضل، حشائش للقطع، وطقس أفضل، والبدو لا يتجولون بدون هدف، وترتبط الجماعة البدوية عموما بمنطقة معينة، وتميل لأن تعود إلى المجتمعات المحلية التقليدية^(٤).

ولذلك تسعى الباحثة فى هذا الفصل إلى فهم دور البيئة فى

تطويع المواد الطبيعية والتى هى نتاج للبيئة وثرواتها ، إلا أن دراسة البيئة الإيكولوجية تفرض علينا دراسة حقيقة تعامل الإنسان وتفاعله مع بيئته، ودراسة السلوك الإنسانى ذى الطابع الاقتصادى تجاه بيئته، ولذلك فالتعرف على مكونات البيئة وعلاقتها بالنشاط السكانى وتفهم الأنماط الاقتصادية لمنطقة الدراسة، هو من الأهداف التى تسعى إليها الدراسة لتفهم البناء الاجتماعى للمجتمع المحلى.

ثانيا: الأنشطة الاقتصادية

١- الرعى

يعد الرعى من الأنشطة الاقتصادية المهمة فى المجتمعات الصحراوية ، حيث يتضمن بالضرورة الاهتمام بالحيوانات، وهو يرتبط بالنسق الإيكولوجى ارتباطا وثيقا، فضلا عن ارتباطه بالوحدة الاجتماعية والثقافية التى تقوم بهذا النشاط ،وتتسم المجتمعات الرعوية بالتكافل ، وقد يظهر شكل التكافل فى أعظم صوره عندما تخسر إحدى العائلات البجاوية ماشيتها، إما عن طريق ظروف قاسية أو مرض للماشية، ويمكن تعويض خسارتها باستعارة ماشية من إحدى العائلات المجاورة، وتتخذ تلك الاستعارة شكلين: شكل النقل التام الكامل للملكية الماشية، وهو ما يعرف باسم «تيت» وشكل نقل الملكية بوصفها قرضا، وهو ما يسمى «دنقيت» حيث يستفيد المقترض من المنتجات فقط دون الحيوان.

ويمكن تصنيف موارد الرعى لدى العباددة والبشارية إلى مرعى طبيعى من مياه الأمطار، ومرعى غير طبيعى من الآبار والوديان ويتم الحصول عليه من السودان.

ويعتمد بدو البجة فى منطقة الدراسة فى تجوالهم للرعى على ثلاث جولات: الجولة الأولى فى الخريف مشرق نهر عطبرة وحول دلتا القاش ومدخل إريتريا وأثيوبيا ، وتسمى (جولة تمار)، وفى الشتاء يتجه الرعاة إلى ساحل البحر الأحمر حيث موسم الأمطار، وهناك تسمى المنطقة (قنب) ، وفى الصيف يتجهون إلى أعالي الجبال ويطون الأودية فى وسط منطقتهم حيث يكون الجو معتدلا لنمو الأعشاب ولتوفر المياه فى الآبار ، وهى المنطقة التى يستمر استقرارهم فيها أكثر من أية منطقة أخرى خلال تجوالهم وتسمى دامر.

ويعتبر الرعى من جانب آخر أحد طرق الاتصال الثقافى ، حيث تتأثر هذه المجتمعات (العبادة والبشارية) بالجماعات الأخرى فى أسلوب الحياة، وقد تستعير بعض أنماط السلوك مما يثير الامتزاج والاختلاط بين الثقافات وينتج عن هذا الامتزاج ثقافة خاصة.

المنطقة التى يرتحل إليها الرعاة تتميز بالتذبذب المناخى من حيث كمية المطر وتعانى من زيادة أو نقصان المطر من سنة إلى أخرى ، لذلك يمثل رعاة البشارية والعبادة أكبر مجموعة من رعاة الإبل تفد إلى منطقة كسلا لممارسة الرعى، ونجدهم يعبرون الحدود السياسية إلى أطراف جمهورية السودان، وهم لا يعرفون الحدود الفاصلة ، ولا يرتبطون بمكان معين، ويعبرون هذه الحدود دون إدراك أن فى هذا منافاة لحق السيادة.

ويذكر شريف محمد شريف أن رعاة الإبل يتركزون حول مورد معين من الماء، ومن هذا المركز يحدث الانتشار خلال أشهر المطر ذى

الكميات القليلة كما يحدث أيضا عقب الأمطار ، على أن ذلك الانتشار يكون فى جميع الاتجاهات والهدف منه هو البحث عن مورد غذائى أفضل، وهذه التحركات - على كثرتها - قصيرة المدى إذ غالبا ما يعودون بسرعة إلى مواطنهم الأولى للتجمع حول موارد الماء فى مراعيهم الأصلية^(٥).

ولا يذهب شيخ القبيلة (العبادة أو البشارية) مع جماعته فى رحلة الرعى، بل يبقى فى مضارب القبيلة فى الشلاتين، وذلك للاهتمام بشئون أفراد القبيلة ونسائها - وخاصة أن رجالها وبعضا من شبابها يذهبون فى رحلة الرعى - مثل فض المنازعات التى تتعدى على المرعى، أو المشاكل الخاصة بالآبار فى حالة الاعتداءات من القبائل الأخرى فى نفس المنطقة ، وخاصة الاعتداءات الواضحة والصريحة من قبل الرشادية.

وأثناء الرعى يتم تقسيم أراضى المراعى بين قبائل المنطقة محددة بأشجار وجبال وحجارة، وهذه المنطقة المقسمة معروفة منذ القدم يتناوب أبناء هذه القبائل بين أراضيها ، وهناك الأراضى مشاعة فى الرعى بين بدو القبائل، ولا يستطيع راعى أن يحفر بئرا فى أى أرض لا يمتلكها ولا يقطع شجرة إلا بتصريح من صاحب الأرض أو صاحب المرعى وهو شيخ القبيلة، ويتم تقسيم الأرض بين بطون القبيلة فمن يأخذ إذنا بحفر البئر مثلا يدفع عائدا مقابل حفر البئر بعد اتفاق مشايخ القبائل وهو العشر يدفعه سنويا لإثبات أحقيته فى حفر البئر وفى نفس الوقت يستفيد صاحب الأرض. وقد ينقسم أسلوب الرعى إلى: المراعى المفتوحة (مشاعية)،

والأسلوب الثانى فهو مقسم إلى حيازات قبائل معلومة، لذا نجد البدوى فى منطقة الدراسة يحمل أبراشه وأدواته المكونة من عدة الجبنة وقربة الماء أو جركن صغير والدقيق وبعض الأعشاب للتداوى وأدوات الرعى وهى: (الصعا) وأسلحته كدواعى للاستقرار فى مكان الرعى، وأحيانا يرحل مع زوجته وأبنائه، أو زوجته الحديثة وهم يحملون عتادهم للاستقرار وينتقلون بالجمال وأحيانا بسيارتهم نصف النقل.

ولا ينظر البدوى العبادى أو البشارى إلى هذه الفترة (فترة الرعى) كفترة غربة أو سفر بقدر ما هى فترة استقرار اجتماعى، إذ إن الاستقرار يعنى تنظيم وسائل الحياة وفق غايتها، فالبدوى يرحل من مرعى إلى مرعى آخر، وينزل بالمكان منزل المقيم لا منزل العابر، ولكن الاستقرار هنا ليس لمكان أو منطقة بقدر ما هو مجال ذو طبيعة خاصة يمارس فيه البدوى حياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية معا^(٦).

والحيوانات التى يرعونها هى الإبل والضأن والماعز، أما الإبل فهى تقل وتكثر حسب الظروف الطبيعية فى الصحراء، وفى المناطق الجافة فى شمال المثلث الشلاتين - أبو رماد - حلايب، سنجد أن الإبل غالبا ما يكون عددها قليلا ويغلب على الرعاة الاستقرار حول الآبار، أما فى جنوب المثلث على قمم جبل علبه فتكثر الإبل والضأن نتيجة لوفرة المياه بسبب الأمطار.

فحياة النبات والحيوان مثل حياة الإنسان تكون محكومة بالظروف الطبيعية والمناخية السائدة فى منطقة ما^(٧). وهذا هو الحال

تماما فى منطقة المثلث، فمع كمية الأمطار المحدودة وغير الثابتة والحرارة العالية تصبح الحياة قاسية وبالغة الصعوبة، الأمر الذى يؤثر بشدة على الإنسان والحيوان والنبات ويجعل الإنسان البدوى دائما دائب الحماية لنفسه ولتأمين حياته خلال الفترات الصعبة، ومن ناحية ثانية فى المناطق التى يزحف إليها الرعاة للرعى وهى منطقة كسلا قد واجهت العديد من المشاكل والصعاب فى مساحة المرعى، وقلة الأمطار، فزيادة الإقبال على المنطقة أحدث كثيرا من الصعاب وتزاحم الإبل، حيث تقلصت مساحة المرعى المتاح بفعل الزحف الصحراوى وقلة الأمطار وعدم صيانة موارد المياه والمرعى، ثم قيام البدو بالرعى للأعداد الكبيرة من الإبل فى مساحات محدودة.

وفى أثناء رعى الإبل يقوم الراعى بالغناء لناقته ويتغنى لها لتخفيف مصاعب رحلة الرعى الشاقة، وتتضمن معانى بعض الأغاني شوق الراعى لمخطوبته أو حبيبته. ويأخذ من علاقته بالناقاة مجالا لذلك، فعندما يغنى للمخطوبة (بنت العم) أو الزوجة فى أغنية تعبر عن الغزل فإنه يستخدم كلمة الناقاة، لأنه من العيب أن يذكر محبوبته. ولما كانت هذه الجماعات البدوية من قبائل مختلفة تتجمع حول أماكن معينة للرعى حيث يتوفر الكلاً وماء الآبار والأمطار، فإن البدوى يحاول أن يتكيف مع ظروف بيئته وذلك بتمييز إبله عن طريق «الوسم» الذى يميز حيوانات القبيلة بعلامات مميزة لتمييزها عن حيوانات القبائل الأخرى عن طريق الكى بالنار، حتى لا تختلط بعضها ببعض أو تتعرض للسرقة، لذلك أصبح لكل قبيلة من قبائل المنطقة وسم معين تعرف به، وعندما تباع الإبل يتغير هذا الوسم

بوسم القبيلة الأخرى، والوسم يقوم به رجل ذو خبرة حتى لا يصاب الجمل بالضرر.

ويظهر تقدير العبادة والبشارية للإبل من خلال التقاليد المتبعة فى حلبها حيث تقتضى هذه التقاليد قصر حلب الإبل على الرجال دون النساء، فالمرأة عند البشارية والعبادة لا تحلب الماشية، وقليلًا ما تقوم برعيها، حيث إن المرأة كائن غير طاهر بسبب طبيعتها الأنثوية، والخوف من تعرضها للأذى من الكائنات فوق الطبيعية أثناء حلب الإبل، وهذا عكس ما يقوم به جيرانهم الرشايدة الذين يسمحون لنسائهم بحلب الماشية.

أهمية الإبل فى النظام الاجتماعى والاقتصادى

لعبت الإبل دوراً حيوياً فى حياة البدوى على مر العصور وحتى يومنا هذا، ولم تؤثر التطورات والتقنية الحديثة المتلاحقة - على أهميتها - على هذه الجماعات القبلية وتعد الإبل أهم عنصر فى المهر، وتقام احتفالات الزواج وجلسات الونسنة عن طريق سباق الهجن، لذا فهى وسيلة للتهدى بين الأهل، وتعد الإبل كذلك مالا وثروة تقترن بها مظاهر الجاه، والقوة والوجاهة الاجتماعية إذ يعد عدد الإبل التى يحوزها البدوى مقياسا لدرجته فى السلم الاجتماعى، فالإبل هى الثروة الحقيقية للفرد والجماعة القرابية التى ينتمى إليها وتعتبر هذه الجماعات أن الإبل مستودع للثروة أكثر من اعتبارها وسيلة لإنتاج سلع غذائية، وهم لا يبيعون الإبل التى يملكونها إلا عند الضرورة القصوى، ويعتمدون فى حصولهم على النقد من عائدات تجارة السلع والمنتجات الأخرى، وعندما يتوفر بعض المال لدى البدوى فإنه

يشتري إبلًا ويضمها إلى ثروته، وهكذا فالإبل هى مستودع القيمة وبالتالى تتراجع قيمة النقود أمام الثروة الرعوية.

٢- الصيد

ينقسم نشاط الصيد فى مثلث شلاتين وأبو رماد - حلايب إلى الصيد البرى والصيد البحرى.

١ - الصيد البرى: توجد فى المنطقة بعض الغابات والجبال، وهذا المناخ الصحراوى منطقة مفتوحة وخصبه لانتشار العديد من الحيوانات والطيور والظباء والنعام، مما يجعل المنطقة مكانا صالحا للصيد باستثناء المحميات الطبيعية، حيث يقوم العبادة والبشارية خاصة سكان المرتفعات والقمم الجبلية بصيد تلك الحيوانات والطيور عن طريق أساليب وطرق خاصة بهم.

وتكثر فى منطقة دلتا الجاش^(٨) الضباع والثعالب والصقور والنسور وطائر اللقلق. وفى الصحراء الشرقية الغزال المصرى الذى يصيده العبادة والبشارية ويأكلون لحمها أثناء السير للرعى أو رحلة الصيد، كما يوجد عدد من الأرناب البرية والنعام، أما الحيوانات الكاسرة فممنها الضبع، والنمر المنتشرة فى مرتفعات الجبل الأحمر والقطط البرية والذئاب والثعالب، ومن طيورها العقاب والنسر والصقر والحذاء والحمائم الجبلية^(٩). ومن الطيور البحرية، النورس، الوعل الجبلية الذى يتغذى على الفئران والسمان، والسلحفاة المصرية، والثعابين (الطريشة) والعقارب والحرباء.

ولذلك فالمهارة فى الصيد جزء مهم من شخصية البدوى فى منطقة الشلاتين، حيث تضيف ثراء وقيمة على هذا الإنسان الذى

يتحدى الطبيعة، فعلى الرغم من أن أدوات الصيد البدائية القليلة محدودة الإمكانيات، إلا أن البدوى من العباددة والبشارية يستخدمها كسلاح تقليدى (الرمح - السيف - العصا - الخنجر) وهو الذى ينصب المصائد التى يضعها بنفسه لصيد الحيوانات.

والجدير بالذكر أن أوطان العباددة والبشارية الخاصة بحيوانات الصيد عديدة، وربما كان أكبرها الحمار البرى وإن كان ظهوره نادرا جدا إلا فى الجزء الجنوبى الأقصى المتاخم لأوطان البشارية، وإذا تم اصطياده فإن لحمه يؤكل، ويلى ذلك أنواع الغزلان المختلفة، أما الوعول فقليلة الظهور إلا فى السودان، وكذلك النعام الذى انقرض تماما فى الصحراء الشرقية المصرية، ثم اليربوع والأرانب التى يتم صيدها بشبكة لمنع هروبها من ممرات خلفية، ولذلك يتم حفر مخابئها، وهناك حيوانات أخرى يتم صيدها تجنباً لشرها وما تلحقه من أذى للقطعان، وهذه الحيوانات هى الضبع ونوع من الفهود يسمى شيتا، وقد يعتبر صيد الحيوانات البرية مثل التيتل والسلحفاة والشعلب عملاً يستفاد منه، حيث جلود هذه الحيوانات تستخدم فى صناعة الدروع والقرب والملابس والأدوات الموسيقية الخاصة بمنطقة الشلاتين، والمهم أنه لا يحق للصيد أن يمارس نشاطه فى منطقة خاصة بقبلية أخرى إلا بعد أن يأذن له شيخ القبيلة وإذا لم يحصل على هذا الإذن فإنه يقدم للمجالس العرفية.

ب - الصيد البحرى: تتسم إمكانيات الصيد بالوفرة فى:

- ١- الشواطئ الساحلية الممتدة بطول المثلث.
- ٢- والشعاب المرجانية، والتى تستغل فى علاج أمراض

الروماتيزم، والروماتويد بما تحتويه من معادن مشعة ووجود رمال السودانى، هذا بخلاف مناخها الملائم لاستغلالها سياحياً.

٣- أما المراسى البحرية فتستغل بطريقة بدائية فى عمليات الصيد مثل مرسى شلاتين، ومرسى حلايب^(١٠).

فمنطقة المثلث بسواحلها الممتدة لمساحة ٢٠٠ ك.م. على البحر الأحمر مرتع خصب لنشاط صيد الأسماك، ولكن الواقع غير ذلك، حيث لا يمارس نشاط صيد الأسماك سوى مجموعة صغيرة من الأفراد من عشيرة الكريجاب، والتى تستقر على الشاطئ من القصير وحتى حلايب، وهم فرع من العشباب ويطلق عليهم: «السماكة» وهذه التسمية تنطوى على بعض معانى التحقير، وهم أكلة السمك دون بقية فروع العشباب الذين يرفضون أكله، وتعتبر عشيرة الكريجاب أغنى فروع قبيلة العشباب مادياً، حيث يملكون قوارب صغيرة بعضها يعمل بالوقود وأخرى كبيرة تخرج بعرض البحر حتى برنيس ورأس برنيس.

والسماكة يصطادون باستخدام الشباك بالقرب من الأحواض المرجانية، كما يوجد عدد من الجزر المقابلة للساحل (مثل جزيرة حلايب - جزيرة سيال، ومريز أمام الشلاتين) بمنطقة جنوب شرق مصر منطقة غنية بثرواتها الطبيعية وخاصة ثروتها السمكية، إلا أن استغلالها محدود جداً^(١١).

وحرية الصيد من اختصاص الرجال وحدهم، كما أنهم يعتمدون فى صيدهم على الأساليب التقليدية كالمراكب البدائية والشباك البسيطة، ولا تسمح الطريقة اليدوية بالصيد ليلاً حيث تقتصر على

نحو ٥ ساعات فقط أثناء النهار وذلك لأسباب أمنية.

ويلاحظ أن أعمار السكان المشتغلين بمهنة الصيد تنحصر في مجال عمرى محدد بعكس ما تتطلبه البداوة الرعوية من خبرة وكبر السن، فمهنة الصيد تعتمد على المهارة الجسدية والخبرة بالبيئة الجغرافية لمنطقة البحر والصيد، حيث تتراوح بين حد أدنى ٢٠ عاما وبين حد أعلى ٥٠ عاما، هذا بجانب عدم تقبلهم للطرق الحديثة للصيد، وقد يختلف الصياد عن الراعى، فالراعى يمكن أن يأخذ ابنه للرعى فى سن العاشرة، أما الصياد فلا يستطيع ذلك خوفا من مخاطر البحر، فمخاطر البحر أكثر شدة من مخاطر الصحراء، وقد نجد صيادى السمك فى منطقة الشلاتين يعيشون على مراكب فى البحر أو يسكنون بعض العشش حيث لهم ثقافتهم المادية المعيشية، الخاصة مثلها مثل الثقافة المادية والأدوات الخاصة بالنشاط الاقتصادى أو بالنشاط الرعوى بصفة خاصة^(١٢).

ولما كانت المنطقة ما تزال بكرا، فإن العاملين فى حرفة الصيد ينقصهم الخبرات الحديثة الفنية فى استخدام أدوات الإنتاج والاستثمار فى مجال صيد البحار ، وكل ذلك لم يدخله أصحاب رعى الأموال الكبيرة التى تستطيع الاستثمار فى أسطول صيد، أو إنشاء محطات وفرز وتجميد وتجهيز الأسماك وصناعتها، مع أن مقومات الصناعة توجد فى منطقة الدراسة حيث الساحل الممتد إلى ٢٠٠ كيلومتر ، والعمالة القادرة على العمل بعد تزويدها بالخبرات اللازمة^(١٣).

ويذكر أحد الإخباريين أن حرفة الصيد من الحرف الشاقة

والمتوارثة عن الأجداد، والتى تحتاج إلى تضافر جهود فرق الصيد أثناء عملية الصيد، ويعبر معظم الصيادين عن رغبتهم فى أن يعلموا أبناءهم مهنتهم، ويكون الصيد بالسنار لأهل المنطقة الذين لا يمتلكون ثروة وتنخفض مستوياتهم الاقتصادية ، وتقوم الحكومة المصرية بإمداد الصيادين بالزواد (طعام - شراب - أدوات صيد خفيفة) حيث كانت تعطى لهم رحلات الصيد الطويلة التى تزيد عن عشرة أيام لهم قبل الخروج بإمداد الصيادين بالزودة، وهى لوازم الرحلة، وبناء على ذلك أن عدد الصيادين من أبناء المنطقة نحو خمسين صيادا فى منطقة الشلاتين، وثمانية وخمسين صيادا فى حلايب وعشرين صيادا فى أبو رماد^(١٤). وهؤلاء يعتمدون على وسائل صيد وقوارب وشباك بدائية، وهذه القوارب الصغيرة يقوم بتشغيلها عدد قليل من الصيادين ، حيث لا يتجاوز أفراد القارب ثلاثة صيادين، ولا تستطيع هذه القوارب الابتعاد أكثر من اثنين إلى ثلاثة كيلومترات من الشاطئ.

والقارب الصغير الذى يملكه صيادو المنطقة عبارة عن قارب خشبى يتم تصنيعه فى المنطقة ويسمى (الهورى) وقد يصل طول القارب من ٤ - ٧م ومزود بمحرك، وتصل قوته ما بين ٢ - ٤ حصان، ورحلة الصيد من ليلتين إلى ثلاث ليال، ونظرا لصغر القارب فإن الصيادين يعتمدون فى معيشتهم فى الإبحار على الجزر المنتشرة القريبة من ساحل الشلاتين لإعداد وجباتهم والراحة، والتى ليس بها أى اختلاف عن بدو المنطقة ذاتها، ثم يتم استئناف العمل ، فقد نجد مدة الرحلة فى جنوب حلايب حتى الحدود الدولية لا تزيد عن يوم

واحد، يبدأ فى أول الضوء، وينتهى قبل آخر ضوء حسب تنظيمات الأمن فى المنطقة، وقد يلجأ الصيادون إلى الصيد بالسنان حول الشعاب المرجانية سعياً وراء الأسماك الكبيرة الوفيرة هناك، وهناك الشباك خفيفة الوزن التى يمكن أن تزيد من الإنتاج السمكى للصياد وفى الوقت ذاته الثروة السمكية.

وتختلف مناطق وأنواع المصايد حسب المواسم المناخية، إذ تزداد المصايد فى أشهر الصيف: يونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر، وتتركز رحلاتهم فى المنطقة الواقعة ما بين شلاتين ورأس حدربة، حيث توجد فيها أفضل المناطق لصيد الأنواع الجيدة.

أما الصيادون الوافدون على منطقة المثلث، فتقل أعدادهم أثناء ارتفاع درجة الحرارة فى المنطقة حتى يصل إلى أدنى مستوى خلال أشهر الصيف، ويعود عدد كبير منهم إلى بلادهم بالوادي، ويزداد المجهود خلال بقية أشهر السنة، أما صيادو المنطقة فيزداد نشاطهم خلال شهور الصيف، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، ويذكر أحد الإخباريين أن إنتاجه من السمك خلال شهر نوفمبر إلى يونيو، يوفر له ما يحتاجه من المال لشراء مستلزمات الزواج من هدايا وشيلة للعروسة ولشراء بيت البرش، ومن الملاحظ أن جماعة الكريجاب التى تمتهن مهنة الصيد لا يتزوجون إلا من داخل جماعتهم (الزواج الداخلى) حيث يحظر الزواج من العبابدة والبشارية لممارستهم مهنة الصيد.

يتم صيد اللؤلؤ (أصداف اللؤلؤ) أو المحاريات من المناطق الضحلة بطريقة بدائية حيث لا يستخدمون أجهزة غطس، بل يعتمد

صياد المحار على خبرته ومهارته، والملاحظة العابرة لعمليات الصيد بالغطس أنها تتم بلا تخطيط وعشوائية، بمعنى أنه يقوم بالنزول للبحر حيث المياه الضحلة وبدون أجهزة تنفس، وعندما لا يجد محاراً يتجه إلى النزول فى مكان آخر حتى يحصل عليه، ثم يتم تجفيف المحار بطريقة بدائية تحت أشعة الشمس مما يفقده جزءاً من قيمته الاقتصادية ثم يتم توريده إلى التجار الذين يستخدمونه فى أغراض كثيرة.

٣- التجارة

حاجة البدوى فى منطقة الدراسة إلى بعض السلع الضرورية للحياة اليومية تجعله يمتن التجارة وهى قاصرة على سلع بعينها أهمها:

١ - تجارة الأعشاب الطبية

يقوم البدو بجمع هذه الأعشاب التى تنمو على الأمطار فى الجبال والوديان ثم يقومون بترويجها فى الأسواق التجارية المعروفة، ويعتمد البدو على الوصفات العلاجية التى تعتمد على الأعشاب البرية وأوراق الشجر نتيجة عزلتهم وظروفهم القاسية ومن تلك الأعشاب: السنامكة، حلف البر، الدميصة، وشجر الغزال والحرجل.

وتعتبر منطقة الشلاتين أكثر جهات الإقليم كثافة نباتية، حيث تنعم بموارد طبيعية ونباتات وأعشاب مثل أشجار (السدر، السيل، السنط، الطلح) والحنظل وشجر الغزال، ويقوم البدو بجمع تلك النباتات ويبادلونها ببعض المواد الغذائية (الخضروات والفاكهة) والملبوسات من الأسواق التقليدية، ويمكن القول إن المنطقة تتميز

بتنوع شديد من النباتات ، حيث يزيد عددها على ٣٥٠ نوعا، تتعدد أشكالها وألوانها وقيمتها الدوائية والعلاجية، فهناك العديد من الأشجار والشجيرات تقاوم الجفاف والتي يستفيد منها الرعاة لرعى الإبل»^(١٥).

وأما منطقة جبل علبة فتعد بيئة خاصة تتميز نباتاتها بأهميتها الطبيعية والدوائية، حيث يقوم البدو بالتقاط تلك النباتات مقابل حصولهم على الموارد الغذائية والملبوسات من الأسواق التقليدية، وهى تحقق لهم عائداً وفيرا، يمكن القول بأن هناك نباتات فى جبل علبة تقاوم الجفاف مثل نباتات الأبنط تنمو على ارتفاعات عالية ولا يوجد فى مصر إلا فى هذه المنطقة، وتوجد تجمعات من نبات المنجروف على ساحل البحر الأحمر ، والتي تعتبر من النباتات الهامة لتكاثر العديد من الطيور البحرية»^(١٦). ومن أهم هذه البذور الهجيلج، وثمار التندب والتي تستخدم كمطهر للأمعاء^(١٧).

ب- تجارة الفحم

ويصنع الفحم فى الصحارى بمعرفة البدو من أشجار السيال والسنت بإضافة إلى وجود منجم للفحم فى أبو رماد، وكانت حرية بيع منتجات الفحم فى الماضى متروكة للعبادة قرب نهاية الأربعينيات^(١٨). وذكر «يوركهارت» عن المنطقة أن الجبال المحيطة بهذا المكان كثيرة الشجر ويحرق العبادة من سنطها قدرا أكبر، ويصنعون من الفحم البلدى ويحملونه على النيل، فهم لهم تجارة واسعة فى فحم السنت ويصدرون الفحم حتى القاهرة شمالا^(١٩). وكانت الشلاتين تمثل فى الماضى أكبر أماكن تسويق الفحم النباتى

التجارى فى تلال البحر الأحمر ، ولكنه تراجع عندما امتهن كثير من الناس الأعمال التجارية، وتمت إزالة العديد من الغابات للحصول على الفحم، حتى كانت سنة ١٩٦٧، حيث تم شق الطريق الأول لإنتاج الفحم النباتى عبر الجبال، ومن ثم تزايد إنتاجه واتسعت تجارته^(٢٠).

ج- تجارة الإبل والضأن

بالرغم من أن الرعى هو الحرفة الأساسية لبدو مثلث حلايب، إلا أن التجارة تعد أيضا جانبا مهما وأساسيا من اقتصاديات المنطقة ، وتأتى تجارة الإبل على رأس قائمة التجارة التى يقوم بها أهل المنطقة إلى أسواق مصر، وخاصة سوق دراو بأسوان يوم الثلاثاء حيث تعتبر هذه السوق من أهم أشهر الأسواق لتجارة الجمال، فتربطها طرق ومدقات صحراوية تصل بين مصر والسودان، تسلكها قوافل الإبل والتي تسمى (الدبوكة). وتضم كل قافلة ما يزيد عن ألف جمل تسير فى طريق محدد عبر وادى العلاقى بالصحراء الشرقية، ثم يتم نقلها إلى سوق دراو عبر النيل غربا ثم تأخذ طريقها إلى أسواق القاهرة، وهو سوق مفتوح للتجارة الحرة بين مصر والسودان فيأتى التجار السودانيون من الجنوب لبيع الجمال والأغنام بسوق الشلاتين ، كما تعبر الحدود سيارات نقل البضائع السودانية بأعداد كبيرة جدا، فتأتى السيارات محملة بكثير من البضائع السودانية مثل النباتات الطبية والعطرية، والجلود ، والشاى، والتوابل، والصمغ العربى، والكرديه والفاصوليا ، واللبن، وتعود هذه السيارات إلى السودان محملة بالبضائع المصرية مثل

السكر والأرز والأقمشة والمنسوجات والملابس الخفيفة والأواني والألومنيوم ومنتجات البلاستيك والسجائر. ويتم التعامل في هذا السوق بالجنيه السوداني، والجنيه المصرى فى نفس الوقت، وتسمى هذه السيارات (بالسفنجة) وأسعار شراء السلع فى سوق الشلاتين كسوق^(٢١) حرة، ويلاحظ فيها انخفاض ملحوظ جدا فى قيمة الجنيه السودانى بالقياس لسعر الجنيه المصرى. فعلى سبيل المثال يتراوح سعر الخروف بالسوق بين ٢٠، ٣٠ ألف جنيه سودانى، فى حين أن سعره بالجنيه المصرى لا يتعدى مائة جنيه^(٢٢).

كما تذكر جانبى ستاركى أن العبادة والبشارية يقومون بمهنة تربية الجمال، وذكرت أن سوق الجمال فى دراو تتجمع فيه اللغات العربية والنوبية والتبداوية، كما وصفته بأنه أكبر سوق للجمال فى جنوب مصر، فضلا عن أنه يخدم قبيلتى العبادة والبشارية فى العديد من السلع وخاصة السيوف التى تجلب من السودان^(٢٣). ومع اتساع النشاط التجارى ظهرت حرف أخرى منها «حرفة النقل» حيث نجد أن بعض الأهالى يقومون بنقل المواطنين بسيارات ميكروباص قديمة أو سياراتهم نصف النقل ما بين المنطقة والسوق.

وقد كان لإنشاء منطقة السوق أثر بالغ فى رواج التجارة وازدهارها فزادت أعداد التجار القادمين من الجنوب بالآلاف، وأصبح سوق الجمال سوقا يأتى إليه التجار من كافة أنحاء الجمهورية سواء من سوهاج أو الشرقية أو أسوان أو المنيا أو أسيوط ومحافظات الجمهورية لشراء الإبل وتربيتها وتسمينها وبيعها خاصة فى الأعياد والمناسبات، وقد ازدهرت مع تجارة الجمال تجارة

الماعز والأغنام لنفس الأسباب، كذلك قامت الدولة بإنشاء مكان مجهز أو عيادة لتطعيم الجمال أو ما يشبه حجرًا صحيًا^(٢٤).

د - تجارة المياه

إن نجد بعض الأهالى يقوم بالتجارة فى مياه الشرب وجلبها فى براميل من قنا أو أسوان أو من الآبار فى منطقة الشلاتين وبيعها.

هـ التجارة فى المواد الغذائية والسلع المختلفة

تعد التجارة أحد النشاط الرئيسة لدى أهالى منطقة الشلاتين، حيث يعمل التجار بشكل أساسى فى بيع الخضروات والفواكه والمواد الغذائية والسلع المختلفة التى يندر وجودها فى المنطقة حيث يتم جلبها من محافظات الدلتا، وصعيد مصر، ويتم بيع هذه الأصناف فى أسواق دائمة، ومن أهم هذه الأسواق السوق التجارى فى مدينة الشلاتين، ويمثل هذا السوق محور تقديم الخدمات التجارية لأهالى الشلاتين وتوابعها، ولا يزيد السوق عن كونه مجموعة متلاصقة من الأكشاك الخشبية عشوائية التنظيم، تباع فيها الصناعات والمنتجات التقليدية، ولا توجد به شبكة مواصلات دائمة، وإنما يعتمد على بعض السيارات نصف النقل فى نقل الزوار من السوق إلى المدينة.

أما المحلات الجديدة فيطلق عليها لفظ «محلات التجزئة» وعادة ما تبدأ حركة البيع من العاشرة صباحا حتى العاشرة مساء بالرغم من عدم وجود إنارة، وبعد دخول خدمات الإنارة للمنطقة بدأ ظهور المطاعم والمقاهى إضافة إلى وسائل الترفيه كالتليفزيون والدش لجذب المزيد من الرواد إليها، كما ظهرت بعض المحلات التجارية

وصيدلية وعيادة طبية ووحدة صحية^(٢٥). وهو ما شكل نواة للسوق الجديد المخطط بمنطقة حجر الأساس بمدينة الشلاتين ، ويمثل هذا السوق سوقا شعبيا كبيرا بحق، ويعكس التواصل الثقافى بين منطقة الدراسة والمجتمعات المجاورة مثل المجتمع السودانى، ويحمل أكثر معانى التشابه والتواصل بين مجتمع السودان، ومنطقة الشلاتين، لذا تعد مدينة الشلاتين منطقة حرة غير معلنة للتجارة بين مصر والسودان ومجالا للنشاط التجارى الذى يسهم فى النشاط الاقتصادى لأهالى المنطقة ويتيح فرص الحصول على الدخل.

٤ - الأعمال الخاصة

١ - أدلاء للطرق

يمتاز السكان الأصليون لمثلث شلاتين - أبو رماد - حلايب من العبادة والبشارية بالذكاء الفطرى، وذلك نظرا لارتباطهم الشديد بالصحراء، ولديهم القدرة على معرفة الطرق والدروب بالصحراء ، بالإضافة إلى خبراتهم بأشياء خاصة جدا مثل التنبؤ بسقوط الأمطار والقدرة على التعرف على أنواع الصخور والنباتات والأشجار وكذلك أماكن وجود آبار المياه المنتشرة بالمثلث^(٢٦) . وتستعين بهؤلاء هيئة المساحة الجيولوجية فى الخوض فى الصحراء للتعرف على أماكن الثروات المعدنية التى تزرع بها الصحراء الشرقية، كما يستخدم هؤلاء الأفراد المتميزون للعمل كأدلاء للطرق، وأصبح اقتفاء الأثر يستعان به فى مختلف حياتهم، وهم مدربون على ذلك فالطفل يستطيع أن يقتفى أثر الأغنام والماشية، وأحيانا ما تستخدم هذه المهنة كمرشد لأماكن الرعى واتجاه الرياح والنجوم^(٢٧).

ب - أعمال المناجم والمحاجر والتنقيب عن البترول

يوجد بالمثلث جهاز مراقبة للمساحة الجيولوجية، ولقد أفاد المسئولون عن هذا النشاط بأن المنطقة غنية بالموارد التعدينية، ففيها الذهب الذى كان الفراعنة يستغلونه على نطاق واسع، وقد بدأ تشغيل مناجم الذهب فى منطقة أم الطيور حيث أجريت دراسة على بعض العينات، ووجد أن طن الرمال يحتوى على سبعة جرامات من الذهب مع أن المستوى الاقتصادى يحتوى على خمسة جرامات فقط فى الطن، وهذا مؤشر طيب لوجود هذا المعدن النفيس بالمثلث، ومن ثم قامت إحدى الشركات الأجنبية «شركة بيرجم الفرنسية» التى امتلكت مساحات شاسعة من الأراضى الغنية بالذهب بتعدين هذا الخام فى تلك المنطقة البكر منذ عام ١٩٩١ وهربت عشرات الأطنان من الذهب النقى الخالص إلى الخارج، وتؤكد مصادر البجة اليوم والموثوق فيها أن ١٥٪ يكون مادة البلاتين والتى تباع بثلاثة أضعاف الذهب، كما تذكر مصادرها أن المستثمرين من جنوب أفريقيا قدموا عن طريق السودان عارضين شراء معدن الكوبلت فأوضح لهم بأنه بيع لآخرين لأربع سنوات قادمة.

وتؤكد هذه المصادر أن تنقية الذهب فى الهواء الطلق سينتج عنها مشاكل معقدة فى المستقبل المنتظر ، حيث يؤكد خبراء التربة بأن المادة التى يتم بها تنقية الذهب تمكث فى جوف الأرض فتتذرر بحدوث مخاطر تهدد البيئة والإنسان والحيوان، وقد ظهرت نتيجة لهذا التعدين أمراض غريبة على المنطقة وغير مألوفة وبذلك حولت الشركة المنطقة إلى مقبرة لأحياء البجة^(٢٨).

كما يوجد خام التلك بكثرة عند بئر الجاهلية وهو من نوعية ممتازة تصلح للتصدير وتسمى المنطقة التى بها هذا الخام مناجم أبو مرده ، ويتم تصديره خاما إلى الدول الأوروبية، بالإضافة إلى المنجنيز والحديد وأحجار الزينة من الجرانيت والرخام فى مناطق الجرف وجبل علبة وعزبة الصول ووادى حوضين^(٢٩). وبعد اتجاه الدولة لأعمال التنمية فى الجنوب والاهتمام بأعمال المناجم والتعدين فى منطقة الصحراء الشرقية، ومع اقتراب هذه الأعمال من مواطن إقامة البدوى وأيضا لوجود كثير من شركات البحث عن المناجم فى هذه المناطق، فقد نشأ نتيجة لذلك مناطق توطين حيث بدأت بمساكن المهندسين وعمال هذه الشركات وعائلاتهم.

ه - الزراعة

لا يعرف أهل المنطقة الزراعة، وليس لهم دراية بأحوالها، ومع ذلك توجد مساحات شاسعة من الأراضى المستوية لمسافات ومساحات كبيرة جدا، ورغم ذلك لم يفكر أحد فى استغلال هذه المنطقة البكر والتى تخضر اخضرارا مجرد نزول المطر عليها ولو أنه محدود فى فترات معينة، اللهم إلا قيام أحد البدو فى منطقة بئر أبرقة بزراعة منطقة صغيرة حول البئر واستخدام فيها الشعير والذرة والبطيخ^(٣٠). وهى ظاهرة جديدة بالدراسة وبالتعميم، كما قام مجلس مدينة الشلاتين مع نهاية عام ١٩٩٤ بعمل اثنتين من الصوب الزراعية وتروى من مياه مكثف الشلاتين، وتم زراعة إحداها بالخيار والأخرى بالطماطم وقد أنتجت محصولا وفيرا جيدا مما يدل

على الخصوبة العالية للتربة بالمنطقة، وهذه أيضا ظاهرة جديدة بالاهتمام^(٣١).

ووضعت خطة لمنطقة الدراسة لإنشاء ثلاثة تجمعات زراعية لزراعة ٢٥٠ فدان وحفر عدد من الآبار ، وسوف تزرع هذه الأراضى محاصيل تناسب البيئة وتلبى احتياجات الإنسان والحيوان، حيث أظهرت نتائج الدراسة مركز بحوث الصحراء وأكاديمية البحث العلمى أن بالمنطقة أراضى جيدة وصالحة للزراعة، وأراضى متوسطة الصلاحية للزراعة، وأراضى محدودة الصلاحية تحتاج إلى مزيد من التكنولوجيا المتقدمة^(٣٢).

وعن مستقبل الزراعة بالمنطقة يذكر فاروق الباز مدير مركز الاستشعار عن بعد بجامعة بوسطن الأمريكية أن الصور التى التقطها القمر الصناعى الأمريكى والصور الرادارية أثبتت بشكل قاطع أن تربة منطقة الشلاتين صالحة وملائمة للزراعة، وأنه لا خوف من نقص المياه اللازمة للزراعة، فالصحراء المصرية بها كميات هائلة من المياه الجوفية الصالحة لإقامة زراعة دائمة عليها ولسنوات طويلة.

٦- الصناعات والحرف الشعبية

وتعتبر أهم الصناعات المحلية مشغولات يدوية تستخدم للحياة اليومية لسد حاجات الأسرة من الاستهلاك المحلى، وتستخدم فى هذه الصناعات المواد الخام التى توفرها البيئة المحلية من الخشب والجلود، والأشجار ، وسعف الدوم، ومن أهم الصناعات الجلدية والتى يظهر من خلالها صانع الأحذية وصانع أغلفة الأحذية من

جلود الحيوانات للوقاية من الحسد وشرور الصحراء وصانع سرج
الجمال وزينة الجمل والتي يستخدم فيها المواد البيئية من الجلد
والصوف والودع، وصانع المشغولات الجلدية للمنتجات الجلدية (مثل
جراب السيف) والذي يحاول الصانع زخرفته والاستعانة بصبغات
طبقية وسكين خاص لقطع الجلد لزخرفته والرسم عليه بأشكال
خاصة بهم، والجراب لحفظ السهام، والجراب لحفظ الأغراض
الشخصية للبدوى، والحزام الذى يصنع من الجلد ليضع فيه السيف
ويرتديه الرجل ويعلقه فى وسطه ليحمل سيفه المزخرف ، ولا ننسى
كذلك صناعات السعف - الحصير - البرش - وأدوات الحياة اليومية
التي تستخدم كزينة للمسكن بداخله وخارجه. وهذه الأشياء تعتبر
مستلزمات أولية للعرس فى بداية الحياة الزوجية ويتم صنعها
للاستفادة منها فى الحياة اليومية وليس للتجارة، فضلا عن صناعة
بعض الأدوات الموسيقية، وهى جميعها تستخدم موادا بيئية محلية
لاستخدام أهالى المنطقة.

الهوامش

- (١) البيئة والمجتمع مع دراسات اجتماعية وأنتروبولوجية ميدانية لقضايا البيئة والمجتمع، تحرير/ مجموعة من أساتذة جامعة القاهرة وعين شمس، مرجع سابق، ص ١٩.
- (٢) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلد الثالث، مرجع سابق، ص ٢٥٦.
- (٣) السيد عبد العاطى السيد: الإيكولوجيا الاجتماعية: مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ٤٥.
- (٤) سعاد على حسن شعبان، مربو الحيوان فى أفريقيا، مجلة الدراسات الأفريقية، ع ٢٧، ١٩٨٨، ص ١ - ٢.
- (٥) شريف محمد شريف: التحركات السكانية ومناطق الاستقطاب بالسودان، الإنسان والبيئة - التنمية المنظمة العربية للتدريب والتعاون والعلوم، الخرطوم، ١٩٧٢، ص ٧٢ - ٧٥.
- (٦) زينب جمال حسن على، التغير الحضارى فى المجتمع الجديد، بخشم القرية: دراسة أنتروبولوجية عن المرأة النوبية، مرجع سابق.
- (٧) أعمال ندوة مثلث الجنوب «شلاتين وحلايب» رؤية تنمية متكاملة ، (مايو ١٩٩٧) ث ٣٢٨، ٣٢٩، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٨.
- (٨) دلتا الجاش، منطقة المرعى أثناء رحلة الرعى للرجال وشباب قبيلتي العباددة والبشارية وهى منطقة تسمى أورما تبعد عن كسلا بـ ٦٠ ك.م.
- (٩) أعمال ندوة مثلث الجنوب «شلاتين وحلايب» رؤية تنمية متكاملة (مايو ١٩٩٧) ص ٣٦٦، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٨.
- (١٠) مجموعة الأساتذة دراسة وتطوير مصايد الأسماك فى منطقة حلايب وشلاتين، المعهد القومى لعلوم البحار والمصايد بالتعاون مع أكاديمية البحث

العلمي، ١٩٩٠، ص ١١٥.

(١١) يوسف محمد بيومي: مرجع سابق، ص ٨٥.

(١٢) إخباريون (رواة) من قبيلة العباددة والبشارية حيث تم إدراج بياناتهم بالملحق الخاص ببطاقات الإخباريين وهم رواة صيادون من الشلاتين.

(١٣) يوسف محمد بيومي: التخطيط الإقليمي كأسلوب لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر مرجع سبق ذكره، ص ٨٧.

(١٤) تم الحصول على هذه البيانات من جهاز شئون القبائل للمنطقة.

(١٥) يوسف محمد بيومي: التخطيط الإقليمي لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر، مرجع سبق ذكره، ص ٨.

(١٦) يوسف محمد بيومي، التخطيط الإقليمي كأسلوب لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر، مرجع سبق ذكره، ص ٨.

(١٧) نادية بدوي: الزينة الشخصية عند العباددة وأثر التطور الحضاري عليها، دراسة في الأنثروبولوجيا الجمالية، إشراف/ سعاد شعبان وعلياء شكرى القاهرة، ١٩٨٥، ص ٨١، أطروحة (ماجستير) جامعة القاهرة، معهد الدراسات الأفريقية، قسم الأنثروبولوجيا.

(18) Kunt Krzywinski, Richard Holton Pierce, op. Cit, p. 109.

(١٩) يوركهارت، جون لويس، رحلات يوركهارت في بلاد النوبة والسودان، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ترجمة فؤاد أندرواس، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٢٤.

(20) Kunt Lrzywinski, Richard Holton Pierce, op. cit, p. 109.

(٢١) أحمد شحاته: تنمية مراكز العمران الحضري في منطقة حلايب. ث ٤٤٨، أعمال ندوة مثلث حلايب، رؤية تنموية متكاملة، مايو ١٩٩٧، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٨.

(٢٢) محمد مختار الشرقاوي، التنمية المتواصلة لمثلث حلايب، أعمال ندوة مثلث حلايب رؤية تنموية متكاملة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٨.

(٢٣) من شبكة الإنترنت:

Janet Starkey, Perceptions of the Ababda and Bisherin in the

Atabai, 1999. p. 10-11.

(٢٤) يوسف محمد بيومي: التخطيط الإقليمي و مرجع سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢٥) يوسف محمد بيومي، المرجع السابق، ص ٧٢ - ٨٨.

(٢٦) حمدنا الله مصطفى حسن، العباددة تحت الإدارة المصرية في السودان، مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

(٢٧) حسن كوبر، البجة اليوم، نشرة غير دورية يصدرها مؤتمر البجة بالخارج، العدد العاشر، الكونجرس، مارس ٢٠٠٤، ص ٢، ٣.

(٢٨) زينهم الألفي، جيولوجية منطقة حلايب جنوب الصحراء الشرقية، ص ١١٢، أعمال ندوة مثلث حلايب، رؤية تنموية متكاملة، مايو ١٩٩٧، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٨.

(٢٩) يوسف محمد بيومي، التخطيط الإقليمي كأسلوب لتنمية جنوب شرق البحر الأحمر، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

(٣٠) بدر إبراهيم عبد الباري، التنمية البيئية لجنوب مصر، دراسة خاصة عن الجنوب الشرقي لحلايب، معهد الدراسات والبحوث البيئية، عين شمس، ١٩٩٦، ص ٣٠.

(٣١) مجموعة الأساتذة، دراسة وتطوير وتنمية مصايد الأسماك بمنطقة حلايب وشلاتين وأبو رماد، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٢.

(٣٢) أهرام الجمعة ١٩٩٧/٩/١٩ عندما يتكلم القمر عن الجنوب، تحقيق / عماد حجاب.

الفصل الثالث

المنطقة الثقافية والحدود السياسية

مقدمة:

رغم اتفاق هذه الدراسة مع ما طرحه مفكرو الهامشية حول مفهوم المنطقة الهامشية إلا أننا نسعى لدراسة جماعة بعينها باعتبارها ممثلة للجماعات الهامشية، وجاء تصور مفهوم البيئة ليشكل مفهوم علاقة التفاعل بين البيئة والإنسان بسياقات ملائمة، ومن ثم استوجب دراسة ثقافة هذه الجماعة الإثنية إلى دراسة المنطقة الثقافية.

حيث يغلب على منطقة مثلث^(١) الشلاتين الثقافة الهامشية، هذه الثقافة التي تعبر عن ثقافات هذه الجماعات وجوهر تاريخها، حيث لا يمكن حذف أو تشويه هذه الثقافة أو نسيان الخبرات والتجارب القديمة التي تعبر عن تراث الأجداد وثقافة الأجيال الجديدة. لذلك أشار لينتون linton في محاولة لصقل مفهوم المناطق

الثقافية من خلال تحديد عمقها التاريخي، ويشير مفهوم المناطق الثقافية إلى الامتدادات الجغرافية لبعض الأنماط الثقافية وكذلك إلى الامتدادات التاريخية للتراث المشترك ولهذا فإن تراث المنطقة المشترك هو بناء ثقافي يتميز بالامتداد التاريخي والجغرافي^(٢). والشخصية القومية والثقافية لمجتمع المثلث تظهر بوضوح عند إلقاء الضوء على طبيعة التراث الشعبي والخاص بهذه المنطقة، وخاصة فيما يتعلق بعادات الزواج مما سيرد تفصيلية في ثنايا هذه الدراسة.

وتعرف المنطقة الثقافية بأنها وحدة من الفراغ الجغرافي يوجد فيها ثقافة أو ثقافات متشابهة، وعلى هذا الأساس تصبح مجرد تصنيف فراغي للثقافة تظهر فيه المناطق متميزة من حيث خصائص البيئة والاقتصاد والثقافة المادية وأسلوب الفن ومجموعة القيم الاجتماعية، وهذه كلها سمات ثقافية لا جغرافية، وتتركز في مركز المنطقة ثم تضعف تدريجيا كلما اقتربت من الحافة، ويوجد على الحدود بين منطقتين ثقافيتين جماعات هامشية تجمع بين الخصائص الثقافية لكل منهما، ومما يزيد مفهوم المنطقة الثقافية وضوحا ظهور وحدات ثقافية مختلفة تمايز كل منها عن الأخرى بخصائص معينة، وهكذا يمكن القول بأن المنطقة الثقافية هي المنطقة التي توجد فيها ثقافات متماثلة^(٣).

وقد اهتم علماء السياسة والأنثروبولوجيين بالمناطق الثقافية الحدودية في الوطن العربي، وكانت بؤرة الاهتمام في المجتمع المصري تتركز حول تقسيمه إلى مناطق ثقافية ، حددها على محمد

المكاوي في المناطق التالية:

منطقة الوجه البحرى الثقافية: تضم شرق، ووسط وغرب الدلتا «بيئة ريفية وحضرية».

منطقة الوجه القبلى الثقافية: تضم محافظات صعيد مصر لها خصائص ثقافية واحدة بيئة ريفية وحضرية.

منطقة السواحل: تضم الأقاليم الجغرافية الواقعة على سواحل البحر المتوسط، والبحر الأحمر، وخليج السويس.

والمنطقة البدوية: تقع في صحارى مصر فى الشرق (سيناء الشمالية والجنوبية، والبحر الأحمر، وفى الغرب، (مرسى مطروح، الوادى الجديد) فهى تضم جماعات بدوية لها أصول قرابية واحدة^(٤). وجميعهم ينتمون إلى قبائل تنتشر فى مصر واليمن والسعودية ولم تقض الحدود على الانتماء القرابى المشترك.

المنطقة الثقافية الجنوبية: هى إقليم فى أقصى جنوب مصر وجنوب أسوان يشترك مع إقليم النوبة السودانى أعلى شمال السودان فى ثقافة نوبية واحدة، وعلى الرغم من انتماء بعض أبناء النوبة إلى مصر (النوبة) والبعض الآخر للسودان، إلا أن كلا منهما ينتمى إلى ثقافة واحدة ، وهذه الثقافة تعتبر مزيجا بين ثقافتين ، وكل منهما تمثل ثقافة هامشية لمجتمع هامشى يتصل بكل من النوبة والسودان فى علاقات الجوار والقرابة، والمصالح الاقتصادية، والتجارية المشتركة، وينعزل عن العالم الخارجى، حيث تكونت جماعة هامشية ثقافية ذات تميز وتفرّد شديد الخصوصية.

ومجتمع الدراسة من المناطق الثقافية الهامشية، يقع فى منطقة

الحدود بين الكيان المصرى، والجزء المعمور من السودان^(٥)، فهو يمثل حلقة الوصل والصلة بينهما مما جعل هذه المنطقة تزخر بحركة دائبة منذ القدم، ودراسة المجتمع المحلى الهامشى بالصحراء الجنوبية تعد دراسة تهتم بثقافة هذه الجماعة المتميزة، وعلى الرغم من أنها إطار وحدة سياسية واحدة مع ثقافة وادى النيل، إلا أنها تتميز عن هذه الثقافة فى بعض ملامح التراث الشعبى، وغالبا ما تمثل هذه الجماعة نمطا مختلفا، وربما كان مرجع ذلك إلى العزلة التى فرضتها البيئة الجغرافية، والموقع الذى يحيط بمجتمع الدراسة، مما أدى إلى شدة الولاء والانتماء القبلى الذى ساهم فى عدم قابلية كثير من أنماط هذه الجماعات للتغير، وقد فرضت ظروف تنمية مصر ضرورة التقدم والتغير ومحاولة إدماج هذا المجتمع الهامشى فى المجتمع المصرى الذى يعيش فيه، ولأن الحدود السياسية تربط بين هاتين البيئتين المتشابهتين طبيعيا واقتصاديا ، فقد استمرت العلاقة قوية ووطيدة بينهما إلى أن فرضت الظروف السياسية حدودا اصطناعية فاصلة بين مصر والسودان.

وقد عرف هيرسكوفيتس Herskovits مفهوم الثقافة الهامشية أنها هى الثقافة التى توجد فيها عناصر ثقافية من منطقة مجاورة، ويضيف أنه بينما تشبه هذه الثقافات ثقافات الشعوب التى يعد أسلوب حياتها طرازيا أو مركزيا، فإنها تختلف عنها بدرجات متفاوتة تبعا لبعد بيئتها الطبيعية عن البيئة الطبيعية للقبائل المركزية، حيث تعنى الثقافة الهامشية تلك الثقافات الواقعة على تخوم مراكز حضارية متقدمة، وتستخدم بمعنى مغاير تماما لتشير إلى الثقافات

التي ظلت على بدائيتها ، أى القديمة، فتعد السمات الثقافية «هامشية» أيا كان مكانها، الأمر الذى أدى إلى ظهور مصطلحات مثل: هامش داخلى، وهامش فرعى Sub marginal ، ومن الإساءة البالغة إلى المصطلح تعريف الهامشى بالقياس إلى المراكز الثقافية، وقد صدر هذا الرأى بالنظر إلى الأبحاث الإثنوجرافية والأثرية التى أجريت فى أمريكا الجنوبية، وإن شمل مجالها أيضا بعض الدراسات المتصلة بتاريخ الثقافة فى أماكن أخرى^(٦).

الحدود الإثنوجرافية والحدود القومية

تعتبر الحدود السياسية الإثنوجرافية أفضل الحدود جميعا، ذلك أنها تفصل بين الشعوب بعضها البعض الآخر ، فالحدود السياسية فى العالم ما يتفق والحدود الإثنوجرافية، ويرجع هذا إلى عاملين رئيسين هما:

أولاً: الاختلاط والتداخل بين الشعوب بعضها البعض الآخر بحيث لا يمكن عمل فاصل واضح وعازل بينهم، وهذا معناه أنه لا يمكن تخطيط الحدود التى ترسم لفصل الشعوب فصلا دقيقا ومن ثم نجد كثيرا من الشعوب تتوغل داخل حدود شعوب أخرى مجاورة.

وثانياً: أن تخطيط الحدود عادة ما يتم على أسس غير إثنوجرافية، بل على أسس المصالح الاقتصادية والحربية، فمثلا أعيد تخطيط الحدود فى كثير من جهات وسط وشرق أوروبا، وعملت استفتاءات لمعرفة رغبات الشعوب ومع ذلك فقد كان هناك ما يزيد على ثلاثة ملايين ألمانى، ٧٠٠ ألف مجرى ، ٨٠٠ ألف بولندى داخل حدود تشيكوسلوفاكيا، كما ترك نحو ٩٠٠ ألف ألمانى داخل الحدود

البولندية، و٤٢٠ ألف ألباني داخل حدود يوغسلافيا.

فالحدود السياسية يمكن أن تفصل بين الشعوب فى بعض الحالات كأن يكون الأساس الذى يعتمد عليه فى تخطيط الحدود هو الفصل بين شعبين متجاورين ، ومن الحالات التى تفصل فيها الحدود السياسية بين الشعوب أيضا إذا جاء تخطيط الحدود بين شعبين متجاورين ومضى عليها مدة طويلة من الاستقرار فى المنطقة كالحدود بين فرنسا وأسبانيا، ومنها أن يكون تخطيط الحدود سابقاً لوصول العناصر البشرية على جانبيه. كالحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية وغرب البحيرات العظمى.

فمصر بحكم موقعها الجغرافى تتمثل فيها المجتمعات الحدودية فى ثلاث مناطق وثلاثة اتجاهات، وهى الجماعات البدوية التى تعيش على الحدود المصرية الليبية من ناحية الغرب ، والجماعات القبلية وشبه القبلية التى تعيش فى المناطق الشرقية من سيناء بالقرب من الحدود بين مصر وفلسطين، وفيما يختص بالمنطقة الجنوبية والتى تسكنها تلك الجماعات القبلية الهامشية، التى تعيش على الحدود التى رسمها الاستعمار والمشكلات الناجمة عن تقسيم الجماعة القبلية الواحدة بين أكثر من إقليم إدارى، والتى تعكس فهما لمشكلات المنطقة (٧). والتى تكشف لنا عن طبيعة المشكلات الأساسية التى تعانى منها الجماعات التى تعيش فى تلك المناطق بوجه عام ، خاصة وأنها جماعات قبلية قد يكون بينها فوارق واختلافات عرقية أو تاريخية ولغوية، ولكنها تنطوى تحت نمط بنائى وتنظيمى موحد بحكم الموقع الذى تحتله منطقة الدراسة.

وعلى هذا الأساس أصبح الحد السياسى بين مصر والسودان خطا مستقيما يتبع خطا فلكيا ويقطع استمراراً طبيعياً وبشريا بين الشمال والجنوب، وإذا تتبعنا هذا الخط من الغرب إلى الشرق نجد أنه يمر فى الصحراء الغربية باللامعمور، ولا توجد حركة أو نشاط فى هذه المنطقة إلا عن طريق درب الأربعين الذى يتبع خطا من الواحات والآبار بين الفاشر وأسيوط والذى كانت أهميته فيما مضى أضعاف أهميته حالياً، طريق للتجارة بين مصر والسودان، وأصبحت أهميته مقصورة الآن على تجارة الإبل^(٨).

أما التخوم فعبارة عن مساحات من الأرض يمكن القول بأنها طبيعية لأنها أجزاء من سطح الأرض، ولا يمكن تحريك التخوم أو زحزحتها سواء كانت طبيعية أولغوية أو دينية. أما الحدود منها خطوط اختارها وحددها الإنسان وهى تتغير وتتبدل ولا تظل على حال^(٩).

ولاشك أن خط الحدود يقسم أبناء قبيلة البجا إلى قسمين كخط الحدود الهندسى الذى يفصل بين القبائل البشارية فى كل من مصر والسودان هو الأمر الذى يعارض أهم شروط وضع الحدود وهو احترام الاعتبارات البشرية وللتغلب على هذه الصعوبات قد توضع لمناطق الحدود نظم خاصة تعفى سكان هذه المناطق من القيود المتبعة عند عبور الحدود خاصة حين يضطر الرعاة إلى التنقل بحيواناتهم بحثاً عن موارد المياه والكأ فتصبح هذه الحدود المفروضة أمراً عسيراً.

فمنطقة الحدود الدولية الفاصلة بين مصر والسودان تعيش فيها

جماعات هامشية تعاني من مشكلة الهوية الاجتماعية، ومقومات هذه الهوية وعناصرها هؤلاء البدو أنفسهم، فكثيرا ما تدفعهم الظروف الإيكولوجية إلى اجتياز هذه الحدود مما ينشأ عنه الكثير من المشاكل فهم يحملون هوية رسمية - غير هويتهم القبلية - وامتازهم وولاءهم القبلى الذى يظهر بوضوح فى إجاباتهم الصريحة فى بعض عناصر التراث الشعبى، وخاصة فى عاداتهم الغذائية التى تستعير بعضا من عناصر الثقافة السودانية، وحتى فى أقاصيصهم وحكاياتهم الشعبية، فإنها تتشابه مع بعض الحكايات السودانية، وتتشابه أقاصيصهم وحكاياتهم الشعبية، فإنها تتشابه مع بعض الحكايات السودانية، وتتشابه منطقتهم فى ظروفها وجبالها المرتفعة التى تنبت عليها أشجارها البرية ونباتاتها الطبية، وفى حياتهم اليومية المرتبطة بالبيئة الصحراوية، وأما ثقافتهم المرتبطة بالزواج فهي بمثابة عامل مشترك للتشابه البيئى فى منطقة الحدود وشلاتين، وبين المنطقة التى تقترب منها وتجاورها حدوديا، ولا يعنى هذا التجاور أن المنطقة تمثل منطقة سودانية.

وحتى عهد قريب لم يكن لدى أبناء المثلث وعى بمفهوم الحدود أو التبعية السياسية، وقد بدأت بوعى أبناء هذه المنطقة بأنها جزء من أرض مصر حين بدأ عمليات التنمية من قبل الحكومة المصرية، فقد كان إدراكهم لتاريخهم وأجدادهم وأرضهم هو الهدف من ولأهم للأرض وللقبيلة، بغض النظر عن الهوية الرسمية المعبرة عن وجودهم الرسمى فى المنطقة ببطاقات شخصية بالجنسية المصرية. وأبناء المثلث ينظرون إلى السودان حاليا على أنها بلد جوار

يرتبطون بها ثقافيا، فهذه الحياة بعاداتها وتقاليدها مرتبطة بالثقافة السودانية، ويبدو أن إدراكه لكل ما حوله من معطيات للبيئة، ولعناصر الحياة والمعيشة، ترتبط بالسودان والمجتمع السودانى، هذا بجانب علاقاته المباشرة وسلوكه الاقتصادى فى الأسواق، وفى عمليات الرعى والارتحال، وتوفر الماء والعشب فى الأرض السودانية، وعمليات التجارة والبيع والشراء من السودانين إلى منطقة الشلاتين، حيث لديه ارتباط قوى بالسودان لأنه يبدأ اتصاله الثقافى به منذ أول الحياة، حتى آخر حياته، ولذلك يميلون كل الميل إلى السودانين.

وهذا بعكس الصورة التى وضحتها السيد فليفل فى بحثه عن أبناء مثلث حلايب إذ يقول : إن أبناء جنوب مصر لاسيما العبادة بأسوان يميلون للمصريين، ولا يميلون إلى السودانين^(١٠). ولا تعرف المقصود بالميل هنا (الحب) أم المقصود (الولاء)؟

فالشواهد الميدانية تؤكد حب أبناء منطقة الشلاتين لأقاربهم وعلاقات الصداقة والمحبة لأبناء السودان وتظهر درجات الوعى التاريخى لأبناء المثلث بإدراكهم لأهمية القيادات التاريخية المصرية، وذلك بعد التمسير (ودخول الحكومة المصرية بمشروعات التنمية وخدماتها للمنطقة) أما إدراكهم للقيادات السودانية فقد كان أكثر وضوحا منذ بداية الأمر، فقد جعلوهم يدركون الماضى السودانى، وتاريخه السياسى، مع أنهم لا ينتمون رسميا إلى السودانين، بل ينتمون إلى أرض مصر وشعبها ، وينتمون ثقافيا للسودان ومصر، فهم خليط بين الذاكرة المصرية والسودانية، ومن بين أبناء المثلث من

يحفظون أسماء شعراء السودان الذين يتغنون بالشعر والحماسة وبتولاتهم القبلية، وحروبهم التاريخية ضد القبائل الأخرى.

وقد يلعب الحضور الإعلامي القوى المتمثل في الإذاعة والتلفزيون دوراً حاسماً في دعم الوعي التاريخي المصرى لدى أبناء المثلث، وقد يسهم في الحس الثقافي العربى بشكل خاص وعلى هذا فإننا نجد أبناء المثلث يتعرفون على الشخصيات الفنية (مثل أم كلثوم، عبد الوهاب) وبعض الفنانين المعاصرين (ليلى علوى، أحمد زكى) وقد لوحظ أن المنطقة تتعرض - رغم قوة النافذة المصرية التي يطل عليها الإعلام المصرى على جنوب البحر الأحمر - لكل التيارات الثقافية الوافدة وقنوات الاتصال الدولى لدول الجوار، مما يستدعى - حسب رأى بعض الباحثين - تكثيف الوجود الإعلامى المصرى ليس فقط لمجابهة هذه التيارات، بل لتكون حلايب منطلقا للتيار الثقافى المصرى فى جنوب البحر الأحمر ، حيث يستدعى الأمر زيادة تقوية القنوات المحلية المصرية التى يقع الإقليم فى نطاقها مثل قناة جنوب الصعيد^(١١).

إن البث السودانى للإذاعة المسموعة والمرئية فى المنطقة تزايد مما جعلهم يدركون أسماء الشخصيات والقيادات من السودانين، والمسلسلات السودانية.

إن مفهوم الوطن لدى أبناء المثلث ينصرف إلى مصر، فشرف الانتماء إلى مصر لا يعادله شرف، إنما ليس مسألة اختيار بين ولاين تفرضه عملية امتداد الإدارة المصرية إلى المنطقة فى مطلع التسعينيات، بل إنهم يعتبرون أن هذا الإجراء ما هو إلا إجراء

تصحيحى لواقع فرضه الاستعمار البريطانى وكان ينبغى أن يزول بزواله.

إذن فمفهوم الوطنية لدى أبناء المثلث يعنى الأمن والأمان للأرض والمكان بغض النظر عن الحدود، فمهما تستغرق رحلة الرعى من وقت، فهم يعودون إلى الراحة والأمن فى موطنهم الأصلي مكان آبائهم وأجدادهم، الذى لا يستطيعون التخلّى عنه أو البعد عنه، فهو تراث وتاريخ جماعة لها عزتها وكرامتها فى موطنها وأرضها، والتي تعد من الأراضي المصرية الغالية^(١٢).

فأهمية هذا الموقع لمنطقة شلاتين ليس فقط كمنطقة حدودية تأخذ دور المعبر والطريق بين شمال وجنوب وادى النيل، بل بين مصر ووسط أفريقيا (وهى كذلك تعتبر المدخل الجنوبى لمصر، مما أدى لقيامها بدور الوصل بين مصر وجيرانها فى الجنوب، وفى شمال السودان، وسيزداد هذا الدور تأكيداً بأنها منطقة حدودية استعارت من ثقافات المناطق المجاورة (منطقة النوبة) المصرية والسودانية عناصر ثقافية، مما خلق ثقافة متميزة تسمى ثقافة الحدود، فهى خليط متنوع من عناصر ثقافية شديدة التجانس استطاعت أن تتشابه من خلال تشابه البيئة الطبيعية والتي نسجت ثقافة متجانسة ذات تفرد شديد الخصوصية، كما أن العزلة التى فرضتها هذه الجماعة على نفسها بسبب ظروفها البيئية والخوف من الاتصال، أفرز ثقافة خاصة، وتأكيداً لوجود هذه الثقافة فإننا نجدهم أكثر تمسكاً بها، رغم وجود عناصر ثقافية جديدة، ورغم جهود الحكومة فى إحداث تغيرات. ومازال أهالى المنطقة يحتفظون بثقافتهم وتراثهم

الشعبي المادى والمعنوى، فبقاء اللغة وثباتها دون تغيير فى عناصرها الأساسية كان ذلك دليلا واضحا لبقاء الثقافة الخاصة واستمرارها ، إلا أن الاحتكاك بالعالم الخارجى كان سببا فى تشكيل بعض العناصر الجديدة وجعل هذه المنطقة تعمل على إحداث تغيير بطيء ولكن دون المساس بالبناء الاجتماعى لهذه الجماعة.

الهوامش

- (١) منطقة المثلث، ويقصد بها مدينة الشلاتين، أبو رماد، حلايب.
- (٢) شارلوت سيمور سيموث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٤.
- (٣) إبراهيم مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٥٧٣.
- (٤) على محمد المكاوى: البيئة والصحة، مرجع سابق، ص ٤٥، ٤٦.
- (٥) انظر الخريطة الخاصة بموقع مدينة الشلاتين.
- (٦) ايكة هولتكرانس ، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامى، الطبعة الأولى، دار المعارف ، ١٩٧٢، ص ١٦٧ - ١٦٨.
- (٧) فاروق أحمد مصطفى، التقرير النهائى المعدل لمشروع الحاجات الاجتماعية لسكان المناطق الحدودية الجنوبية (شلاتين أبو رماد حلايب) مرجع سابق، ص ب.
- (٨) محمد عبد الغنى سعودى، محمد محمود الصياد، السودان، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ص ١٢.
- (٩) جورج جوفى، النزاعات الحدودية العربية والتداعيات على الأمن العربى، المركز العربى للدراسات الاستراتيجية ، العدد العاشر ، ١٩٩٧، ص ١٩.
- (١٠) السيد فليفل: أبناء مثلث حلايب نظرة تحليلية فى الوعى التاريخى، ص ١٦٦، أعمال ندوة مثلث حلايب، ١٩٩٨، مرجع سبق ذكره.
- (١١) السيد فليفل: أبناء مثلث حلايب نظرة تحليلية فى الوعى التاريخى، ص ١٧١، أعمال ندوة مثلث حلايب، مرجع سبق ذكره.
- (١٢) السيد فليفل: أبناء مثلث حلايب ، نظرة تحليلية فى الوعى التاريخى، ص ١٦٤، مرجع سبق ذكره.

الباب الثانى

أشكال التفاعل بين الإنسان والبيئة

الفصل الأول

المدخل الثقافي للتفاعل بين الإنسان والبيئة

الإنسان والبيئة هما طرفا المحور الذى تدور حوله الدراسة، وللبداوة مستويان أحدهما مادي والآخر بشرى، ونعنى بالمحتوى المادى مختلف الظروف والعوامل الاقتصادية والجغرافية الطبيعية التى تشكل سمة الحياة الرئيسة فى أى مجتمع بدوى، ونعنى بالمحتوى البشرى، الناس والحياة والبدو بكل ما ينظم حياتهم من معتقدات وعادات وقيم ونظم ونماذج سلوك.

فالبداوة لم تعد نمطاً للحياة وحيدا فى أى مجتمع من المجتمعات المعاصرة، ولكنه غير موجود الآن، حيث صارت المجتمعات البدوية الآن مجرد جيوب متخلفة كما يحلو للبعض أن يسميها، وقد لا توجد بداوة فى المجتمعات الأوروبية^(١)، فظاهرة البداوة تظهر بوضوح فى منطقة الشلاتين حيث إن العزلة المكانية كانت طابعا مميزا للبداوة، وسببا من أسبابها وأداة تأصلها في آن واحد وذلك بما فرضت على

البدو من ثقافة خاصة تتسم بالتفرد والخصوصية.

فخصائص البداوة تتمثل فى بساطة الجماعة البدوية وعدم استقرار البيئة والكائن الحى بسبب الترحال، وارتباطها بفقر الموارد البيئية الطبيعية، والاستجابة البطيئة للتغيرات، ويظل البدو محافظين على أنسابهم وأصولهم السلالية عن طريق ممارسة الزواج الداخلى وذلك لتدعيم الأصول القبلية والثقافة البدوية، الخاصة بالجماعات المتجولة التى ينتسبون إليها وهويتهم السلالية^(٢).

فتمط الحياة البدوية كان نتيجة لإمكانياتهم المحدودة وظروف الطبيعة المحيطة بهم التى حدثت من تطلعاتهم ، وجعلت آفاقهم مرتبطة بعالم محدود، وأحاطت بهذا العالم المغلق قيم وعادات وتقاليد أدت إلى جعل استجابة البدو للتغير تتسم بالبطء والحذر لعدم التخلّى عن الموروثات الثقافية والاجتماعية وإيماننا منهم بمبدأ من أتى بقوت يومه فكأنه ملك العالم بأكمله ، وإيماننا بالحفاظ على هوية هذه الجماعة.

فالانعزالية والتجانس يجعلان المجتمع مكتفيا بذاته، شديد التضامن الاجتماعى، ويسبب جمود البناء الطبقي، وقوة الأعراف والتقاليد التى تعتبر أساسا للبناء الاجتماعى^(٣). من هنا يكون انفتاح المنطقة على محافظات الجمهورية، ومجتمعات الجوار - والتى تربطهم علاقات القرابة - محكا أساسياً لمرونة التفكير والجمع بين التقليدية والأخذ بعناصر التحدث والتغير، ثم إن حركة المواصلات والجهود المبذولة فى مشروعات التنمية والتوطين قد لاحقت أبناء المجتمع فى الاتصال بالمجتمعات ، وبالتالي إخضاع جوانب المجتمع

إلى عملية التغير، فقد كانت جهود الدولة فى تنمية المنطقة جهودا كثيرة ومتلاحقة بداية من ربط المنطقة بباقى أجزاء الجمهورية ونهاية بتحقيق المغزى والهدف فى ربط الإقليم الهامشى بمحافظات الجمهورية ونهاية بتحقيق المغزى والهدف فى ربط الإقليم الهامشى بمحافظات الجمهورية إداريا واقتصاديا.

إن التفاعل بين الأفراد والجماعات البدوية التى تسكن البيئة الصحراوية - أيا كان هذا التفاعل سلبا أو إيجابا - يعكس الاتجاهات التى يرسمها الفرد فى هذه الجماعة البدوية ليتحقق التوازن بينه وبين البيئة ، وذلك من خلال انتمائه لهذه الجماعة البدوية وثقافته.

وقد اختارت الباحثة المدخل الثقافى لدراسة هذا التفاعل بين الإنسان والبيئة: بما أن الثقافة البدوية تحوى عناصر ثقافية مادية ومعنوية تدخل ضمن تحليل عناصر التراث الشعبى ، فإن تفاعل الإنسان مع بيئته يعكس لنا الثقافة والبناء الاجتماعى الذى يتفاعل مع الإيكولوجيا، فهو المدخل الذى يبرز دور الإنسان الفعلى، وذلك من خلال الدمج بين جهود الإنسان وأفكاره وإبداعاته وبين موارد البيئة ومعطياتها فى خلق الثقافة المعنوية والمادية. فالإنسان استطاع تسخير موارد البيئة وإخضاعها لصالحه ليخلق إبداعات فنية وذلك لاستخدامها فى حياته اليومية، والتى تعلن عن علاقة تفاعلية وتبادلية التأثير بين الثقافة الخاصة بهذا المجتمع وبين موارثه المتميز الذى يعكس طبيعة ثقافية اجتماعية خاصة.

وعندما حدد جولييان ستيوارد موضوع الإيكولوجيا الثقافية بأنه

دراسة العمليات التى يتم على أساسها تكيف أى مجتمع مع بيئته، فقد أوضح فى الوقت نفسه ضرورة استخدام أساليب مناسبة فى البحث والتحليل تكشف عن طبيعة هذه العمليات، ولكى يتم هذا التحليل - الذى يصفه «ستيوارت» بأنه إمبريقى - لابد من توفر نوع معين من البيانات التى تمثل أطراف العلاقة فى عملية التفاعل، بعضها عن العوامل البيئية، وبعضها عن العوامل الثقافية، وكذلك عن البيئة الاجتماعية بمظاهرها المختلفة، ومثال لهذه البيانات كثافة السكان وكيفية توزيعهم، ونوع الجماعات السكانية ومدى استقرارها، وارتباط المجتمع بالموطن الأصلى والعلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية السائدة^(٤).

ويرى علماء الإيكولوجيا الثقافية أن هناك أربعة مجالات رئيسية ضمن المجتمع تتأثر بشكل خاص بالبيئة الفيزيائية له وأوضاعها ، وهى:

- * تقسيم العمل: ويتضمن تقسيم العمل على أساس «الجنس - العمر (السن) - الواجبات المنجزة - والإقامة بالمجتمع من عدمه.
- * حجم واستقرار الجماعة السكانية: وتتضمن مدى وفرة الغذاء، الحيز المكانى ونمط الملكية أو الحيازة.
- * توزيع الجماعة السكانية فى فضاء المجتمع: ويتضمن وفرة الغذاء/ الماء، القرب من مصادر المياه/ الأنهار ، المسافة بين الجماعات لأسباب اجتماعية/ أو ثقافية، قواعد القرابة والزواج.
- * قواعد السكنى أو الإقامة: وتتضمن أيضا تقسيم العمل على أساس الجنس، وسيطرة الذكور وغيرها^(٥).

وتحاول الدراسة التعرف على العمليات التكيفية التى تتأثر بها طبيعة المجتمع والعديد من الملامح الثقافية فيه، نتيجة لتكيف الإنسان مع بيئته وإمكانياتها المتاحة وأيضا التعرف على آثار العوامل البيئية على النظم الاجتماعية فى مجتمع الدراسة، وبخاصة ما يتعلق منها بموضوع دراستنا الحالية.

إن تناولنا عادات الزواج كمرحلة من دورة الحياة يرجع إلى أنها من المراحل المهمة التى ترتبط بالبناء الاجتماعى والثقافة المحلية السائدة فى مجتمع الدراسة، فمرحلة الزواج يظهر فيها التأثير المباشر لإيكولوجيا المجتمع، وتعد شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعى الذى يدخل ضمن نظام اجتماعى قوى راسخ للحفاظ على وجود الإنسان من أجل البقاء ومن أجل التعبير عن هويته.

فهناك علاقة وظيفية بين استغلال موارد البيئة لوسائل الإعاشة والإطار الاجتماعى الذى يحدث ذلك فيه لقيام بناء اجتماعى كامل له قيمه وقواعده السلوكية ونظمه ووسائل التعبير عن هويته^(٦). فالارتباط بين الجماعة والأرض ينعكس على طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة، ومن أهم هذه العلاقات القرابة، وفى مقدمتها الزواج.

واحتفالية الزواج من عادات وتقاليد دورة الحياة، ملتزمة بالسياق الاجتماعى والثقافى، وهى مرآة عاكسة لثقافة هذه الجماعة، وذلك من خلال التفاعلات بين الإنسان والبيئة عن طريق أشكال السلوك الظاهر والكامن فى هذه الجماعة، والتى تتداخل فى نسيج الثقافة الشعبية.

النسق القرابى والبيئة

ما زالت القرابة أحد أهم موضوعات الدراسات الاجتماعية حتى فى مجتمعاتنا المعاصرة، والتي تمثل فيها الاستقلالية والذاتية الفردية قيمة عالية، ويشير الأنثروبولوجيون إلى أن دراسة نسق القرابة، وما يتصل به من موضوعات، يعد حجر الزاوية لبناء فهم واضح لأبنية المجتمعات التى يدرسونها وثقافتها، لذا فهى تقدم بعض المبادئ العامة تصلح أساساً للتحليل لموضوع دراستنا، ومنها فهم النسق القرابى والزواج وإجراءات الزواج ومحدداته، وعادات احتفالية الزواج والموسيقى والرقص فى هذه الاحتفالية.

ولذلك يحتل موضوع القرابة وما يتصل به من مشكلات تتعلق بالزواج والعائلة مركزاً رئيساً فى الدراسات الاجتماعية بشكل عام، والأنثروبولوجية بشكل خاص، والتي كانت تهتم بدراسة المجتمعات التقليدية فى المحل الأول حتى عقود قليلة مضت، وربما كان السبب الرئيسى فى اهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة القرابة هو الدور المهم الذى تلعبه روابط القرابة فى حياتنا اليومية، كما تعد موضوعات الزواج وأشكال العائلة ومشكلاتها من أكثر الموضوعات جذبا لانتباه العلماء واهتمامهم، وبرغم كثرة ما كتب فى ميدان دراسات القرابة، إلا أنه مازال يفتقر بشكل ملحوظ إلى نظرية عامة يمكن فى ضوءها تحليل وفهم وتفسير أنساق القرابة المختلفة^(٧). وذلك على الرغم من أهمية موضوع القرابة فى مجال الأنثروبولوجيا فهى - كما يقول «نيدهام» - بالنسبة إلى الأنثروبولوجيا كالمنطق بالنسبة للفلسفة وكذلك فكما يشير كثير من العلماء إلى أن الفهم الأفضل للبناء

الاجتماعى للمجتمعات التقليدية لا يتأتى إلا بالبدء بتحليل نظم القرابة فيها^(٨).

ومهما يكن من شئ فإنه من الصعوبة بمكان الفصل بين القرابة من ناحية والزواج والعائلة من الناحية الأخرى، حين ندرس المجتمع التقليدى، كما أن فهم موضوع الزواج وإجراءاته وتنظيماته لن يتم بدون فهم واضح ليس لنسق القرابة وحده وإنما لكافة مناشط حياة المجتمع الاقتصادية والثقافية والدينية، ويبقى أن نقول إن نظرية ليفى ستراوس كغيرها من النظريات البنائية لا تفسر وجود أى نظام اجتماعى، فالوظيفة الأساسية لا تفسر سبب وجود النظام وإن كانت تدعم استمراره فى الوجود.

ويكاد يقتصر الاهتمام بدراسة أنساق القرابة على علماء الأنثروبولوجيا الذين يوجهون معظم اهتمامهم إلى المجتمعات التقليدية، حيث يدرسون فيها الأنساق الاجتماعية المختلفة، بما فيها القرابة وما يقوم بين هذه الأنساق من تفاعل وتشابك بقصد فهم البناء الاجتماعى العام لتلك المجتمعات^(٩).

والقرابة هى الدعامة الأساسية فى البناء الاجتماعى للمجتمعات القبلية والتي تنعكس بوضوح فى كافة النظم القبلية، فهى تملئ على الأفراد مجموعة من الالتزامات، كما تحدد أنماطاً من السلوك المتوقع من الفرد تجاه الجماعة التى يعيش فى نطاقها، فالقرابة من وجهة نظرهم هى مزيد من روابط الدم والالتزامات الاقتصادية والحقوق والواجبات الاجتماعية والسياسية والشعائر الدينية والمعايير الأخلاقية.

وتلعب القرابة فى المجتمعات القبلية دورا متميزا إذ تصبغ العلاقات الاجتماعية بالطابع الاقتصادى ، كما أن النظم الاجتماعية فى هذه المجتمعات تدور فى فلك القرابة، فكل شىء فيها للقرابة أثر عليه، ومن ثم فهى مجتمعات قرابية فى المحل الأول، وتعتمد على الضبط الاجتماعى لتسوية نزاعاتها.

وتقوم القرابة على علاقات الدم، أو العلاقات العاصبة وعلاقات المصاهرة عن طريق الزواج، فالقرابة فى المجتمعات التقليدية أحد العوامل الهامة التى تنظم سلوك الأفراد فيما بينهم بحيث يمكن تكوين أنماط محددة من السلوك تشير إلى كل علاقة قرابية^(١٠).

ولفهم أية سمة من سمات الحياة الاجتماعية لأى مجتمع، والمعرفة الثقافية لأعضائه لابد من معرفة النسق القرابى وما يندرج تحته، ومن خلال ذلك يمكن معرفة صور وأشكال التفاعل بين الإنسان وبيئته، ولابد من دراسة نسق القرابة وإلقاء الضوء على النظم الاجتماعية التى يستطيع بها الأشخاص أن يعيشوا معا فى مكان واحد، أو يتعاونوا معا فى كافة نواحي الحياة من خلال التفاعلات اليومية، حيث يظهر تأثير العوامل الإيكولوجية فى التنظيم الاجتماعى.

ولا يتم فهم القرابة ووظيفتها فى البناء الاجتماعى إلا عن طريق دراسة سلوك الأقارب والأصهار بعضهم إزاء بعض، سواء فى الحياة اليومية أو العائلية أو الشئون الاقتصادية أو المشكلات القانونية أو غير ذلك من أحداث الحياة الاجتماعية، واتساع نطاق القرابة يستوجب التمييز بين نوعين من الأقارب: الأقارب العاصبون

وهم الأشخاص الذين يرتبط بعضهم ببعض بروابط القرابة عن طريق الذكور، والأقارب عن النسب والمصاهرة، أو ذوى الأرحام وهم الأقارب الذين ينتمون إلى مجتمع أبوى ويكون نظام الانتساب فيه عن طريق الذكور ولكنهم يرتبطون فيما بينهم بروابط قرابة عن طريق النساء^(١١).

ويتأثر الكيان الاجتماعى لقبائل منطقة الشلاتين إلى حد كبير بالصلات القرابية أى تلك التى تقوم بين العائلات داخل نطاق القبيلة، سواء كانت قرابة عاصبة أو بالمصاهرة، وتحدد هذه الصلات شكل النظم الاقتصادية السائدة لديهم، سواء كان ذلك بتوزيع الثروة بين الذكور، أو فى ملكية العيون والآبار التى يشترك فيها الأقارب العاصبون بتحديد مناطق للرعى، والنمط السائد عند قبائل منطقة الشلاتين هو القرابة فى خط الذكور، أو القرابة العاصبة.

١- العشيرة

استخدم هذا المصطلح بمعان مختلفة فى كل من الأنثروبولوجيا البريطانية والأنثروبولوجية الأمريكية، فالأنثروبولوجيون الأمريكيون من أتباع مورجان يطلقون هذا المصطلح على الجماعة التى تقوم على أساس الانحدار من خط انتساب واحد يمتد عبر الإناث، بينما أطلقوا مصطلح العشيرة الأبوية على الجماعة التى تقوم على أساس الانحدار من خط انتساب واحد يمتد عبر الذكور، وقد استقر مفهوم العشيرة على أساس روابط الانتساب التى ترجع إلى سلف مشترك بعيد، لكنها لا تعرف على وجه الدقة درجة علاقتها بهذا السلف أو هؤلاء الأسلاف، ويتضمن استخدام مصطلح العشيرة بهذا المعنى

وجود أنماط متعددة ومتمايزة من البدنات^(١٢). ويتكون مجتمع الدراسة من عدة قبائل، وهى نتيجة تلاحم قبائل العباددة والبشارية كزوج من قبيلة البجا، حيث تركزت هذه القبائل فى المنطقة وامتدت إلى حدود مصر والسودان وأريتريا، وتنمو القبيلة بظهور أجيال جديدة تحدث عملية أخرى من الانحدار الجينولوجى للقبيلة وهى إدماج عدد من الأجيال المتعاقبة فى جيل واحد، وهى الأجيال التى ينتمى إليها مؤسسو البيوت ليظهروا كإخوة أبناء السلف الواحد.

وإذا كانت هذه التجمعات العشائرية تدرك ذاتيتها ككيانات متميزة لها مسمياتها الخاصة (الاسم القبلى أو العشائرى) فإن هناك تجمعات أخرى (مثل الرشايدة) ليست لديهم معرفة واضحة عن أصولهم وتحركاتهم أو حتى هجراتهم القديمة التى يمكن أن توضح لنا التنوع السلالى للقبيلة، وإن كانت جماعة البجة تمثل فى حد ذاتها وحدة سلالية أو عرقية، وقد ساعد على ذلك عزلتهم المكانية واختلاف لغتهم. وقد ظهرت العديد من المشكلات بين الرشايدة وبين العباددة والبشارية والتى كانت سببا لهذا التنوع السلالى، إن ما نريد أن نؤكد هنا أننا بصدد جماعات عشائرية تحدد هويتها أو تدرك ذاتها كوحدات بنائية ترتبط بوحدة وأصول سلالية وثقافية متباينة، والاختلاف الثقافى هو الذى دفع الأنثروبولوجيين الذين يرحلون من مكان لآخر بحثا عن هذا الاختلاف الثقافى لدى معاصريهم من الشعوب والجماعات، وهم يدركون أن هناك سمة عمومية للحاجات الإنسانية وأن الإنسان - فى كل مكان وأيا كانت ثقافته - يحتاج إلى مجموعة من الحاجات

الأساسية يعمل على إشباعها كالحاجة إلى الطعام والحماية والمأوى وإلى الإشباع الجنىسى، فتسعى كل ثقافة إلى تحقيق احتياجاتها بوسائلها الثقافية الخاصة^(١٣). فكل الثقافات تتشابه فى هذه الاحتياجات ولكنها تختلف فى أشكالها ورموزها، وممارستها للاحتفالية.

ومع وضوح هذه الذاتيات وتمييز أفرادها بسهولة، فإن العشيرة تحدد مجال التفاعل بصفة خاصة فى مجالين:

الأول: الزواج الاغتربى Exogamy ويقصد به تلك القاعدة الاجتماعية التى بموجبها يتم اختيار شريك الزواج والتى تتطلب أن يتم الزواج بشخص ما خارج جماعة اجتماعية محددة ومعروفة تماما مثل الأسرة النووية أو البدنة^(١٤). وانتهاك القواعد المتعارف عليها فى هذا الصدد سوف يؤدى إلى أمراض حادة، ومن ثم فإنه ينبغى على الأفراد عدم انتهاك قواعد الزواج المقبول والمعترف به^(١٥). إلا أن الواقع يؤكد أن سيادة أنماط من الإندوجامية بين العائلات أو الإندوجامية الإثنية كان سببا أو مبررا لدعم الآثار البيولوجية للزواج والمتمثلة فى الأمراض الوراثية ووفيات الأطفال وذلك على عكس اعتقاد أبناء القبيلة وإيمانهم بأن الزواج بين أفراد العائلة الممتدة سوف يجنبهم مواطن الشك فيما يتعلق بالخصائص الصحية والأسرية غير المرغوبة فى حال زواجهم.

الزواج الداخلى الانضوائى: Inter-marriage يشير هذا المصطلح إلى زواج رجل وامرأة ينتميان إلى جماعتين متميزتين على أساس إما الانتماء الدينى، أو الأصل العرقى، أو الإثنى أو السلالى

أو الحدود القطرية الدولية أو على أساس خليط من كل هذا، ويضيف البعض إلى ذلك الزواج عبر الطائفة أو عبر الطبقة إلى تلك الأنماط السابقة الخاصة في تلك المجتمعات التي تتميز بقلّة أو انعدام فرص الحراك الاجتماعي داخلها^(١٦). والأشخاص المتزوجون في ظل هذا النمط، إنما بفعلتهم تلك يكسرون قواعد محددة للاندوجامية داخل جماعاتهم.

وهذا الزواج ليس زواجا اغترابيا بالمعنى المصطلحي للكلمة، فهو إن كان زواجا يتم خارج الجماعة إلا أن الزواج (الاغترابي) إنما يتضمن موافقة الجماعة بل وقيامها بتحديد القواعد الحاكمة والتي تقصر الزواج على خارج الجماعة وأحيانا على جماعات خارجية بذاتها، بينما يتضمن هذا الزواج عبر الجماعات كسرا لقواعد الجماعة.

وتكشف الدراسة أن الزواج عبر الجماعة نتاج للاحتكاك والاتصال الثقافي مما يدعم حدوث هذا الزواج، فوجود بعض من الحالات لدى جماعات لم يكن بها عهد بذلك، فقد ترفض ثقافتها وأعرافها مثل هذا النمط من الزواج وذلك حين تتصل هذه الجماعات بنفس الجماعة القرابية في حدود دولية فهو يمثل زواج أقارب الدم ويضمن شكل إندوجامية البدنة، فهو في واقع الأمر زواج داخلي منظم على مستوى الجماعة الإثنية دون الإفلات من سيطرة التقاليد والأعراف والتاريخ الطويل للممارسة الإندوجامية داخل مجتمع الدراسة.

الثاني: مازال الشعور بالذاتية القبلية والعشائرية واضحا وربما

مرد ذلك إلى:

أولا: الزواج التفضيلي perfertial Marriage، أي البحث دوما عن ابنة العم على اعتبار أنها أفضل الزيجات، فإننا نجد أنه في بعض النظم الاجتماعية لا يكون الزواج الداخلي مجرد نقيض للزواج الخارجي، وإنما يمثل مبدأً إيجابياً لتنظيم الزواج، لذا وجب أن نميز الزواج الداخلي بالنسبة لجماعات الأقارب (الزواج من فئة معينة من الأقارب) عن الزواج الداخلي للتحالف (الزواج من شخص يتم تحديده على أساس فئة التحالف) وعن الزواج الداخلي بالنسبة إلى جماعة محلية، وهذه المبادئ قد لا تتطابق ولذلك يجب تحديد كيفية عمل كل منها وحدوده^(١٧).

ومن ثم فجماعات الدراسة تسعى إلى تدعيم هويتها الذاتية والحفاظ على ثرواتها والتي تعد من أهمها النساء، فهن منجبات الرجال الذين يمثلون مصدر قوة الجماعة في مواجهة الجماعات الأخرى، وعليه يمثل نمط الزواج الداخلي مستوياته إما داخل العائلة أو داخل البدنة أو داخل القبيلة.

الزواج من داخل البدنة: بينما يشيع في الغالب تحديد البدنات على كونها وحدات اكسوجامية، إلا أن هناك العديد من الحالات التي يكون فيها الزواج المفضل هو بين الأفراد من بدنة واحدة أي الزواج الداخلي، والذي عادة ما ينتظم وفقا لممارسة زواج أبناء العمومة المتوازنة (وخاصة بين أبناء الإخوة الذكور الذين يعدون أعضاء مشتركين في بدنة الأب) ويتساند مثل هذا النظام مع حاجة البدنة إلى إبقاء الملكية داخلها تجنباً للتشتت الذي قد تحدثه تبادلات

النسب وميراث النساء، ويسود مثل هذا النمط في المجتمعات الروحية وفي مجتمعات الشرق الأوسط بشكل عام.

إندوجامية القرية: للمسافة الفيزيائية تأثير واضح على مجال ومدى اختيار شركاء الزواجة، فنحن نستطيع أن نتوقع أن الناس غالباً ما سيزوجون من جيرانهم بسبب سهولة وديمومة الاتصال الشخصي، وكذلك فإن بعض المجتمعات تدعم وتقوى مثل هذا الميل أو الاتجاه وتعمل على تحويل الحدود الجغرافية إلى حدود اجتماعية سهلة الاختراق والنفوذ منها، وذلك بتشجيع الزواج داخل القرية^(١٨). والأمثلة على مثل هذا الزواج كثيرة مثل قبائل البشارية في قرية أبرق وبعض قرى منطقة المثلث، والتي تمثل نموذجاً لما يطلق عليه «المجتمع المتقارب المتعاون المتحد»-Closed Cooperated Com-munity .

ويذكر فاروق إسماعيل أن اختيار الزوجة من داخل الجماعة القرابية، يؤدي وظيفة هامة في التنظيم القرابي، ويعمل بطريقة خاصة على دعم الحياة الاجتماعية، والمحافظة على البناء الاجتماعي ككل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يذكر أن التواجد المكاني للبدنات الجزئية في منطقة مشتركة للإقامة قد يؤدي إلى قيام نوع من الزيجات بين هذه البدنات^(١٩). كأن يرتبط أحد الأفراد الذين ينتمون إلى فروع من إحدى العشائر البشارية أو العبادية، ويوضح البعد المكاني للجماعة القرابية والذي يقابله بعد اجتماعي وثقافي ويتمثل في تجاوز مساكن الجماعة القرابية في منطقة إقليمية واحدة، حيث يفضل بناء مسكن العروس بجانب بيت أمها لتكون بجوار جماعتها

القرابية نظراً لأهمية العلاقات الاجتماعية والتعاون الاقتصادي والاشتراك معا في أنشطة ثقافية.

ثانياً: مازال البشاريون يحتفظون بلهجتهم المميزة والتي تقترب من لهجات الجزيرة العربية، والتي تميزهم إلى حد واضح على الأقل بالنسبة لسكان المناطق الحضرية في دول الخليج الأخرى.

ثالثاً: يبدو التماسك الاجتماعي على مستوى البدنات أو البدنات الجزئية^(٢٠) فهم يساهمون في شتى أشكال التعاون الخاصة بطقوس الزواج وممارساته، حيث يتعاون أفراد البدنة مع إمكانية مساعدة البدنات الأخرى سواء المقيمة داخل المنطقة أو خارجها.

مما سبق يتضح أن التنظيم القبلي قائم على مبادئ تحكم بناءه منها اللغة المشتركة والمحافظة على الكيان والهوية والانتماء إلى أصل واحد، كما يبدو التعاون داخل البدنة في مناسبات الزواج، مما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي للعشيرة وللقبيلة ككل بدءاً من موافقة الأم لزوج الابن أو الابنة وانتهاء بحضور التعاون التي تدل على تماسك أبناء الوحدة القرابية، فإن هذه القبائل في منطقة الشلاتين وقبيلة العبادية والبشارية في الأغلب يعيشون عيشة مشتركة ويشعرون بارتباط حياتهم ومصائرهم معا، وبجانب قيام كثير من العلاقات الاجتماعية بين الزمر المختلفة تنشأ هذه العلاقات نتيجة للزواج والمصاهرة وتدخل في علاقات معقدة تتمثل بوجه خاص في روابط القرابة والعلاقات السياسية، فإن نمط المعيشة الذي يقوم على التجوال والترحال سواء بقصد الرعي أو التجارة أو الصيد يعنى عدم وجود أية حدود أو قيود مفروضة على حرية الانتقال والحركة،

ولكن هذه المجتمعات المتجاورة تفرض تقسيمات إقليمية تحدد لكل جماعة فى القبيلة إقليماً أو مساحة من الأرض لا يمكن استغلالها لمصلحتهم الخاصة بدون إذن من تلك الجماعة الأصلية حتى لا يسود الصراع بين هذه الجماعات، إلا أن هناك علاقة الصداقة والتعاون المتبادل بين الإقليم السودانى والإقليم الخاص بمنطقة الشلاتين داخل الحدود المصرية ، فهذه الحدود واضحة المعالم، وهذه الحدود الفاصلة تخصص حدود الأرض التى ترتبط بها وتدافع عنها، وهنا تظهر فكرة الانتماء للأرض والجماعة (أى القبيلة) والمعروف أن القبيلة البدوية فى هذه المنطقة تنقسم إلى عدد من العشائر التى ينقسم كل منها إلى عدد من الأقسام وهكذا يؤلف كل قسم منها وحدة القبيلة كما يكون لها موارد الماء والآبار الخاصة بها.

فمجتمع الشلاتين بقبائله: (العبادة والبشارية) يشير إلى أن القرابة لديهم تسير فى خط الذكور الذى يجعل الولاية للرجل دون المرأة ، فتظهر قوة النسب فى خط الذكور ، ويرجع ذلك التفضيل إلى الانحدار فى خط الذكور من ناحية، وظروف المنطقة الإيكولوجية والاقتصادية من ناحية أخرى، فقد جعلت البيئة الإيكولوجية للرجل دوراً مهماً يقوم عليه النظام الاقتصادى القبلى دون النساء وعليه يتطلب مجهوداً شاقاً للتغلب على الظروف الإيكولوجية ، مما جعل دور الرجل أكثر مشاركة للنظام الاجتماعى ، والانحدار فى خط الذكور.

ومما سبق يتضح أن القرابة تعتبر نوعاً من الترتيب الذى يهيئ للأعضاء والمجتمع أن يعيشوا معاً وأن يعاون أحدهم الآخر فى حياة

اجتماعية منظمة، وعلى ذلك فإن دراسة نسق القرابة تستلزم التعرف على نوع العلاقات والروابط الاجتماعية وفئات الأفراد التى تقوم بينهم تلك العلاقات.

٢- البنية Lineage

وأما البنية فهى وحدة قرابية كبيرة تضم جميع الأفراد الذين يستطيعون رد نسبهم إلى جد واحد مشترك خلال ثلاثة، أو أربعة أجيال على الأقل، وهى تتألف من وحدة قرابية اقتصادية متماسكة^(٢١). والبنية تسمى لدى جماعات الدراسة (الداوا) Dawa. ورغم تمايز البناء الاجتماعى فى منطقة الشلاتين وانقسامه من الداخل إلى قسمين سياسيين يضمن فيما بينهما قبائل المنطقة، إلا أن جميع سكان المنطقة على اختلاف انتماءاتهم القربية يشكلون وحدة اجتماعية عرقية واحدة، حيث تعمل النظم الاجتماعية المختلفة داخل هذا البناء على تماسكه واستمراره واستقرار الحياة الاجتماعية فيه فتسود بينهم ثقافة مشتركة تتسم بالاتفاق وعدم التنافر أو التباين.

والبنية وحدة متكاملة تتميز بترابط أعضائها وتنقسم البنية إلى عدد من الأسر التى تنقسم بدورها إلى عائلات صغيرة، وتعتبر الأسرة أصغر الوحدات الاجتماعية المنظمة على أساس القرابة والدم، حيث نجد أنهم يتفاخرون بانتسابهم إلى بدنان قبل انتسابهم إلى عائلات، وهذا التجمع لأفراد البنية يؤدى إلى تحقق عدة وظائف منها الوظيفة الاجتماعية التى تظهر بوضوح فى حفظ النظام الداخلى للبنية، والذى يتمثل فى صورة خضوع أفراد البنية لكبار

السن، ويتمثلون فى شيوخ ورؤساء البدنات فمنهم الذين يؤلفون رأس البدنة التى تتولى الكثير من المهام والمسئوليات الاجتماعية وصور التعاون التى تظهر فى احتفالية الزواج وتكاتف شيوخ البدنات وعائلاتهما مع العريس، كما يظهر للبدنة وظيفة أبوية فتستطيع الجماعة القرابية الدموية، ومنهم كبير البدنة الحفاظ على الالتزام بقيم القبيلة وأعرافها للحفاظ على بقاء واستمرار البناء الاجتماعى القبلى.

أما أماكن الإقامة التقليدية فى منطقة المثلث، فترتبط بالتنظيم القرابى من ناحية، والتوزيع الإقليمى من ناحية أخرى، والعلاقة بين هذين النسقين هو ما يطلق عليه فى الكتابات الأنثروبولوجية مصطلح التوزيع الإقليمى rritorial distribution والمقصود به توزيع الجماعات القبلية والقرابية فى منطقة معينة حيث يتفق الانقسام القبلى والعائلى مع التوزيع المكانى أو الإقليمى بحيث ترتبط كل جماعة قرابية من الجماعات التى تنقسم إليها القبيلة بمنطقة إقليمية معينة^(٢٢). وكما هو الحال فى شلاتين وأبورماد وحلايب وغيرها وقبل أن تظهر فى الوجود المظاهر المستحدثة أخيراً فى شكل مساكن نمطية وطرق مخططة فما هى إلا الحالات، ويمكن أن نطلق عليها مجازاً مصطلح «قرية» أو منطقة إقليمية مثل «أبرق» ومنطقة حجر الأساس» ويتضح ذلك التوزيع الإقليمى القائم على أساس التنظيم القرابى حتى داخل الحالات أو المنطقة الإقليمية التى تتكون من عزب فرعية صغرى يصل عددها حسبما تشير البيانات الرسمية^(٢٣) إلى عشر عزب فى حين أن تقسيم الأهالى لتلك العزب يرتبط

بأسماء العائلات المقيمة فيها، مما يعنى فى آخر الأمر أن كل جماعة قرابية تؤلف فى الوقت ذاته وحدة مكانية متميزة وواضحة، أى أنها تعتبر جماعة محلية ترتبط بروابط القرابة من درجة معينة وتكون مركزة فى مكان معين بالذات، وبذلك يعكس التوزيع المكانى للجماعة القبلية درجة القرابة الفعلية بين الجماعات التى ترتبط بهذه الأماكن، بمعنى أنه كلما قويت روابط القرابة بين الأفراد، كلما تقاربت مساكنهم وتجاورت، لذا فهم يرغبون فى إقامة خطوط أو حدود فعلية حول جماعتهم القرابية بين العزب لأهداف أمنية واجتماعية، فعلى سبيل المثال تضم منطقة حجر الأساس عائلات كبرى مثل الفرحاناب (نسبة إلى مؤسسها فرحان) والشويماب (شويم) والجامعاب (جامع).

ويفصل بين أكبر الذكور الأحياء من أعضاء الأسر المشتركة ومؤسس البدنة التى ينتمون إليها من غير الأحياء عمق زمنى قد يصل إلى خمسة أو ستة أجيال، ويختلف العمق هنا بطبيعة الحال من جماعة لأخرى، لكن الظاهر أن أعضاء الأسر المعيشية الحاليين يندر أن يتذكروا التسلسل الجينولوجى (شجرة نسبهم) المباشر والصحيح، ويستثنى من ذلك بعض كبار السن، الذين يحتفظون بتسلسل أنسابهم لدواعى الفخر والمباهاة فى المقام الأول. ومع ذلك، فإن الانتماء إلى اسم مؤسس البدنة يظل أحد أهم العوامل، إن لم يكن أهمها جميعاً الذى يؤكد وحدة تلك الجماعات وتماسكها. ويزداد الأمر صعوبة بالنظر من الخارج إلى تلك الجماعات

باعتبارها جزءاً أو قسماً من وحدة قرابية أكبر هي العشيرة التي تعتبر وحدة قرابية فعلية، وذلك على العكس مما يذهب إليه البعض من اعتبار القبيلة وهي مصطلح «سياسي» في المقام الأول وليس قرايباً هي الوحدة القرابية الكبرى في مثل تلك المجتمعات التقليدية، فالتسلسل الجينولوجي الدقيق والصريح في العشيرة لا يمكن تتبعه بسهولة، بل ربما يستحيل تتبعه بدقة وصراحة، إذ إن كافة الجماعات قد انحدرت من أصول بعيدة، جاءت من أنحاء متفرقة من مصر والسودان وإريتريا.

٣. العائلة

تعتبر العائلة هي الوحدة الأساسية في البناء القرابي لقبائل البجا، وتتكون من مجموعة من الأسر النووية، كما تقوم عليها كل الأنشطة الاقتصادية، ويتحدد شكل البناء القرابي للقبيلة من خلال ارتباط العائلات واشتراكهم في الحياة اليومية وتكاتفهم في الدفاع عن القبيلة والجماعة العرقية الكبرى^(٢٤).

ولا يقتصر دور العائلة في أنها وحدة اقتصادية صغرى، بل يظهر دورها كوحدة سياسية أيضاً في اختيار زعيم البدنة التي تنتمي إليها، وفي المواقف الدفاعية حيث يجتمع أعضاء العائلة معاً في مواجهة العائلات الأخرى في القبيلة، وعلى سبيل المثال يذكر أحد الإخباريين^(٢٥) أنه حدثت مشكلة بين عائلتين في منطقة كسلا (ولم يرغب أن يذكر أسمى هاتين العائلتين) ولكنه ذكر أن العداء حدث بينهما رغم أنهما ينتميان لفروع قبيلة البجا بسبب المرعى وقد اجتمعت العائلتان وزعيميهما واتفقا على ملكية هذا الجزء من كسلا

إلى العائلة الأولى، إلا أن للعائلة الثانية الحق في الانتفاع بالمرعى على هذا الجزء من الأرض دون نشوب مشاكل أو حروب بينهما. إذ إن الوحدات الاجتماعية الفعلية والواقعية التي يتعارن أعضاؤها بشكل مباشر في تصريف شؤون الحياة اليومية عندهم، وحدات أصغر تندرج كأقسام تحت تلك الوحدات القرابية الكبرى، هذه الوحدات الصغرى تعرف بالأسرة المعيشية House Hold وهي تتخذ في الأغلب في مجتمع الدراسة شكل الأسر المشتركة، وبذلك تمثل العائلة التي تتكون من الوالدين وأبنائهما من الذكور والإناث غير المتزوجين والمتزوجين منهم وزوجاتهم، وأبنائهم بالإضافة إلى بعض الأقارب كإخوة الأب وأخواته غير المتزوجات، أو الأرامل، والمطلقات، تمثل الوحدة الأساسية في الحياة الاجتماعية وهي ما تسمى «بالعائلة الممتدة» Extended Family والتي يبلغ عمقها ثلاثة أجيال.

ولما كانت العائلة متضمنة في جماعات قرابية أخرى أكبر منها، حيث لا تكون العائلة وحدها ذات كفاية لمواجهة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية، فإنها ترتبط بعلاقات قرابية من الدرجة الثانية، فالعائلة هي وحدة بناء البدنة، التي تكون من مجموع العائلات نسق القرابة في المجتمع يجمعهم انحدرهم من أصل واحد وهو مؤسس البدنة، إذ إن الانحدر يكون في خط الذكور لعدد من الأجيال لا تقل عن ثلاثة.

الهوامش

- (١) مصطفى الفوال ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية القاهرة، الكتاب الأول، ط١، ١٩٧٤، ص ص ١٥٦ - ١٥٧.
- (٢) نبيل صبحى حنا: المجتمعات الصحراوية فى الوطن العربى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.
- (٣) روبرت ردفيلد، المجتمع القروى وثقافته، ترجمة فاروق العادلى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٢ - ١٤.
- (4) <http://www.colorado.edu/geography/courses/go096402/Ce.html>.
- (5) <http://www.revisionnotes.co.uk>
- (٦) مصطفى السخاوى، الإنسان والبيئة والثقافة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٦.
- (٧) أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعى - الجزء الثانى، الأنساق ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٤.
- (8) [Http://www.Umanitoba.Ca/faculties/arts_anthropology/tutor/marriage/intro.html](http://www.Umanitoba.Ca/faculties/arts_anthropology/tutor/marriage/intro.html)
- (٩) أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعى - الجزء الثانى، الأنساق، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٧٥ - ٢٧٦.
- (١٠) علية عبد العظيم الشرقاوى، دور المرأة فى البيئة الصحراوية، دراسة أنثروبولوجية فى ثلاث قرى بواحة سيوة، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٠، ١٠١.
- (١١) أحمد أبو زيد، الإنسان والمجتمع والثقافة فى شمال سيناء، أعمال المؤتمر المنعقد فى العريش ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٠٨.
- (١٢) شارلوت - سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٠٥.

(١٣) فاروق أحمد مصطفى، التقرير النهائى المعدل لمشروع الحاجات الاجتماعية لسكان المناطق الحدودية الجنوبية (شلاتين - أبو رماد - حلايب) نفس المرجع السابق، ص ٨٨.

(14) <http://www.Palomar.edu/more/beh-sci/marriage/mar-9ihtm>.

(١٥) فاروق إسماعيل البناء القبلى والعلاقات القبلية، ص ص ١٦٢ - ١٦٦ ، فى : المؤتمر الدولى الرابع عشر للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث العلمية الاجتماعية والسكانية، (٢٥ - ٣٠ مارس ١٩٨٩). القاهرة، جامعة عين شمس، مركز الحساب العلمى، ١٩٨٩.

(١٦) وتعنى intermarriage التزاوج بين أسرتين أو قبيلتين... «قاموس المورد» و inter. بادئة معناها بين أو وسط متبادل أو على نحو متبادل، قائم بين، متخلل، حادث بين، وعلى هذا الأساس، وبناء على استخدام المفهوم فى الدراسات الاجتماعية رأينا ترجمته بمعنى «الزواج من داخل الوحدة الاجتماعية».

Cerroni- Long, E.L. marrying out- socio cultural and psychological implications of intermarriage, journal of comparative family studies, Vol. 1, No. Spring 1984, pp. 25- 46.

(١٧) شارلون - سيمور سميث، مرجع سبق ذكره، ص ٤١٨، ٤١٩.

(18) [Http://www.Umanitoba.Ca/faculties/arts/anthropology/tutor/marriage/intro.html](http://www.Umanitoba.Ca/faculties/arts/anthropology/tutor/marriage/intro.html).

(١٩) فاروق إسماعيل البناء القبلى والعلاقات القبلية، ص ١٧٢، فى: المؤتمر الدولى الرابع عشر للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية (٢٥ - ٣٠ مارس ١٩٨٩) مرجع سبق ذكره.

(٢٠) فاروق إسماعيل ، البناء القبلى والعلاقات القبلية، المرجع السابق، ص ١٦٩: ١٧٢.

(٢١) علية عبد العظيم شرقاوى: دور المرأة فى البيئة الصحراوية، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٤.

(٢٢) أحمد أبو زيد ،المجتمعات الصحراوية فى مصر، ص ٢٥٠، المبحث الأول،

شمال سيناء، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ١٩٩١،

مرجع سبق ذكره .

(٢٣) بيانات من جهاز شئون القبائل.

(٢٤) علية عبد العظيم الشرقاوى، دور المرأة فى البيئة الصحراوية، مرجع سبق

ذكره، ص ١٠٣.

(٢٥) انظر إخبارى رقم (١١).

الفصل الثانى

عادات الزواج

الزواج سمة شائعة وملح عام لنظم القرابة والتنظيم الاجتماعى، وهو وسيلة حفظ النوع البشرى، وترجع أهميته إلى إشباع الغريزة الجنسية بطريقة مشروعة، وفيه نجد أن كلا من الرجل والمرأة مدفوع بطبيعته إلى الرغبة فى الإنجاب، من هنا نجد أن كل المجتمعات تسمح لأفرادها متى بلغوا سناً معينة أو درجة من النضج بالزواج أن يكونوا أسراً، فالأسرة والزواج مرتبطان ولكنهما ليسا شيئاً واحداً^(١).

والزواج هو سلوك اجتماعى يتكون من القواعد والتعليمات التى تحدد حقوق الزوجين، ويتضمن طقوساً وشعائر واحتفالاً يتم بناء على اتحاد شخصين بالصورة التى يجيزها ويقبلها المجتمع مع ما يترتب على ذلك من التزامات بناء على هذا الارتباط، قابلين لكل الالتزامات الواجبة لهذه الرابطة^(٢).

وهكذا يمكن القول باختصار أن الزواج هو بالفعل الوسيلة الثقافية الأساسية لضمان استمرار الأسرة والجماعات الأخرى القائمة على القرابة.

وبما أن الثقافة تعتبر مدخلا لدراسة التفاعل بين الإنسان والبيئة ، فظاهرة الزواج ومراسيمه تعتبر مفهوما ثقافيا بالدرجة الأولى تخضع بداخله كثير من العناصر الثقافية، حيث إن الزواج عنصر ثقافي لإبراز العادات والتقاليد وما تحمله بين طياتها من عناصر الثقافة التقليدية، والتي تم توظيفها بداخل هذه الظاهرة بغرض بلورة وتوضيح هذه الظاهرة بصورة تتناسب مع وظيفتها، وتظهر بوضوح في احتفالية الزواج، وخاصة في أشكال التعاون بين أعضاء الأسرة أثناء الاحتفالية والتي تبدو بوضوح في إكرام الضيف، وفي إقامة الولائم والرقصات، التي تقام في العرس للتعبير عن القيم البدوية الخالصة، ومنها الشهامة والبطولة.

ويقوم الزواج في مجتمع الشلاتين على الرابطة الدموية والمكانية، فالزواج الأمثل عند الشلاتين هو ذلك الزواج الذي يعيد توثيق صلات الرحم، ويعنى ذلك أن أغلب الزيجات تتم بين أبناء العمومة والخنولة، وكان الزواج من خارج القبيلة محرما عرفيا. ومادام الأقارب يقطنون بمنطقة واحدة، فإن زواج الأقارب يضمن أيضا إقامة الزوجين بالقرب من أهلهم ، ومن ثم تنشأ معارضة أبناء قبيلة الدراسة الزواج من غير بنى قبيلتهم، لأنه يهدم أهم ركنين في الزواج.

وتلاحظ الباحثة ارتباط الإقامة في المجتمع بالتنظيم القرابي من ناحية، والتوزع الإقليمي من ناحية أخرى، وهو ما يطلق عليه Terri-

torial distribution بحيث يرتبط كل جماعة قرابية بمكان أو إقليم للإقامة محدد، وبحيث يمكن القول إن درجات القرابة التي تنقسم إليها الجماعة تنعكس بدرجة من الدقة في ذلك التوزيع المكاني، هذا الجمع بين القرابة ونمط الإقامة المشتركة للأقارب جعلهم أكثر تفاعلا فيما بينهم عما هو الحال مع المقيمين في وحدات إقليمية أخرى، مما يسهم بدوره في ترتيب أولويات الاختيار الزواجي على النحو الذي أشرنا إليه، كما أنه لا يدعم فرص الاحتكاك بالآخرين والاختيار منهم.

وهناك عامل آخر لا يمكن إغفاله، وهو أن العباددة والبشارية مارسوا العزلة المكانية والحضارية الثقافية لقرون عديدة، مما جعل تعايشهم مع الثقافات الأخرى أمراً عسيراً ولاسيما عند النساء، فالمرأة الشلاتينية مثلا لا تحفظ إلا عبارات قليلة من اللغة العربية من خلال الاتصال الحديث، مضافا إلى ذلك الكثير من الحواجز التي تجعل معاشيتها لبيئة مختلفة أمرا في حكم المستحيل.

كما أن الموقع الجغرافي المميز للمجتمع قد ساهم في إقامة هذا السياق من العزلة النسبية لمجتمع الشلاتين، وحين نتكلم عن العزلة أو البعد أو الانزواء هنا فنحن لا نعنى البعد الفيزيقي أو المكاني من حيث قياسه بالأميال والكيلومترات، وإنما نقصد البعد الاجتماعي الذي يتمثل في العزلة والانطواء والشك والريبة وتفاوت الثقافة واختلاف أنماط التفكير^(٣). فالبعد المكاني بين الشلاتين والمجتمعات المحيطة بها ضئيل إلى حد بعيد، ومع ذلك فإن أهل الشلاتين يشعرون شعورا قويا بانفصالهم عن بقية سكان هذه المجتمعات.

ولقد ساهمت هذه العزلة الطاغية، وما ارتبط بها فى تمسك أعضاء المجتمع بمنطقتهم مهما كانت الإغراءات والتي تتمثل فى رفض جماعات الدراسة السكن فى بيوت التوطن والتمسك ببيوتهم ، لذا فقد ساهمت هذه العزلة فى صياغة رؤية الأهالى لهويتهم المتميزة، لتتجاوز حدود القبيلة التى ينتمون إليها وينظرون إلى أنفسهم فى مقابل الآخرين كمجتمع مميز، ولقد أثر ذلك الأمر فى ترتيب أولويات الاختيار الزواجى بحيث تكون لأفراد الجماعة القرابية المقيمين معاً ثم للبدنة أو للعشائر المقيمين فيها ثم للقبيلة داخل المنطقة ثم للمجتمع ككل.

وتشير العديد من الدراسات إلى أهمية العوامل الاقتصادية فى رسوخ نظام الزواج الداخلى فى المجتمعات التقليدية، حيث يكون هذا النمط من الزواج مفضلاً بين الجماعة لكونه أكثر اقتصاداً وتوفيراً فى تكاليف الزواج والمهر، فالزواج الداخلى أيسر وأقل تكلفة، كما أن الأقارب لن يحملوا بعضهم البعض ما لا يطيقون فى حالة الزواج بينهم^(٤)، والواقع أن الحال فى مجتمع الدراسة لا يدعم ذلك، فالتكاليف الخاصة بزواج الأقارب أو الزواج داخل الجماعة تبدو أعلى كلفة وأكثر صعوبة، فإعداد منزل البرش وتأثيثه وإجراءات الزواج واستعداداته وممارساته وفقاً للتقاليد والعادات المتبعة داخل المجتمع يتكلف مبالغ مادية كبيرة قياساً بظروفهم المادية، فالغالب إذاً أن مبرر انخفاض التكلفة الاقتصادية للزواج الداخلى - كمبرر لوجود هذا النمط - لا يدعمه الواقع فى مجتمع الدراسة.

كما تتعدد العوامل الاجتماعية والثقافية التى تكمن وراء تفضيل

المجتمع للزواج الداخلى والتي تعمل على شيوعه، وتكمن فى الرغبة فى الحفاظ على الانتماء أو الهوية الإثنية والعرقية المتميزة أو ما تطلق عليه الدراسات - التمايز العرقى - والتي تلعب دوراً مهماً فى تصنيف وترتيب الأفراد والجماعات على نحو يتحدد معه شكل وعمق العلاقات بين الأفراد والجماعات وخاصة فيما يتعلق بالزواج وغيره من أشكال التواصل والتحالفات الاجتماعية.

وتتضح أهمية الهوية الإثنية فى تأثيرها فى نظام الزواج فى مجتمع الدراسة ، فهذه الجماعات مازالت تحافظ على هويتها وكيانها، لذلك تمثل الحواجز التى تقيمها الجماعات الإثنية حول ذاتها على استمرارها بنفس درجة النقاء كما يراها أعضاؤها ، وتدعم هذه الحواجز تلك المعايير الثقافية التى تحكم نظرتها لذاتها وللآخرين فى الوقت ذاته، لذا فهم يرون أن الزواج من خارج القبيلة يهدد بقاء الجماعة، وتدعم ثقافتهم ذلك الزواج من داخل الجماعة والذى يعد النمط المعيارى للزواج الذى يعمل على تماسك الجماعة واستمرارها.

إذن فحدوث الزواج فى مجتمع الدراسة يسهم إلى حد كبير فى استمرار العزلة الاجتماعية الثقافية للمجتمع، كما أنه يدعم الهوية الإثنية المتميزة للمجتمع ويعمل على توطيدها.

١- محددات الزواج وإجراءاته

لمسنا من خلال عرضنا للمدخل الثقافى ومن خلال الربط بين نظام القرابة ونسق الزواج، أن قبائل البشارية والعبادة لهم نسقهم الاجتماعى الخاص، فيتمركز تنظيمهم الاجتماعى حول العائلة

كوحدة قرابية وسوف نحاول عرض أهم عادات الزواج فى منطقة الدراسة.

بما أن الزواج هو اتحاد بين الرجل والمرأة، والذي بمقتضاه يصبح الأبناء الذين تلدهم المرأة أبناء شرعيين لكلا الطرفين^(٥)، فالزواج يمثل المرحلة الأولى لقيام الأسرة، ومن ثم ينتقل الأفراد بمقتضاه من وضع اجتماعى إلى آخر، ويتلزم هذا الانتقال مع حدوث عدة تغيرات سواء فى الانتماء أو الدور أو المكانة التى يشغلها الإنسان، ويتطلب هذا الانتقال أداء العديد من الطقوس والشعائر الاحتفالية، كما تمثل مجالا خصبا للمشاركة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى^(٦). فالزواج عبارة عن رابطة مشروعة بين جنسين، ولا تتم إلا فى الحدود التى يرسمها المجتمع، وفق الوضع الذى تحدده المنظومة الاجتماعية والثقافية التى يقرها.

والبناء الاجتماعى البدوى تحكمه القواعد العرفية المتوارثة التى يعدونها تعبيراً عن هويتهم البدوية، وأن الامتثال لها تعبير عن الانتماء لهذه الهوية، حيث تقوم هذه الهوية على انتماء أفرادها للمجال الصحراوى المتسع الذى يحيط بهم ويحدوهم الإقليمية وانتماءاتهم القبلية ولأصولهم الأولى التى تحفظ الصلة حية بينهم وبين قبائلهم البعيدة، فالثبات على الهوية البدوية والحرص على الالتزام بقواعد المجتمع وعرفه وتنظيم سلوك أفرادهم يمثل استمراراً وتدعيماً للهوية الاجتماعية والثقافية^(٧).

وهناك محددات اجتماعية وثقافية وضعتها الأعراف والقوانين للبيئة البدوية للشلاتين، والتى ارتضتها الجماعة ومارستها ومنها

القربة والمسافة الزوجية، والتى تتضح فى مراسيم الزواج وإجراءاته، وسأحاول فى الفقرات القادمة أن أعرض للموضوعات المهمة التى تنطوى عليها منظومة الزواج.

١- الاختيار

كما ذكرنا من قبل الزواج المفضل لدى البشارية هو الزواج الداخلى، حيث يتم الاختيار من الأقارب من داخل القبيلة أو البدنة، ويفضل الزواج من أبناء العمومة، ولا يفضل الزواج من القبائل الأخرى من العباددة.

وبناء على مبدأ القربة والمسافة يتحدد مدى ونطاق الاختيار الزوجى فى الشلاتين. فتشير الدراسة الميدانية إلى أن الاختيارات الزوجية إنما تنحصر عادة فى درجات القربة الأولى، فهى الأكثر تفضيلاً، يليها الزواج من داخل منطقة إقليمية واحدة تشكل وحدة قرابية ومكانية فى آن واحد، وعادة لا يتجاوز نطاق هذا الاختيار حدود الجماعة الإثنية أو القبلية.

وقد تكشف الدراسة الميدانية عن أن المسافة الزوجية^(٨) عادة لا تتجاوز حدود المجتمع بل إنها فى الغالب لا تتجاوز حدود الحلة وامتداداتها الطبيعية، فنجد مثلاً أنه فى مجتمع الشلاتين غالباً ما ينحصر الاختيار فى داخل الحلة أو العربة بحيث تصبح المسافة الزوجية قليلة، بينما فى بعض الحالات لا تتجاوز المسافة بين العزب المتجاورة، وهى مسافات لا تتجاوز الكيلومترات القليلة، وفى حالات نادرة تتجاوز هذه المسافة حدود المجتمع لتصل إلى نفس الوحدة القربية فى السودان، إلا إن أغلبية الزيجات فى المنطقة تنعدم

المسافة الزوجية فيها وذلك فى نطاق ضيق من الحراك المكانى الذى يضم العزب المتجاورة.

والزواج فى مجتمع الدراسة هو زواج داخلى أى من داخل القبيلة، حيث تبرز الدراسة أن للعادات والتقاليد ذاتها عاملا ضاغطا نحو إتمام الزواج بين الأقارب أو حتى داخل حدود العزبة أو المنطقة الإقليمية دون تجاوز هذه الحدود ، فهذا النمط هو الشكل المثالى الذى تؤكد عليه أعراف وتقاليد المجتمع. فى حين أن الألفة بين الأسرتين تتجسد بين أهالى العروسين نتيجة للإقامة فى مكان واحد أو عائلة واحدة وخاصة بين العريس والفتاة، وبين طرفى العلاقة الزوجية تجنباً لحدوث مشاكل اجتماعية، كما أن السمعة الطيبة للفتاة أحد أهم العوامل التى بها تكون الفتاة صالحة للزواج، ومن هنا يأتى الحرص على الزواج من داخل الوحدة القبلية وفى الوقت ذاته بداخل الوحدة الإقليمية والعزبة الواحدة، وبذلك يكون العريس على يقين بأخلاق الفتاة، فنادرا ما يتركز وحدهم دون رقابة من أعضاء الجماعة القبلية، فضيق مساحة المجتمع وعزبه وتصميم مساكنه كل هذا يمثل رقابة دائمة من داخل المجتمع وخارجه وبذلك يتحقق من إخلاصها لزوجها طيلة فترة ترحاله.

أما الزواج بابنة الخال فلا يخرج عن كونه زواجاً فى خط الانحدار القربى الأبوى، فالخال بالأساس غالبا ما يكون ابن عم الأب من الدرجة الأولى، فممارسة زواج أبناء العمومة وأحياناً أبناء العمومة والخوالة المزدوجة، ليست تقليدا طارئاً وإنما هى ممارسة أصيلة وعميقة متأصلة فى ثقافة مجتمع الشلاتين.

والواقع الفعلى يدعم الزواج من الأقارب على أنه ، أعراف تنفذ بأسلوب حتمى لا مفر منه، كما يحتل الزواج بين أبناء العمومة، المقام الأول ويليهِ الزواج من أولاد الخوالة ثم بعد ذلك أقارب من الدرجة الثانية، فالقيود الثقافية حتمت على من يرغب فى الزواج الأخذ بمبدأ الاختيار بابنة العم بدون أن يتحقق شرط القبول أو الرضا، لذا فهو إجبار وليس اختياراً ، وعلى الرغم من تعليم الفتاة أو الشاب ، فليس لهما الحق فى اختيار كل منهما الآخر، فالاختيار يتم للأولوية الكبرى من ابن العم من نفس العائلة والتى تعنى الوحدة القبلية أو الذى يقطن نفس العزبة، فأهالى المنطقة يرفضون زواج بناتهم من ذكور فى وحدات قبلية بعيدة، على الرغم من الامتداد السلالى والقربى ما بين مصر والسودان وإريتريا ، وذلك باستثناء بعض الحالات كان ارتفاع سن الفتيات فى مجتمع الدراسة عاملا مهماً فى قبول الزواج عبر الجماعة لتتجاوز الحدود الدولية لتصل إلى نفس الوحدة القبلية فى السودان أو إريتريا ، كما يرفض البشارية تزويج بناتهم من قبائل أخرى، على اعتبار أن الفتاة تكون برفقة زوجها دائماً، وتبتعد عن مكان عائلتها لذا يفضلون الزواج من داخل الوحدة القبلية القريبة.

ولكن ما تكشف عنه الدراسة الميدانية أن سلطة الأب والتقاليد مازالت هى التى تتحكم فى اختيار الشاب لعروسه، هذه السلطة تتمثل بتلك القوة نتيجة لخضوع الابن وتبعيته المادية لأبيه أو للعائلة، وهم أيضاً يمثلون القوة الفارضة للتقاليد التى توارثوها فى هذا الشأن جيلا بعد جيل، وإن كانت النساء يلعبن دورا بسيطا فى عملية

الاختيار تلك، فهن يمكن أن يقترحن أو ينصحن بأخذ الاختيارات ويكون على رئيس البيت أو الوحدة المعيشية - والذي قد يكون الأب وأحيانا الجد - تقرير ما يراه مناسباً في هذا الصدد، إلا أن النساء سواء الأمهات أو الأخوات الأكبر سناً والمتزوجات يلعبن دوراً أساسياً في عملية اختيار الشريك المحتمل للابن أو الابنة داخل الأسرة ويمثلن قوة من وراء الستار فيما يتخذه الأب من قرارات في هذا الشأن ، فقرار الزواج وما يرتبط به من تحديد لنطاق الاختيار وتوقيت الزواج مرهون بيديه، وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة إلى الشباب الذكور ، فالأمر بالنسبة للفتيات قد يكون أكثر صرامة ، فاختيار الشريك المناسب لها يكون مسئولية الأب أو الأخ الأكبر بالأساس ، وإن كانت التقاليد التي يتم تنشئة الفتاة عليها والقيم التي تنقل إليها أثناء عملية التنشئة تجعل قبولها بمن يرتضيه أهلها أمراً ميسوراً عليها. كما أنها تفكر في دائرة الاحتمال بالنسبة إليها من خلال ما تقرره تقاليد المجتمع من حيث ضرورة ارتباطها بأحد أقاربها العاصبين وبخاصة ابن العم.

وما يدعم سلطة الأب وبناء الأسرة في اختيار الشريك الزواجي لأبنائهم تلك السن المبكرة التي تتم فيها هذه الزيجات داخل المجتمع، ذلك أن الشباب يتزوجون عادة في مرحلة عمرية مبكرة (ما بين ١٤ و ١٦ سنة للفتاة بينما بالنسبة للفتى ما بين ١٨، ٢٢ سنة) ويرجع هذا التفاوت في سن الزواج إلى الظروف القاسية المصاحبة لحياة الصحراء والتي ترتبط بالحصول على مورد اقتصادي مرتبط بالبيئة الإيكولوجية والتي قد تعيق الكثير من الزواج في سن مبكرة انتظاراً

لتوفير نفقات الزواج.

وعلى الرغم من أن رياح التغيير بدأت تهب على المجتمع البدوي من خلال التغطية الواسعة لوسائل الاتصال الجماهيرية، والتوسع في تعليم الفتاة، فقد لعبت التقنيات الحديثة والتكنولوجيا دوراً في تعريف الناس بأمور دينهم، مما ساعد على وجود كثير من الدعاة إلى التخلي عن بعض العادات الموروثة و مسك بنت العم في بعض الجماعات البدوية»^(٩).

ويشير الواقع إلى تدنى مستويات التعليم إلى أقصى درجة بين الإناث في المنطقة، كما أن المرأة لا تمثل قوة إنتاجية في المجتمع، هذان العاملان متساندان مع سطوة العادات والتقاليد القوية، والتي يتم تنشئة الإناث على الخضوع لها، ويعملان على تكريس ما يسود من أوضاع في المجتمع، مثل تدنى مكانة النساء، وغياب سيطرتهم على مقدرات حياتهم، ولعل أبرز مثال لذلك هو عدم تمكن غالبية الإناث من تقرير رأيهم في زواجهن، ونأمل في المستقبل أن تزايد معدلات التعليم المختلفة وتزايد احتكاك المجتمع بمن حوله من مجتمعات ربما يساعد على تنامي مساحة الحرية المتاحة للنساء لإبداء رأيهم في أمر زواجهن، كما أن قلة الوعي الديني كانت عاملاً لخضوع الفتاة لهذه القيود المتوارثة. ولذلك فيمكن أن نتعرف على النظام الأسري وقيمه الاجتماعية وقوة العلاقات الأسرية وتفاعلها من خلال الأمثال التي تم جمعها في منطقة الدراسة والتي تؤيد هذه القاعدة في الاختيار للزواج.

وهذه الدعوة صريحة وواضحة بالزواج من ابنة العم حيث إن

القبيلة لابد وأن تحافظ على المركز المادى والاجتماعى والاقتصادى، لذلك يكون الزواج داخلها أى من داخل القبيلة ولذلك صاغ المثل القائل «بت الميسور ما تبور» وبذلك يستطيع الحفاظ على صلة الدم والرحم التى أوصى بها قانون المجتمع القبلى والحفاظ على ترابط الأسرة وتماسكها لتقف قوية فى وجه تيارات الحياة، وبذلك يضمن القوة فى صلة الدم والمال يتضح ذلك فى المثل القائل: «خذ بت الرجال ولا تأخذ بت المال» والمقصود بالرجال من يتمتعون بمركز قبلى وسمعة طيبة، وفى المقابل نجد أن العروس لا تستطيع الإفصاح عن اختيار العريس ولكنها وجدت الوسيلة التى استطاعت أن تعبر عن شعورها الحقيقى تجاه زوجها من ابن العم بقولها: «مى فى بالها بال وأبوى فى بالو بال وأنا بالى بال «أبوى داير الستر الحال» أمى دايرة اللى بيحب المال وأنا دايرة الصبى القدال».

وهنا ندرك أن والد العريس صاحب السيادة، فهو يحسم الأمر من هذه الزيجة فى ابنة عمه، فالزواج أو العريس ينظر لأم العروس وهى زوجة عمه ليتأكد من قدرة الأم على العطاء ونجاح هذه الزيجة يترتب على المثل القائل (تطرتون داويت) البنت لأمها فقبيلة البجا يزوجون أبناءهم وبناتهم فى سن مبكرة وهو من مهام الآباء أن يكون الزواج من داخل الأسرة.

أما الرشادة فيحرصون على الزواج من بنت العم؛ فهو إجبارى دون اختيار، أما إذا وجد ابنة العم قد تزوج، أو وجدها صغيرة فيأخذ ابنة خالته، فهناك عرف بين أهل القبيلة أن يكون الزواج من داخل القبيلة حيث يتراوح سن الفتاة ما بين الثلاثة عشر أو الأربعة

عشر كما يتفق عليه فى عرف القبائل، فهم لا يتركون بناتهم تتعدى الخامسة عشر دون زواج، ولا يتركون بناتهم يتزوجن من خارج القبيلة حتى يحافظوا على النسل العربى ودمائهم الخالصة وبلا امتزاج من عنصر الزنوج الأفريقية.

ويعتبر الزواج حدثا هاما فى حياة الإنسان يحدد مصيره ومستقبله، فالزواج المفضل إذن فى مجتمع الدراسة هو ما لا ينطوى على تعاقد بين فردين وإنما يكون بالأساس تعاقدًا بين عائلتين أو جماعتين قراييتين بحيث تقوى روابط الألفة والتماسك فهورابطة بين الجماعتين، وعلى هذا الأساس يتحدد إجراءات الزواج^(١٠). فالزواج سمة تميز نظم القرابة والتنظيم الاجتماعى البشرى، وتعود نشأة مثل هذا النظام البشرى إلى فترة مبكرة جدا من التاريخ الاجتماعى للجنس البشرى.

ولا يكاد يوجد تعريف واحد ومقبول للزواج، ومرد ذلك إلى الاختلاف الشديد بين الثقافات فى تنظيمها الاجتماعى للعلاقة النوعية بين الذكور والإناث وكذا نظرا لوجود أشكال نادرة من الزواج فى مجتمعات معينة بحيث يصبح معها مثل هذا التعريف العام غير صحيح^(١١). فالزواج إذا هو عقد يبيح للرجل والمرأة اتصال كل منهما بالآخر اتصالا جنسيا وتكوين أسرة، وتختلف الشرائع اختلافا كبيرا فى أركان هذا العقد وشروط صحته، وما يصحبه من إجراءات وطقوس وما يترتب عليه من نتائج إلا أن معظم هذه الشرائع تنظر إلى الزواج على أنه الوضع السوى لعلاقة الرجل بالمرأة، وهو واجب وفرض على كل قادر عليه وعلى أعبائه^(١٢).

ولقد قدم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا العديد من التعريفات للزواج من خلال الإشارة إلى الوظائف المتنوعة والشائعة للزواج في المجتمعات البشرية في ضوء ارتباطها بالعديد من العموميات الثقافية، فيركز البعض مثل Gough على قواعد الشرعية، ذاكرا أن الزواج مؤسسة اجتماعية منتشرة عالميا تؤسس شرعية الأطفال ، وإن كانت هناك مجتمعات لا تعد هذه الوظيفة ضمن علاقة الزواج، فنجد Goodenough يركز بدلا من ذلك على علاقة الزواج باعتبارها علاقة تعاقدية تخول الحق للممارسة الجنسية مع المرأة^(١٣).

ونشير هنا إلى تعريف الزواج - تتبناه الدراسة كتعريف إجرائي - اعتمادا على الوظائف الجوهرية العامة الأكثر شيوعا لهذا النظام الاجتماعي، الذي يتشكل من خلال قواعد ثقافية واضحة، كما يشير كلنر^(١٤) وهذه الوظائف هي:

- ١- تنظيم اجتماعي للنشاط والممارسة الجنسية.
- ٢- مسئولية والديه «أبويه» عن تنشئة وتربية وتغذية الأطفال، ورعايتهم على المدى الطويل.
- ٣- تحديد وتعيين وتصنيف الأفراد ضمن جماعات ومراتب ومكانات اجتماعية.
- ٤- تنظيم وتقسيم العمل القائم على أساس النوع.
- ٥- تكوين وتشكيل تحالفات وتبادلات سواء داخل الجماعة أو بينها وبين الجماعات الأخرى.

ومن أنماط السلوك المعبرة عن العلاقات القرابية المتميزة - والتي تبدو في تحديد مواعيد احتفالية الزواج، وارتباطها بالبيئة ومعطياتها

، والنشاط الاقتصادي - وإن تكن هذه الجماعات العشائرية المرتبطة بالبيئة تعيش في إطار موحد من الفكر والسلوك والثقافة المتوارثة، وقد تدخلت العوامل الطبيعية والإيكولوجية في تحديد مواسم الزواج تبعا لتقسيم مواسم الرعى، وذلك لحضور جميع أفراد البدنة، أو القبيلة، بحيث لا يتعدى وجود أحد في الجبال للرعى، ومن ناحية أخرى أن يتوفر للعريس الجانب المادي لشراء مستلزمات احتفال وطقوس الزواج، لذا فقد ارتبط موسم الزواج بموسم الصيد، حيث يتمكن كل أعضاء الجماعة القرابية من المشاركة وتقديم العون للعروسين.

وهناك بعض من المعتقدات التي ترتبط بتحديد موعد الزواج، فنجدهم يتجنبون الزواج في شهر رمضان، وفي عيد الأضحى وعيد الفطر، وفي شهر صفر، ويستحبون الزواج في فصل الربيع حيث الليالي القمرية، كما يفضلون يوم الاثنين، والجمعة، وباتفاق الجميع من النساء وجد أن يوم الأربعاء أشد كراهية من يوم الأحد لدرجة أن النساء عموما لا يمشطن شعورهن ولا تستحم العروس في ذلك اليوم اعتقادا منها إنها ستصاب بأذى من الأرواح الشريرة، ولا يفضلون يوم السادس عشر من كل شهر، كما ترتبط مواعيد الزواج بالنجوم حيث يتفاعلون ببعضها ويتشائمون من البعض الآخر، كما يفضلون الزواج في الأيام التالية من الشهور الهجرية، الثالث والسابع والتاسع والثالث عشر، والخامس عشر، والسابع عشر، والتاسع عشر، وذلك تفاؤلا بهذه الأيام لأنها أحادية، كما أنهم يتفاعلون بأصوات الديك، ويتشائمون من أصوات الغراب والحمير

والبوم، خاصة فى أيام الزواج الأولى، فإذا سمع صوت البومة تقوم أم العروس بأخذ عصا وتضرب بها شعاب البيت سبع ضربات فهم يخشونها اعتقاداً منهم أنها من الطيور التى تنبئ الإنسان بخير سيئ، وقد يستحب الزواج لدى قبائل العباددة والبشارية فى غرب أسوان، فى شهر ذى الحجة، وهو شهر مولد أبو الحسن الشاذلى وشهر ربيع الأول^(١٥). ولكى يتم الزواج يجب على المرء أن يمر بممارسات محددة تجرى لكلا العروسين، لكى ينتقلا من مرحلة إلى مرحلة جديدة، إذ يمران بسلسلة طويلة من الممارسات. وتبدأ إجراءات الزواج حينما تشعر الأسرة أن أحد أبنائها صار مستعداً للدخول فى الحياة الزوجية، فحينما يقع اختيار العائلة على فتاة ما كزوجة لأحد أبنائها يطلب والد العريس من كبير العائلة بعمل تمهيد لهم فيما يطلق عليه الأهالى «فتح الخشم» ليعقد جلسة فتح الخشم، ويجرى التفاوض على الزواج بين والدى العروسين وذلك من خلال قرار يتخذه الأب بعد حديثه مع أخيه والد العروس وكبار رجال البدنة، وقد يتولى كبير العائلة (الداوا) مهمة التفاوض من أجل الزواج فى حالة عدم وجود الأب، وبعد اتفاق الرجال تستشار النساء، وبعد المشاورة تتوج جلسة فتح الخشم بموافقة العروس ويصطحب العريس هدايا تسمى الشيلة الأولى، فهى عبارة عن ثوب أو ثوبين ودبلة ذهبية وأدوات للتجميل، وقديماً كان الزواج بدون خطبة، ويسمون الخطبة (سيليت) (أمسيت) وبدون دبلة، فاستخدام الدبلة الذهبية للعروس نتيجة للتغيرات التى طرأت على المجتمع من احتكاك قبائل الدراسة بثقافات وادى النيل من خلال أبنائها

الوافدين إلى الشلاتين . وكذلك وصول وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وهكذا تبدو العلاقة بين الخطيب وخطيبته فى الزيارات والهدايا من أجل المزيد من الفهم والتقارب على الرغم من أنهما يمثلان عائلة قرابية واحدة، ويؤكد الواقع الفعلى لمجتمع البحث أنه يمكن للعريس أن يزور أهله والتى تعد فى الوقت ذاته أهل العروس، ولكنه لا يجلس معها بمفردها، وقد يتم السماح برؤية خطيبته أثناء الزيارة، أما العروس فتقلل من زيارتها لزوجة عمها أو أخوات العريس، لأن العروس تخجل لزيارة عائلة العريس أو الجلوس معه فلا تمشى إليه ولا تتونس به^(١٦). ثم يبدأ الاحتفال ليوم التفاوض بذبح الذبائح وتقديم هدية إلى كبير الداوا وهى قطعة من اللحم من صدر الماشية وهى عادة تقطع لتقدم لكبار رجال العشيرة، ثم يصطحب الداوا والد العريس ووالد العروس ليتم التفاوض ، ويقدم والد العريس الهدايا الأخرى لنساء العائلة رمزاً لجدية الاتفاق (إذا سمحت الأحوال الاقتصادية) ثم يقوم والد الفتاة بتوزيعها على زوجات العائلة أو أقاربه، ثم تقدم الولائم وفى هذه الليلة يحتفل أهل العروس بتقديم كرامة أو وليمة للعشاء لأهل العريس كل فى مجلس منفصل عن الآخر، وبمجرد قبول والد العروس تبدأ إجراءات الزواج بمجرد توفر المال اللازم لنفقات الزواج وقد تستغرق هذه الاستعدادات ما بين عدة أسابيع أو عدة أشهر، إلا أنه فى السنوات الخمس الماضية تعرضت المنطقة لفترات جفاف قاسية مما أدى إلى عدم رواج مادية وكساد التجارة نتيجة لقلة المراعى مما أطال فترة الاستعدادات إلى سنة وسنتين وذلك لتوفير نفقات الزواج.

وبالنسبة للمهر فلا يفهم على أنه رابطة لتدعيم الروابط الأسرية، أو أنه نوع من التعويض يدفعه أهل العريس إلى أهل العروس لفقدانهم عضوا من أعضاء العائلة، بمعنى أن زواجها سوف ينقص منهم هذا العضو^(١٧). كما يعتبر المهر عاملا لتحقيق الاحترام الذاتى بين الزوجين ونوعا من التأمين الاجتماعى لضمان حسن معاملة الزوجة ومعاملتها معاملة طيبة من أقارب زوجها، وعاملا هاما فى إعلان الزواج وإكسابه الصفة الشرعية، فانتقال الغلة وغيرها من الهدايا التى تقدم فى احتفال رسمى دليل على أن الزوجين والجماعتين المتصاهرتين قد اتفقا وقبلتا بعضهما بعضا، ولا يعنى دفع المهر وسلسلة تبادل الهدايا استمرارا للعلاقات بين الجماعتين المتصاهرتين فحسب، وإنما يخلق أيضا علاقات جديدة يؤكد بها بينهما^(١٨)، فالمهر قيمة تدفع عند الزواج يقدمها الراغب فى الزواج إلى أسرة العروس ويخدم هذا المهر المدفوع وظائف عديدة من بينها أن يرمز إلى المكانة الاقتصادية والاجتماعية للأسر التى ترغب فى الارتباط عن طريق المصاهرة وإقامة رابطة اقتصادية بين أسرته العروسين لضمان استقرار الزواج فى المستقبل^(١٩). والمهر يعنى تقديرا للعروس وللجماعة القرابية التى ينتمى إليها، كما يعنى جدية التفاوض على العروس^(٢٠).

وقد تستخدم جماعات الدراسة المهر عادة من تكاليف وتجهيزات العريس وإعداد بيت الزوجية وتمثل تلك التكاليف عبئا ثقيلا على كاهل والد العريس وعائلته، لكون هذه التجهيزات لا تقتصر على ملابس واحتياجات العروس والمفروشات وغيرها، وإنما تمتد إلى

تجهيز وبناء بيت البرش والاتفاق على احتفالية الزواج، وما بعد الاحتفال بأربعين يوما، ثم ينتقل العروسان إلى بيت خشبى متصل ببيت العائلة والذى تقيم فيه العروس مع عريسها بعد الزواج، فالإقامة أبوية وهو ما يطلق عليه علماء الأنثروبولوجيا والتى تحدد أن المرأة تنتقل للإقامة بالقرب من أو مع عائلة الزوج وينتقل زوجها للإقامة معها^(٢١). كما أن الأطفال حينما يولدون ينتسبون إلى خط الانحدار الأبوى كما يكشف هذا التعريف عن مسؤولية الآباء تجاه الأبناء.

والمهر فى مجتمع الشلاتين لا يتم التفاوض فيه، إذ إنه محدد وفقا لما يسود، وما هو متعارف عليه حول قيمته فى مجتمع الدراسة، حيث يقوم والد العريس بدفع المهر الذى يقدم فى أغلب الأحيان من النياق، بشرط أن تكون صغيرة السن ولا تكون ولدت أكثر من مرة واحدة، ويتراوح مقدار المهر بين ثلاث أو أربع نياق، يتم تقسيمهم عندما يدفع العريس الصداق^(٢٢) الشرعى «تمنيت» وقد يدخل العريس فى شراكة مع زوجته بدفع قدر صداقها، أما المهر العرفى «متلويب» ففيه تأخذ أم العروس ناقة أو قيمتها، ويأخذ الأب جملا ويسمى «قرماى أبك كام» كذلك يدفع العريس من ٦ إلى ١٢ نعجة تسمى قويت نأى، ويهب سبعا من الأغنام للسيف وسبعا للدرع وسبعا للحربة.

وإلى جانب المهر تقدم أنواع من الهدايا، فعلى العريس أن يقدم هدايا من الذهب إلى العروس عبارة عن عقد (خشبية) أو حلق (تلال) إلى جانب هدايا أخرى غير ذهبية، فالمهر يتكون من جزء

نقدى يتمثل فى هذه المشغولات الذهبية ، وتبلغ قيمة هذه المشغولات الذهبية ما يعادل ثلاثة آلاف جنيه مصرى، إلا أنه فى ظل ظروف المنطقة وحالة الجفاف والتصحر فى منطقة الدراسة والذى انعكس على عدم الرواج المادى لدى أبناء المنطقة ، وعلى ذلك فقد اختلف ثمن الشبكة تبعاً لظروف البيئة، وأصبحت قيمة هذه المشغولات الذهبية ألفى جنيه مصرى، وتظهر الدراسة الميدانية أن شراء هذه المشغولات يتم بالطريقة التقليدية وذلك من محلات الصاغة بأسواق كسلا فى السودان حيث توفر نمط متميز لهذه المشغولات ويرافق العريس إخوته المتزوجات أو العمات، وتنطلق الزغاريد حيث كان قديماً يفضل العريس شراء الشبكة أثناء رحلة الرعى أو التجارة بمفرده (براو) لتجنيب ذويه مشقة السفر، كما يتضمن جزءاً عينا من مستلزمات الاحتفال ، والذى يسمى بين أهالى المنطقة «الشيلة» وهى عبارة عن هدايا يتعاون فيها الأقارب لإرسالها لأهل العروس ، والتي تتكون من : هدايا من الأتواب وبعض من السلع التموينية، والتي تتكون من ثلاثين جوالاً من الفحم، وثلاث علب لبن من السوق، وعصير من أكياس التانك، وست زجاجات روائح لتقدم للمدعوين كتحية فى اليد، هذا بجانب السلع الغذائية (الأرز ، والسكر، والدقيق وبعض من الخضروات والطماطم لإعداد الولائم لاحتفالية الزواج)، ويتم إرسال خمسة أغنام فى كل يوم خلال أسبوع الاحتفال بالعرس . حيث يتوجه نساء أهل العريس والمدعوات الأقارب والجيران إلى بيت أهل العروس لتقديم شيلة العروس، والتي تعتبر دعامة ترتكز عليها باقى ممارسات احتفالية الزواج، فتعد شيلة العروس بمثابة

إشهار للزواج وإعلام الآخرين بيوم الاحتفالية، حيث يحمل الفتيات الشيلة فى سيارة نصف نقل يقودها أحد أقارب العريس ليجوبوا أنحاء العزبة والعزب الأخرى المجاورة لتشاهد نساء العزب شيلة العروس وذلك فيما يشبه المسيرة لخروجهم فى ميعاد واحد بعد صلاة الظهر ورجوعهم بعد صلاة المغرب فى موكب كبير يتنافس فيه النساء والفتيات فى الغناء والزغاريد ، فإن هدايا الزواج تعد بمثابة دليل مبدئى على الدعم الاقتصادى والتعاون والكرم الذى يدين به الرجل لأقارب زوجته المقربين^(٢٣) لذا فهى نوع من المساهمة إلى إتمام الزيجة، وبذلك تبدو عملية دفع المهر هذه ذات وظيفة مهمة ترمز إلى تماسك العائلتين المتصاهرتين، كما أن ارتفاع تكاليف الزواج والمهر، على الرغم من أنه زواج داخلى وذلك حتى تنتقل حيوانات الصداق لنفس العائلة القرابية وذلك حفاظاً على الثروة، ويمثل ذلك فى حقيقة الأمر تماسكاً بين أعضاء الوحدة القرابية والقبلية.

أما المهر عند الرشيدة فهو أن يهادى العريس لعروسته ابنة عمه الهدايا المتفق عليها وهى عبارة عن ثلاثة من الجمال الأشداء الأقوياء أو ما يعادلها أمولاً، هذا بجانب الشيلة أو الهدايا والتي تتكون من الخواتم الذهبية، والفضية، وبعض من المشغولات الذهبية التى تختص بقبيلة الرشيدة مثل الدمليج وهى عبارة عن أساور ذهبية فى الذراع من أعلى، والحجل وهى الخلخال وقلادة على الرقبة، والزمَام الذهبى فى الأنف وتبلغ قيمة هذه المشغولات الذهبية ما يعادل أربعة آلاف جنيه مصرى، وهناك محال تجارية لبيع الذهب الخاص بقبيلة الرشيدة فى منطقة الشلاتين ، أما الملابس والأقمشة فيقوم العريس

بشرائها ويتم حياكتها^(٢٤)، بداخل السوق بمدينة شلاتين، فالتنوع السلالي خلق تنوعا ثقافيا، وخاصة في عناصر الثقافة المادية التي تتكون من الأزياء - والتزين - وأدوات الحياة اليومية الخاصة بقبيلة الرشادية، والمسكن البدوي الذي يسمى (بيت الشعر) أو الخيمة البدوية، والذي يتكون من ثلاثين متر قماش من نوع الدمور، وتقوم النساء بغزله بإبر خاصة لحياكته، وتقام الخيمة في فترة تمتد إلى ٦ شهور، وتحاول النساء زخرفة البيت من الداخل بالحصر والأكلمة ولكن المرأة الرشادية لا تجيد المهارة اليدوية والإبداعية كما تجيدها المرأة البشارية والعبادية وخاصة في التنويعات والزخارف الجمالية الخاصة بزيينة المرأة وزينة منزل الزوجية^(٢٥).

و يرجع ارتفاع المهور إلى قيمة المرأة كقوة منتجة في الأسرة أو للاكتفاء بزوجة واحدة والحفاظ على زوجته وعدم التخلي عنها؛ حيث إن مجتمع الدراسة يمثل فيه تعدد الزوجات سمة مميزة لهذا المجتمع^(٢٦).

وتنتهى إجراءات الزواج بعقد القران (أوسف) في مساء اليوم الذي يقدم فيه المهر بعد صلاة العشاء على يد رجل من الأشراف وأكبر الشيوخ سنا في القبيلة وأعلامهم في المركز الاجتماعي والسياسي، ويحضر والدا العروسين في هذه الجلسة وأربعة شهود يشهدون على إتمام هذه الزيجة ، ويبدو أن عدد الشهود ضعف ما تتطلبه إجراءات الزواج، ويفسر الأهالي أن لجوهم لهذا العدد لكون هذه العقود غير موثقة، ولذلك يتم إحضار شاهدين من كلا الطرفين (العريس والعروس) لتأكيد وإشهار الزواج في مجتمع الدراسة، وفي

الأونة الأخيرة، ظهر نظام كتابة العقد عن طريق المأذون لتدوين الزيجات في سجلات رسمية، ولدواع أمنية أصبح العقد موثقا، حيث يتصافح والد العروس مع والد العريس أمام المجتمعين ويقول بصوت مسموع: «أعطيك ابنتي» فيرد والد العريس «أعطيتك». ثم يقرعون الفاتحة بحضور العريس والمجتمعين من أهل القبيلة، حيث يكون الرجال في مجلس منفصل عن النساء، ثم يذبح ضأن أبيض ثم ينشدون ويمدحون الرسول.

ومن واقع الدراسة الميدانية وجد أن هناك حالات نادرة تستخدم نظام كتابة العقد ، كما أن معظم أهالي المنطقة يستعينون بالشهود الأربعة حتى الآن.

وفي المساء يذهب مجموعة من الأشراف إلى منزل العريس، ويقومون بالإنشاد (يدعون أو يتوسلون ربهم) وتذهب امرأة من الشريقات إلى منزل العروس وتقوم كذلك بالإنشاد الديني، وتتراوح مدة احتفال الزواج بين ثلاثة إلى سبعة أيام وتتبعه احتفالات أخرى.

ب- تجهيزات الزواج واستعداداته

يعد جهاز العروسين جانبا آخر من الجوانب الاقتصادية للزواج وتشمل هذه المحتويات التي يتم الاتفاق على مكوناتها ضمن الاتفاقات الأولية للزواج: إعداد المسكن، وأدوات الحياة اليومية، وإعداد ملابس العروسين، ولذا يمثل إعداد مسكن الزوجية أحد الجوانب المهمة لاحتفالية الزواج في منطقة الدراسة، كما أنها تبرز انعكاسات وتأثيرات البيئة المحيطة على عادات الزواج والمتمثلة في سيادة عناصر ثقافة مادية محددة نعرض لها فيما يلي:

الثقافة المحلية هي ثقافة خاصة بإقليم جغرافى محدد وتنشأ هذه الثقافة من خلال مقومات بيئية وإطار زمانى ومكانى خاص بتراث المنطقة، والتي تعتبر رافدا من روافد الثقافة القومية التى تنتمى إلى كيان قومى يتفاعل فيه المعنيان معنى الولاء والانتماء للمجتمع القومى ، وبعبارة أخرى فإن أية منطقة ثقافية تتمتع بكيان ذى ثقافة محلية وفى الوقت نفسه تقع ضمن الثقافة القومية للدولة.

وكثيرا ما تعانى الثقافة المحلية من قضية الازدواجية، ومنطقة الشلاتين تعتبر شكلا من أشكالها، فثقافة منطقة الشلاتين هي مجموع مكونات تشكلت عبر مسيرة هذه الجماعة ودعا ذلك التاريخ الطويل إلى ضرورة التمكين لكل أشكال التنوع فى الكيان الثقافى للتعبير عن ذاتها، فثقافة المنطقة تمثل منطقة هامشية لما فيها من اختلاط ثقافات بالمناطق المجاورة بمنطقة الدراسة.

والثقافة المحلية من جانب آخر تعد جزءا من الثقافة الشعبية التى لا يمكن الفصل بين أجناس بعضها عن بعض، لأن العلاقة بين عناصر الثقافة الشعبية علاقة ذوبان وامتزاج وتداخل بحيث لا يمكن أن نفصل كل عنصر من عناصر التراث الشعبى عن الآخر، فكل منها يمثل جزءا من الثقافة الشعبية المرتبطة بالعناصر الأخرى، وإذا نظرنا نظرة فاحصة لأقسام التراث الشعبى نجد أن عادات الزواج تتجمع فيها الكثير من عناصر التراث الشعبى الموجودة فى البيئة من قيم وتصورات ومعتقدات شعبية وخبرات ومعارف وتشكيل مادى، ولذلك فهى صورة يجسدها تفاعل الفرد فى منطقة الشلاتين مع بيئته الصحراوية وتجاوبه وتكيفه مع البيئة المكانية للمنطقة، ولعلنا ندرك

أن الثقافة المادية هي مرآة للبيئة التى تعيش فيها هذه الجماعة التى فرضت عليها العزلة نوعا من التميز والأصالة ، فالثقافة المادية لهذه المنطقة هي ثقافة دالة على كيفية توظيف الخامات البيئية واستغلالها لتأدية الجانب الوظيفى والجمالى فى المنتج الفنى، والثقافة المادية فى منطقة الشلاتين عبارة عن اختلاط وامتزاج بعض عناصر الثقافات الفرعية للمجتمعات التى بينها وبين ثقافة منطقة الشلاتين علاقات جوار وقربة لتلبى حاجات أفراد المجتمع فى حياتهم اليومية والمعيشية وذلك من خلال الخبرة المكتسبة من الآخرين مع تكامل المنتج الشعبى بكل جوانبه التراثية لتأدية وظيفة للجماعة مع الحفاظ على هويته المكانية.

أولا : إعداد مسكن العروسين

لما كانت قبائل البجا قبائل رعوية منذ الأزل ودائمة الترحال وراء الماء والمرعى، كان من المنطقى أن تكون مساكنهم سهلة التركيب والبناء بما يتفق مع طبيعة النشاط الاقتصادى والبيئة الجغرافية فى منطقة الشلاتين، ولذلك نجد أن الإنسان البجاوى فى منطقة الشلاتين لم يستسلم لظروف بيئته القهرية التى حرمته من الإحساس بالأمان. والخوف من مناطق الصحراء وبناء المساكن، إلا أنه يجد الاستمتاع فى مسكنه البسيط الذى يتكيف به مع شدة الحرارة فى الصحراء، فقد حرص على تزيين مسكنه بالخرز والودع من البيئة التى جعل منها عنصرا لإبداعه وخلقه من خلال الأشكال والمشغولات البيئية التى يزين بها مسكنه.

فالمسكن يعتبر أداة لتغلب الإنسان على البيئة وحمايته من

العوامل الطبيعية، من إشعاع حرارى ورياح وأمطار، والإنسان عادة ما يستخدم الخامات البيئية المتوفرة أمامه فى تشييد أقسام مسكنه^(٢٧). والجاوى فى منطقة الشلاتين يستفيد من المواد المحلية المتوفرة فى بيئته لإقامة مسكنه «بيت البرش»^(٢٨)، فقبايل البجا ينتقلون بحثا عن الماء والمرعى، وهذه سمة مميزة لكل القبائل الرعوية جعلتهم يشيدون منازل متحركة تتلاءم مع ظروف الترحال، ولذلك نجد بيت البرش يتم صنعه من المواد المحلية فى البيئة التى يعيشون فيها والتى تتلاءم مع نشاطهم الاقتصادى وظروف البيئة ويتم تشييدها فى فترة وجيزة ويسهل حملها على ظهر الإبل، ويعتبر بيت البرش المأوى الأساسى للأسرة الشلاتينية، ويبدأ تأسيس العروس وأمها وأقارب العروس من النساء لبيت البرش، ويساعد الزوج وأهله فى تحضير المواد من البروش والحبال، فبداية عرسه يتخذ مسكن البرش مأوى له، وبعد مرور عام تستقر حياته الاجتماعية فينتقل إلى «الصندقة»^(٢٩).

وتعتبر هذه البيوت الخشبية نوعا من التجمعات شبه الثابتة والتى تتمتع بشيء من الاستقرار، ويتخذ المسكن شكل المستطيل، الذى يبنى من الألواح الخشبية وفروع الأشجار أو من قطع الصفيح ثم يغطى من الخارج بخليط من الرمل أو القش، ويغطى السقف الذى يبدو منحدرًا بفروع الأشجار وسعف النخيل، ولا يوجد بالمسكن منافذ باستثناء الباب، وقد يحاط بالمسكن سياج من الأغصان الشوكية ليضم فناء صغيرا تتجمع فيه الحيوانات الصغيرة ليلا، ويقسم المسكن من الداخل إلى عدة أقسام بواسطة الستائر

والحصير ليفصل بين الكبار والصغار والذكور والإناث ويستخدم أحد الأقسام كمخزن للأوعية والأواني. وقد يعد مطبخ لطهى الطعام وتفرش أرضية المسكن بالحصير وتوضع الوسائد على الأركان، ويشتمل المسكن على بعض الأسرة الخشبية (العنجريب) بدون وسائد عليه وتحفظ أسفله بعض المنقولات، وبالبيت صندوق خشبى لحفظ بعض المنقولات، وهذا الشكل من البيت يسمى الصندقة لأنه على شكل صندوق خشبى، والرجل هو المسئول عن بناء المنزل أما المرأة فهى المسئولة عن تأثيثه وتجميله.

وعلى حد قول أحد الإخباريين^(٣٠) أن الصندقة أو البيت الخشبى أنسب للمناخ الحار، ويمكن رؤية القادم نحوه بسهولة إذا كان جالسا بداخله، أما السقيفة فيتخذها البدوى مبيتا أثناء الرعى فى البادية، فهى كمظلة له.

مسكن البرش لدى البشارية والعبادة

إن مساكن قبيلة البشارية والعبادة عبارة عن شكل نصف كروى يتكون من سبعة بروش بيضاوية ترتكز على ستة قوائم (شعب) أساسية متصلة بثلاثة حبال طويلة، ويعرف المسكن بالرطانة (بدوى جوى) وتصنع من شعر الماعز لمتانته وقوة احتماله ويستفيد بدو العبادة والبشارية من المواد المحلية المتوفرة فى بيئتهم لعمل البيت، ومحتوياته، ويشارك أهل العريس وأهل العروس فى عمل البيت ويقوم العريس وأقاربه من الرجال بتجهيز الشعب وتثبيتها على الأرض، وتقوم أم العروس بصناعة البروش والحبال وتركيبها على الشعب لتثبيت البروش مع بعضها البعض بعيدان صغيرة من

الخشب تعرف (بالخلال) لتكون وحدة متماسكة تمنع تسرب مياه الأمطار ودخول الشمس والرياح، ثم تثبت على الشعب لتكون الشكل العام للبيت.

ويطن البرش المكون للجزء الأعلى من داخل البيت بخرق حمراء «قطع قماش» تسمى «دلالة» تمنع تسرب مياه الأمطار من خلال فتحات البروش، ويرجع اختيار هذا اللون لاعتقادهم بأنه يجلب الفأل الحسن، كما يفرش غالبا برش ملون على امتداد الدائرة السفلى من البيت لتجميل البيت، ويشغل النصف الداخلى لبيت البرش سرير كبير يرتكز على عدد من الشعب تتراوح ما بين ستة عشر إلى عشرين على ارتفاع قدمين تقريبا. وتفصل المسافة الواقعة أسفل السرير تماما عن البيت، وذلك لتثبيت برش عادى على الجزء الأمامى من السرير لحمايته من الشمس والمطر، ويتكون السطح الأعلى للسرير من عروق تثبت على الشعب وتثبت عرض شرائح خشبية مكونة الشكل العام للسرير، ثم يوضع بساط من جريد الدوم منسوج بجلد الإبل على هذا البساط، كما يوضع برش أبيض يصنع خصيصا للزواج ويأتى به أهل العريس ليرقد عليه الزوجان فى الأرض فهم لا يشعرون بالراحة فى النوم على العنجريب بقدر ما يشعرون بالراحة على الأرض، وإذا تيسر الحال يوضع برش ملون من الجانب المخصص للمرأة.

ويتضح من خلال الدراسة الميدانية التى أجرتها نادية بدوى أن البجاوى يستفيد من المواد المحلية المتوفرة فى بيئته لإقامة مسكنه ويسمى (فو) والجمع فوات، وبناء المسكن فى حالة الاستقرار يقع

ضمن مسئولية المرأة، وهى التى تجمع جذوع الأشجار، حيث تخرج إلى الصحراء حاملة الفأس، وتقطع جذوع الأشجار التى تدخل ضمن ممتلكات القبيلة، ومن المعروف أن الصحراء بجمالها ووديانها وآبارها موزعة بين القبائل الرئيسية والفرعية ولايحق لأى فرد ما أن يستغل آبارا أو يقطع أشجار قبيلة أخرى إلا بعد الاستئذان، وحينما يتم قطع شجرة فلا يجب قطعها من الجذع بل من الفروع وترك الشجرة قائمة حتى تنمو مرة ثانية مع موسم الأمطار، فالأشجار ثروة للقبيلة، حيث تتغذى الإبل على الأغصان الخضراء منها وتنتفع القبيلة بفروعها فى صناعة الفحم وهو مصدر أساسى للوقود لدى البدو ومصدر الدخل القومى^(٣١). فالشواهد الميدانية تؤكد أن الرجال لديهم مهمة إحضار البروش وشرائه، إما من السوق أو شرائه من السودان، ثم تعطى لأم العروس، وأقاربها مهمة بناء مسكن الزوجية.

كما اعتاد الرجال حرق المكان المقام عليه المسكن قبل إقامته بحيث تجمع بقايا الحريق، وتنقل بعيدا عن المسكن حتى لا تتعرض الأسرة الجديدة لمهاجمة أى من الحشرات (العقارب، الطريشة) التى تتجمع حول المحترق فيها وهذا يعكس بوضوح خوفهم الشديد من هذه الحشرات ويعكس تكييفهم مع ظروف البيئة القاسية والتى تعتبر سمة من سمات الحياة البدوية التى يعيشها أهالى المنطقة^(٣٢). والمسكن يتكون من ستة قوائم يبلغ طول الواحد مترين تسمى شؤباب وتندق فى الأرض على شكل دائرة فى شمال موطن البجا وفى الجنوب على شكل بيضاوى، أما السقف فيتكون من ثلاثة

فروع طويلة من شجر السيال وعيدان السدر لأنه أكثر مرونة وهو مناسب لعمل السقف الذى يأخذ شكل نصف دائرة تسمى (همر) حيث يتم ربط أطراف القوائم مع فروع السقف بالحبال التى تنسجها النساء أيضا.

يتم بناء بيت البرش عند الزواج ويحضر العريس عدد ثمانية بروش، ويبلغ طول البرش من ٣: ٤ أمتار وعرضه ١,٥ متر وهو مصنوع من الحصير، ويتم بناء البيت بسبعة بروش، أما الثامنة فتعطى هدية لأم العروس، التى تجهز الخشب والعروق الخاصة بالبيت وهى من أشجار السنط أو الشجر المت وشجر الدوم، حيث إن فروع هذه الأشجار ليس بها أشواك وصلبة وتتحمل، ويلزم بيت البرش عدد من فروع الأخشاب تتراوح ما بين متر إلى مترين وعددها ثلاثة من الأمام ومثلها من الخلف والأجناب، ويتم وضع خشبه وسطى من أعلى تكون صلبة وقوية تسمى (همر) حيث إنها تتوسط البيت من الأمام ويمتد إلى الخلف، ويتم عمل قواطع خشبية من فروع الأشجار عرضية لتثبيت السقف، ويتم اختيار مكان البيت الجديد على مسافة تتراوح ما بين ٣٠ إلى ٥٠ مترا من بيت أم العروس من الأمام، وبعد ذلك يتم عمل حفر فى باطن الأرض الصلبة لمسافة ٤٠ سم (شبرين) بوضع الأعمدة وتثبيتها، وبعد تثبيت الأعمدة يتم استكمال بناء البيت ويتم تغطيتها بالأبراش السبعة ويتم تثبيت الأبراش فوق الأعمدة بوسيلتين: الأولى: تثبيت الأبراش بجانب بعضها البعض وذلك عن طريق الخلال، ويتم عمل الخلال باستحضار فروع من أقرب الأشجار المحيطة وتكون بسلك حوالى من ١: ١,٥

سم وتكون أطرافها مدببة، أما الطريقة الثانية: تثبت الأبراش على الأعمدة والعوارض وذلك بتغطية كاملة للمسكن بالبرش وربطه بالحبال التى كانت تصنع قديماً من الصوف أو من الحبال العادية المتداولة.

وبناء بيت البرش يستغرق من الوقت ساعة من الزمن، حيث تشارك نساء القبيلة والأقارب والأخوات والجيران ويقومون بالمساعدة فى نصب البيت، وتكون فتحة البيت أو وجهة البيت وهى مكان الخروج والدخول تجاه الناحية الشرقية أو ناحية بيت الأم، ويتطلب البيت عند الدخول الانحناء الشديد حيث إن طوله متران تقريبا، ويتم تبطين جوانب البيت من الداخل بما يسمى الشملة وهى ما تقوم بنسجه النساء على نول بسيط، والنول عبارة عن أربعة أخشاب مستقيمة يتم تثبيتها بالأرض عن طريق أربعة أوتار، ويبلغ طول الشملة ثلاثة أمتار وعرضها حوالى متر ونصف، وتنسج من صوف الأغنام وتكون الألوان المعتادة دائما الأبيض، الأسود، الأحمر، البنى الغامق، وهى ألوان صوف الأغنام، وتوضع الشملة تحت البرش بغرض التدفئة وحجز ماء المطر وكخلفية للبيت، وأخرى لتفصل بين الداخل وسرير النوم وبين الجزء الخارجى من البيت.

ويتم تآثيث البيت من الداخل بعد الانتهاء من التركيب أو نصب البيت، حيث يتم جلب أحجار متقاربة فى السمك ويتم رصها بجوار بعضها البعض داخل بيت البرش وبعد الانتهاء من رص الأحجار يتم فرش ما بداخلها بالرمال النظيف حتى تتساوى مع ارتفاع الأحجار التى تم رصها وبعد ذلك تفرش بالبرش، وتستخدم الأغصان البسيطة

وهى عبارة عن (ترن) حصير (تهسير) ويصنع بتسوية أحجام من جريد الدوم وربطها ببعضها بحبال مصنوعة من جلد الجمل (قلوت) بحيث تصبح الحصيرة ناعمة الملمس وتصير كالبرش قابلة للطى والحمل، وتفرش فوق عروق يتحدد عددها حسب حجم البيت، ويحمل كل عرق وترين بطول ٥٠ سم وتفرش فوق الحصير فرشاة مصنوعة من الجريد المقطع الرفيع ويسمى (بأديب) أو من عدة ثياب مستعملة مخططة فى بعضها على شكل لحاف يسمى (دلئك)، ويفرش فرش العروس ويسمى (هلس) وهو عبارة عن منسوج من خيوط مغزولة من الثياب القديمة وبألوان مختلفة، ويوضع تحت الرأس الوسادة وتسمى (تومبأس) ، وتصنع من الجلد المحشو بنبات زكى الرائحة ويثبت فى برش مزين يسمى (مشكيت) من الجهة الأمامية بحيث يغطى أسفله، كما يوضع تحت الرأس وسادة أخرى من الخشب المنحوت بشكل يسهل وضع الرأس على الأرض وتستعمل قطعة من السعف مزخرفة بشعر الإبل والحريز والودع فى أشكالها المبدعة وتسمى (ت ساكو) وتكون فى أعلى وسط المنزل تحتها قطعتان من الثوب مخططتان فى بعضهما بلونين مختلفين كزينة ويسمونها (ت هبر) بحيث تحرك عند الدخول أو الخروج من المنزل وتستخدم ستارة أمامية، كما توضع فى جانب المسكن جراب جلدى كبير يحفظ فيه الأغراض الخفيفة من الأدوات المنزلية.

أما الجزء الأمامى من البيت يستخدم للجلوس وشرب الجبنة «القهوة» بعد فرشاة بالبرش ، ويتم وضع الأغراض الخاصة بالزوجة حول مكان النوم، ويتم تعليق الأغراض الخاصة بالرجل: الجراب

الذى يحتوى على سيفه وهو مصنوع من الجلد ويتم تعليق السيف بجانب الجراب على شكل X وذلك لاعتقادهم فى أن وضعه بهذه الطريقة يدرأ الحسد ويمنع الأذى والشرور والمشاهدة للعريس والعروس. وأحيانا يوضع السيف على الأرض بجواره حيث ينام العروسان على الأرض، وهنا تستدعى من العروس الحيلة والحذر، ويدعو الأهل للعروسين: «إن شاء الله جادوك أمارتوك ايكانة» بمعنى إن شاء الله يملأ البيت بالأولاد.

وفى أثناء بناء المسكن يتم غناء هذه الأغنية: لا إله إلا الله محمد رسول الله

الأغنية الأولى:

(أول باسم الله) بنيت صلاة أولتو باسمتى
على حضرة النبى
لا إله إلا الله فاطناب أو بنيت أورى
عروستك ان شاء الله تجدها فى أخلاق أوتى أورو
امداهرهونى

فاطمة ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام

لا إله إلا الله

ندعو الله أن ينزل المطر على بيتك الجديد

(البيت): أوجوك بيرى رشا

والغيوم تبقى فوق المسكن لينزل المطر

أودرور اوسنكوراب يوك

حيث يتفاعلون باللون الأحمر ويتفاعلون

أون الله أرووكو (صاحب أو صديقة)

بالمطر أثناء عمل السنكواب

(اجعل سيفك صديقا لك ليحفظك الله فلا

(السيف) ماتوك أرووكو (صاحب أو صديقة)

تخاف من أحد وأنت معك سيفك، وأخيرا

هانات جومات (طويل) عومرات (العمر)

ندعو الله لك بالعمر الطويل)(٣٣) .

الأغنية الثانية:

ادعوا للعريسين بالذرية الصالحة والأولاد

ايداياك أروة أوليل

يزعجوه من النوم ويعيش إلى أن يشاهد أولاد

أماشيني هوكا

أولاده

فى الساحة احنا نغنى ونفرحك فى أملاكنا

شيو هوايت برياك ايدينا دوباى شيبو هبوتيك

يارب تكون زوجتك فى حسن ظنك بها حيث عائلتها عائلة الكرم

والشجاعة فهم أحسن الفروع من القبائل البجة

أو مهتين الله بيت ناويم هوكا هارينى اورينى تومينى

هامديب أويرالباب (فرع من فروع البجا)

وعندما تقوم الأسرة الجديدة بنصب بيت البرش الخاص بها

تكون عادة فى أماكن قريبة من بيوت العائلة الأكبر؛ وذلك للإحساس

بالأمن حيث تكون المسافة بين كل بيت والآخر مسافة تقارب ٤٠ مترا

تقريبا ، وعند الإنجاب ينام الأبناء فى برش صغير أمام البيت يسمى (الليلك) أو (شفت) (ويعرش بلحاء الأشجار أو القش) وتستخدم فى الصباح كمضيفة أو لنوم الأبناء ، وذلك حتى يصل عمر الأبناء إلى ٦ أو ٧ سنوات ، وحينما يصل سنهم إلى ٨ أو ١٠ سنوات ينامون مع الشباب فى العراء ومعهم الأغطية، أما البنات فيبقين فى الشفت، ويتم تسقيف هذا البيت عليهن، ولحمايتهن من حيوانات البيئة^(٣٤).

بيت البرش غير مقسم داخليا بعكس ما أشارت إليه دراسة نادية بدوى، أما الأثاث فتغلب عليه بساطته فى التصميم وقلة مكوناته ويتسم بالزخرفة الجميلة، حيث يتميز السرير بالمساحة الكبيرة ويشغل نصف المسكن الداخلى، ويفرش عليه البروش ويغطى أسفل السرير حيث يحتفظ بالأمثلة فى هذا المكان. وينقسم السرير إلى جزئين الأيسر، ترهقوت خاص بالمرأة وأطفالها أما الأيمن «أميقوت» وينام فيه الرجل، كما أن بيت البرش يفصل الجزء الخلفى عن الأمامى بستارة من الصوف، حيث تحتفظ المرأة فى الجانب الأيسر الملاصق للباب بأدوات المنزل وهو يشابه المطبخ وينطبق ذلك على الذين يعيشون فى (القرى - كسلا - بورسودان - بربر - عطبرة - سواكن) فهم يبنون مساكنهم من الطوب الرملى أو الطينى حيث يكون المسكن من جزئين الخلفى يضم غرفة للأسرة ومطبخا بدلا من المشعليب وهو (إناء من القرع العسلى يستخدم لحفظ السمن) ، وهو عبارة عن وعاء مصنوع من خوص النخيل المجدول، والمزخرف بأشكال هندسية ملونة، ويعلق هذا الوعاء فى سقف الحجرة بواسطة حبال رفيعة من خيوط مجدولة ولونها فى معظم الأحيان أحمر

ومزينة بالودع والخرز وتعقد أطرافها من أسفل حول «المشعليل» فيصبح معلقاً في وسطها، ويستخدم «المشعليل» في حفظ الأطعمة بعيداً عن الحيوانات والحشرات... كما يعتبر عنصراً من عناصر الزينة في المسكن^(٣٥). أما الأثاث والأدوات المادية لأبناء منطقة الشلاتين فهي بسيطة للغاية، حيث تحتوى على القليل من المتاع الذي يحتاج إليه البدوى في حياته اليومية كالحمول (وهو السجاد المصنوع من صوف الضأن) وصندوق خشب لحفظ الملابس والعنجريب أو أحياناً كثيرة يفتersh بعضاً من الأكلمة والسجاد المكونة من قصاقيص الصوف، وفي الصيف يفتersh الأرض دون وضع أية أكلمة، والشباب من الذكور ينامون خارج بيت البرش، إذا كان لديهم أخوات.

أما إعداد الطعام لدى المرأة العبادية والبشارية في منطقة الشلاتين فيتم خارج بيت البرش، وليس هناك طراز معماري للمطبخ، وهو نفس الشكل السائد في السودان. أما أواني الطبخ (قدور الطهى) من الألومنيوم أو الفخار التي تجلب من السودان فهم لا يزالون يستخدمون القربة المصنوعة من جلد الماعز لجلب الماء من البئر، والعمرة من سعف نخيل الدوم لجلب الماشية والتي تجلب من الجنوب، والصاجة (وهي طبق متوسط الحجم) يتم إشعال بعض فروع الأشجار لتجهيز الخبز أو الكسرى، وعدة الجبنة لعمل القهوة والمكونة من الفخار وبيت الجبنة المصنوع من الخوص.

ويستخدم البشارية والعبادة ثمرة القرع الجافة لحفظ العطور ودهن الشعر الذي يحفظونه في كيس من الجلد المزخرف بالودع

والخرز، ويستغلون جلد الإبل لعمل شنطة العروس التي تزخرفها بالخرز والودع لتحفظ بها حاجيتها من الكحل والدهن ومن الروائح. وينحتون من حجر التلك المتوفر بموطنهم ليضعوا فيها الدخان الذي يأتون به من السودان. ولا يوجد لديهم أى مصدر للإضاءة إلا إشعال النار للتدفئة والإنارة^(٣٦). أما الآن فأصبحت الكهرباء مصدر الإضاءة، إلا أن أهالي منطقة الشلاتين يفضلون إشعال النار بطرائقهم البدائية ومازالوا يحفرون حفرة توضع عليها بعض الأحجار وتملاً بالخطب، وتستخدم فروع الأشجار كوقود لإعداد الطعام، ونظراً لبساطة مسكنهم فليس لديهم ما يزينون به المسكن إلا المعلق لوضع بعض الأدوات الخاصة لعمل الطعام (المفراك) لعمل العصيدة، فهو يقوم بتقليب العجين، ومعلق آخر يوضع فيه بعض من التمام والأقمشة المأخوذة من أضرحة الأولياء.

إن بيت البرش له طقوس، فهو لا يؤسس إلا للزواج، أما إذا كان رجل أعزب أو أرمل فإنه لا يقيم في بيت البرش بل يبنى في هذه الحالة مسكناً يسمى «حيما»، أو حمات» حيث يحضر كتلاً خشبية من الأشجار المتوفرة بالبيئة ويدقها في الأرض ويعمل على تسقيفها بالأغصان الصغيرة، وهو بذلك يكون مكاناً لصد الهواء وحمايته من الشمس.

أما عن قضاء الحاجة بالنسبة للرجل يتم في أماكن بعيدة لا تقل هذه المسافة عن كيلو متر، وتكون إما بين جبلين أو كثبان رملية والحاجة تقضى أن تكون أماكن الرجال غير أماكن النساء، فيكون مثلاً الاتجاه الأيمن للرجال والآخر للنساء، وتكون المسافة بين

الاتجاهين بعيدة، وهذه الأماكن تستر الرجال والنساء على حد سواء، فإن المخلفات الأدمية أقل تأثيراً على سكان المنطقة، وبذلك لعدة عوامل منها بعد المسافة، وقوة الشمس، وجفاف الجو، واتجاه الريح، أما عن أماكن إيواء الحيوانات والإبل والماعز فلا تجمع الماعز مع الإبل بل تكون أماكن تجمع الإبل بجانب الأماكن التي يجلس بها الرجال، أما الماعز فتبيت في العراء أو فناء محاط بالخشب لحمايتها من الحيوانات الضالة^(٣٧).

وفى ظل التغيير والتحديث شهدت المنطقة إنشاء ما يسمى المحيط الثالث السكنى وهى المساكن الخرسانية التى شيدتها الحكومة، إلا أن أهالى المنطقة رفضوا الإقامة بها فهى لا تتناسب مع حياة التنقل والترحال، ولا يجدون فيها لذة الحياة والمعيشة فهم لديهم الشعور بالرضا لحياتهم.

مسكن الرشادية

يأتى التنوع الثقافى فى منطقة شلاتين من خلال اختلاف الأصول الإقليمية، والتى تتضح أشكاله الثقافية فى دراسة الثقافة المادية الخاصة بالمسكن البدوى لقبيلة الرشادية. وهو نوعان: الأكشاك الخشبية، والخيمة البدوية.

١- الأكشاك الخشبية

هناك تشابه كبير فى المسكن بين قبائل العباددة والبخارية، فهم يسكنون الأبراش والأكشاك الخشبية المغطاة بالصفائح، أما مساكن الرشادية فمع أنهم يشبهون العباددة والبخارية من حيث بنائهم مسكن الأكشاك الخشبية مع اختلاف الطريقة والتصميم، فهم يتقنون

صنع هذه المساكن الخشبية ويتقنون فى ألوانها وبنائها حيث تعدد الحجرات، فهى تعبير عن ثراء ساكنيها من طبقة التجار (الرشادية) وهى على شكل مستطيل (تبنى بأعمدة خشبية وتغطى بفروع الأشجار) ويصعب تحديد المستوى المادى (الثراء) إلا من خلال عدد رعوس الماشية من الجمال وليس من شكل المسكن، ويعتمد فى بنائه على الأخشاب بالأشجار المظللة المنتشرة بكثافة على امتداد الصحراء، كما استخدمت أغصانها كأعمدة أو دعائم لبيت البرش أو الخيمة البدوية التى تكونت من النسيج الذى يغزل من صوف الأغنام والإبل، ومن الخارج خليط من الرمل والقش، وأحيانا تبقى كما هى أعمدة مستطيلة خشبية لكى تسمح بنفاذ ضوء الشمس، حيث توضع الألواح بطريقة غير متشابكة بل على بعد مسافة صغيرة، ثم تقسم الحجرات إلى حجرتين أو ثلاث حجرات، وفى بداية المسكن فناء يوضع فيه العنجرى (السريى) لأبى الأسرة، والحجرة الأولى للزوجة الأولى وأولادها، أما الأبناء فهم فى الحجرة الثانية، إذا كان هناك امرأة واحدة أو زوجة واحدة ويفصل بين الحجرتين بستان من الحصى، ولابد من نوم الشباب، والأطفال الذكور خارج المسكن فى الفناء إذا كانوا فى سن المراهقة.

ب- الخيمة

تعتبر الخيمة البدوية وسيلة للإقامة تمثل الأمان للبدوى فى قبيلة الرشادية، وقد يرجع انتشار الخيمة البدوية أو بيت الشعر فى المنطقة إلى تأثرهم بالنمط السائد بالخيمة البدوية فى شبه جزيرة العرب، حيث تنتمى قبائل الرشادية إلى الأصول البدوية، وتتميز

الخيمة بخفة الوزن وسهولة الفك والتركيب بالإضافة إلى شكلها الذي يتسم بالمرونة، فهي نمط الإسكان الخاص بقبيلة الرشايدة ولذلك نجدها تلائم الطبيعة التي يتواجد فيها أفراد القبيلة، فمواد تكوينها من البيئة فهي عبارة عن شعر الماعز أو وبر الإبل وقطع قليلة من الأخشاب تستخدم كدعامات، لتمتد على نسيج خفيف مشدود لتكون مقاومة للرياح والحماية من الشمس نهارة ، والبرودة ليلا. وتعتبر الخيمة وسيلة فعالة لمصدات الرياح، فمن مميزات النسيج الموضوع من شعر الماعز أنه يسمح بوصول الهواء من خلال الأنسجة المسامية وبالتالي يربط الخيمة، وفي حالة سقوط الأمطار ، فإنه ينكمش هذا النسيج وتصبح أكثر سمكاً وبذلك يعطى مقاومة كبيرة لاختراق المطر للداخل، واللون الداكن للنسيج يعطى ميزة خاصة عن الألوان الفاتحة حيث إنه أكثر عتامة لضوء الشمس، ومن المميزات الهامة للخيمة هو اتزانها أمام حركة الهواء وكذلك وجود الحبال المثبتة والمائلة الطويلة فى الأرض بوضع مائل، بالإضافة إلى التقيد بشكل هندسى للخيمة، حيث يمكن للبدوى أن يخفض مستوى أرضية الخيمة بحيث لا ترتفع منها فوق الأرض أكثر من مترين^(٣٨).

وعادة ما تقام الخيمة فى مواقع المأوى وحول الآبار الخاصة بالرشايدة، والخيمة البدوية تتكون من ثلاث طبقات طبقة من شعر الغنم، وهو اللون الخارجى البنى ويكون حوالى ٣٠ مترا من القماش، ثم تتلوها طبقة من الداخل ببقايا القماش الملون كنوع من أنواع الزينة الجمالية التى تتميز به المرأة الرشايدية، أما عن التقسيم الداخلى، فهي تشبه الخيمة البدوية لشمال سيناء فيما عدا

ألوان الخيمة حيث يكون لون الخيمة بنيا، ويكون الباب من ناحية الجنوب .

أما التقسيم الداخلى: فيقوم على العلاقات الاجتماعية التى تعتبر أساس الحياة الاجتماعية التى بها قسم واسع (مجلس الرجال والنساء) ويكون فى المقدمة، أما القسم الخلفى للنساء، فهي تشكل تصميمًا انسيابيا من القمة وفى الوسط تنحدر ناحية الجوانب لعدم تراكم مياه الأمطار، ونجد أن الباب فى الاتجاه الجنوبى وذلك ليعكس اتجاه الرياح فى الصيف، ولكل جزء من أجزاء الخيمة جانب من الناحية الجمالية أو الوظيفية النفعية للخيمة لتعطى لشكلها أهمية خاصة تجعلها تختلف عن شكل المسكن الخاص بقبيلة البشارية والعبادة.

ثانيا: جهاز العروس «أدوات الحياة اليومية»

من العادات المتبعة فى منطقة الدراسة أن يتكفل الزوج وعائلته بنفقات وتجهيزات أدوات الحياة اليومية والمنزلية والتى تدخل ضمن محتويات المسكن من الداخل، فعندما تزف العروس إلى بيتها الجديد يتطلب الإحاطة به من جانبيين الأول يتناول الأثاث وأدوات الحياة اليومية، والثانى يتضمن إعداد ملابس العروسين.

أدوات الحياة اليومية:

(١) حامل فناجين: قطعة خشبية تستخدم لرفع فناجين القهوة «الجبنة» عليها .

(٢) الشرقرق: معيار لوضع الماء يستخدم ضمن عدة الجبنة لعدد محدد من الفناجين ويصنع من الخشب.

(٣) فونتوك: هون مصنوع من الخشب يسمى فونتوك يستعمل لدق البن مع التحويجة (نوع من أنواع العطاراة «الزنجبيل - الفلفل الأسود - الحبهان - القرنفل) .

(٤) سكرية: إناء خشبي تستخدمه النساء لحفظ العطور الخاصة بهن، وهى عطور خشبية مطحونة ومخلوطة بعطور الصندل والمحلبية، ويكون لها رائحة زكية فقد كانت تستخدم قديما من تجويف ثمرة القرع.

(٥) لواهيد: ثلاثة نماذج لقاعدة الجبنة الأولى، أما الثانية نموذج آخر من النحت فى الخشب ليخرج بهذا الشكل ويستخدم لوضع الجبنة والفناجين عليها أما النموذج الثالث عبارة عن طوق مصنوع من القماش على شكل دائرة ومزخرف من الخارج بقطع بلاستيكية متعددة الألوان وهذا الشكل أكثر الأنواع انتشارا إلا أنه يسمى «لواهيد» (٣٩).

(٦) كوبات: صحن خشبي يستخدم لتناول الطعام، وخاصة العصيدة، ويستخدمون كذلك نموذجا لصحن خشبي له حافة وهذه الحافة لإعطاء شكل جمالى للصحن، ويمكن الإمساك بالإناء من هذه الحافة ويستخدمه الصغار، أما الكبار فيمسك براحة اليد.

(٧) توموى: إناء خشبي صغير له يدان ويستخدم هذا الإناء لتحميم البن وبه ملعقة خشبية تستخدم لتحميم البن، فقد تستخدم أحيانا الملاعق الصغيرة (مؤيت) فى تناول الطعام أما الملاعق الكبيرة تسمى (مؤى) وتستخدم أداة خشبية على شكل ملعقة لهن أغصان الأشجار لإسقاط ثمار الطعام وتسمى (مهرق) .

(٨) كوشن: مفراك من الخشب ويستخدم فى طهى العصيدة لفرك الدقيق مع الماء داخل الإناء، ويستمر هذا المزج حتى إتمام النضج بهذا المفراك ويسمى كوشن ويتم زخرفة المقتنيات الخشبية عن طريق إدماج لون من الخشب مع آخر بعد حرقه أو إضافة الصمغ أو التطعيم بالشرائح المعدنية أو الخز و الجلود، فالخشب أقل الخامات استهلاكاً لكنه يحتاج إلى مهارة ودقة فى الصنع لأنه ذو ملمس ناعم..

وهذا الأدوات المنزلية الخشبية والفخارية كان يصنعها البدوى سابقا، أما بعد ظهور رياح التغيير أصبحت تجلب من السودان. فرشاة: تصنع من جلد الماعز للدقيق أثناء صحته.

١- الكانون: موقد يقام من الطوب على هيئة جدارين توضع فوقهما أوانى الطعام ووسط هذين الجدارين يوضع وقود من الأخشاب للإشعال.

٢- دقنيات ثلاثة حجارة يضعون عليها إناء الطبخ ويصنعونها من الفخار كما يصنعون دقنيات أصغر كموقد خاص للجبنة.

٣- المرحاكة: (تسمى تورى) وهى عبارة عن حجر يسمى تيولاب ويسمى شقى الرحى، الأسفل (تورى، والأعلى، يسمى تيولاب وتستخدم لصحن دقيق الذرة، وهو حجر دائرى الشكل من الجرانيت عرضه ٣٠ سم يوضع الحجر الصغير (تورى) من البازلت الأسود لتعيد الطحن مرة أخرى ليصبح ناعم الملمس.

(٩) جبنة: إناء مصنوع من الفخار لعمل القهوة، ويتم تسويتها على فروع الأشجار، ويوجد بالإناء زخارف مزخرفة وغير مزخرفة،

وهناك أنواع رئيسية منها:

١- ودائيت وهى الجبنة المصنوعة من الفخار وعليها بعض الزخارف.

٢- الماهيت وهى الجبنة المصنوعة من الفخار غير مزخرفة.

٣- كاسارونيت وهى الجبنة المصنوعة من الألومنيوم وعليها بعض الزخارف.

(١٠) بيت الجبنة (جبينات تو بالرتانة) لحماية الجبنة الفخار بعد استعمالها وتصنع من الخوص المطعم بالجلد (على شكل شرائح) من جلد الماعز والأغنام عن طريق تطعيم بيت الجبنة من الخوص بالجلد ويتم زخرفتها.

- إبريق الفخار يستخدم للوضوء بعد قضاء الحاجة

- إبريق من الفخار داخل جراب من الحرير وموضوع فى جراب من الجلد لحمايته وتعليقه فى عدة سرج الجمل عند الانتقال.

- إناء للطهى من الفخار (توم أوى) ويستخدم لطهى العصيدة وطهى اللحم ويستخدم للتقليب بالمفراك من داخله.

هذا باستثناء بعض الأواني التى تتدلى بحبال من دعامات البيت لحفظ الطعام، فالموقد الذى يستخدمه النساء خارج بيت البرش عن طريق حفرة فى الأرض أمام البيت ويملاً بالأعشاب وشجر الهجليج وذلك لطهى الطعام، هذا بخلاف الموقد المتنقل الذى تنتقل به المرأة أو الرجل لعمل الجبنة، فهو عبارة عن طبق كبير من الصاج وهو عبارة عن وعاء مجوف يستخدم هذا التجويف لحجب الهواء بغرض إشعال النيران، وبه فروع الأشجار لعمل القهوة (الجبنة) فى أوقات كبيرة

لليوم الواحد، حيث يعتاد بدو العباددة والبشارية شرب الجبنة فى كل وقت صباحا ومساء وبين أوقات الظهيرة ، إلا أن شرب الجبنة يمثل أحد مظاهر الاختلاف بين العباددة والبشارية والرشايدة ، فالرشايدة لا يعتادون على شرب الجبنة بل يشربون الشاى وبعضا من المشروبات الساخنة الصحية (الحلفا بر).

- **نفيت:** جراب يصنع من الجلد يستخدم لحفظ النبال الخاصة بالسهام، وهذه السهام مصنوعة من الغاب المصمت فى طرفها جزء حديدى مدبب الشكل فى نهاية هذا الجزء الحديدى بعض السهام التى تصيد الحيوانات البرية فى الصحراء.

- **خرج:** مصنوع من جلد الأغنام يستخدم فى أشياء كثيرة لحمل الأغراض الشخصية على الجمل ويسمى هرج (ويعتبر من أثاث المسكن) .

- **مشعليب:** إناء مصنوع من نبات القرع العسلى ويستخدم فى حفظ السمن وتخزينه، ويتم تعليق الإناء فى سقف بيت البرش عن طريق خيوط من الجلد عبارة عن أربعة خيوط منتهية بشراشيب من الجلد بغرض الزينة، وهو منتشر بين القبائل الأفريقية بصفة عامة وبين أهالى النوبة القديمة ومنطقة السودان بصفة خاصة، وتتبع أهمية الزخرف على القرع، بأحجامه واستخداماته إما لحفظ السمن أو لحفظ أدوات الزينة من الكحل، والعطور ، حيث يبدع الفنان فى زخرفته على القرع فى أشكال رمزية حيث يحتاج إلى تجهيز فتؤخذ نبات القرع وتغمر فى الماء حتى يفتح داخلها وتجفف فى الشمس ثم تصبح باللون الوردى تدليك القرع بأوراق الشعير، أما اللون الأزرق

يحصل عليه من النيلة ثم تعلق القرعة فى مسكن البرش بعد تعريضها إلى دخان من حرق فروع الشجر السيال، وذلك للحصول على ألوان داكنة لامعة ثم تأتى المرحلة التالية، وهى الزخرفة بالحرق(أ) وهو حرق أجزاء من سطح القرع (ب) النحت حيث يتفرغ جزء لخلق بروز بعد نزع القشرة، ويتم زخرفته بالسكين حيث يوضع الودع والخرز فى أشكال ورسومات فنية .

– **أفوات:** إناء مصنوع من سعف النخيل يستخدم فى حلب الجمال.

– **كفل:** مصنوع من سعف النخيل بدون قاعدة، ويستخدم فى حلب الأغنام ونظافة وتنقية الذرة(٤٠) .

ينتشر شجر الدوم فى منطقة كسلا والقرى المحيطة بها ويعتمد البدو المنتشرون داخل الجبال على الأعمال التى يستخدم فيها السعف، حيث يعتمد البجا عليه فى صنع طعامهم، نظرا لأنه خفيف ولا يمثل عبئا فى الترحال وغير قابل للكسر، ويستخدم عن طريق شرائط السعف التى توضع فى أنية لمدة يومين أو أكثر حتى تلين ويسهل تضفيرها، وغالباً ما يستخدم بلونه الطبيعى وأحياناً يتم صبغه بلون من البيئة.

يستخدم اللون الأسود من منقوع قطع الحديد أو رماد الفحم فى محلول النشادر، واللون الأحمر ناتج من خليط الذرة مع خشب الأرو والملح، وإذا ما أراد البدوى الحصول على اللون الأبيض ذلك السعف بالزيت، وتتولى النساء صناعة المشغولات المختلفة وهى عبارة عن تضفير الألياف وتداخلها بدون استخدام الآلات فهى من

صنع النساء.

– **حقيبة:** شنطة من السعف الملون وتستخدمها المرأة فى وضع أغراضها، وهناك نوع من الشنط فى المتحف (الخاص، محمد نور جامع) من جلد ثعبان كبير والأصلة بعد سلخه من جلده.

– **العنجريب:** سرير ذو أحبال ملونة (مجدولة) مصنوع من أربعة قوائم خشبية بأربعة أرجل خشبية يتم نسج الحبال عليه، حيث يحاط أعواد الجزء الداخلى بخيوط من السعف على شكل صاعد وهابط وتتمدد أفقياً ورأسياً وتعتمد على الغرزة مع تماسكها ليظهر شكل العنجريب الذى يشتهر به أهالى النوبة القديمة، والسودان.

– **همل:** سجادة مصنوعة من القماش والقصاقيص، الملون وتنسج على النول ويستخدم همل «القماش» منسوج على صوف الأغنام المستخدم على النول .

– **مخلاة:** وهو من القماش الملون مزين بشراشيب ويعتبر جزءاً من عدة الجمل المصنوعة من الصوف ويسمى كيشويات ، وتستخدم لزيينة الجمل أثناء ساق الهجن الذى يقام فى احتفالية الزواج، وقد تستخدم كزينة للمسكن الجديد.

– **إمباست:** وسادة من جلد الماعز تزخرف بالضغط أو بالألوان وحشوها بوبر الجمل، أو الأخشاب ذات الرائحة الزكية وتسمى هندكت وتوضع على العنجريب ، كما تعتبر الوسادة والسجادة المصنوعة من القماش والهمل ضمن مفروشات العروس وتجهيزاتها.

مرهمد. مبررد: جزء من أجزاء سرج الجمل وهو مصنوع من جلد الماعز والأغنام ويوضع عند رقبة الجمل لحمايته من الحسد،

وهناك سرج ملون بإضافة قطع من الجلد مصبوغ، بالأصباغ من البيئة الطبيعية، فمسكن العروسين لا يخلو من عدة الجمل وزينته.

أودكو: أجزاء من الهودج تضعه النساء مزينا بالصدف والودع والمجلوب من البحر على شكل مختلف الألوان أو مزينا بريش النعام.

باسور: سرج الجمل يوضع على سنام الجمل للجلوس عليه، وحزام سرج الجمل يستخدم في ربط السرج من أسفل مصنوع من القماش على الطرفين ونهاية الأطراف يربط منهما، وهو عبارة عن جلد مزخرف بالضغط عليه يسمى فارتنيت ويستخدم زينة لمسكن العروسين.

وفي احتفالية الزواج يحرص البدوى على تجميل الجمل وتزيينه بكل ما تجود به البيئة في منطقة الشلاتين من وسائل للزخرفة والهدف منها حماية الجمل من أذى الأرواح الشريرة ويتم الزخرفة باستخدام الخرز والودع والجلود والصوف.

ويعلق العريس «باسور» وهو سرج يوضع على الجمل للجلوس عليه ويستند إلى وسادتين من الجلد المحشو بريش النعام حتى لا يظهر سنام الجمل، ويلف «مهاكوب» حول وسطه وأسفل السرج، وتزين رأس الجمل بزينة تسمى «هسكات» فهي سيور من الجلد متدلية ككجام لقيادة الجمل، وتشغل بالودع تتعلق المقامير من الجلد المشغول بالودع على شكل البوق على جانبي الجمل بجوار الرقبة واثنين بعد الوسط، ويتدلى على الهودج وجسم الجمل قطع تسمى (بإبدال باتوال) وتربط على جسمه وهي شرائط مجدولة، ليتباهى العريس ويفتخر بزينته للجمل أثناء سباق الهجن المقام في احتفالية الزواج.

دوركات: دلو لرفع المياه من الآبار مصنوع من جلد الأغنام له يدان ومن أعلى يربط فيها الحبال ويسمى دوركات.

الحبل: يسمى أنور، تضعه المرأة وتنسجه من صوف الغنم، ويتراوح طوله ما بين ١,٥ م حسب عمق البئر، ويتم ربط هذا الحبل في الدلو، أو القربة، كما يستخدم في تثبيت البروش بالحبال.

مصلية «سيلانيت بالرطانة»: مصلية مصنوعة من سعف النخيل يستخدم لأداء الصلوات الخمس وهو عبارة عن تجمع لشرائح السعف في وضع متواز تمر من خلالها شرائح مرنة في اتجاه عكسي بحيث تمر مرة من أسفل ومرة من أعلى والعكس حتى يأخذ شكل الموصلية (عمل شكل دائرة) وكما تظهر بالصورة في الملحق، كما يتم وصل أجزائه بتمرير حبل من الألياف من خلال الشرائح في أكثر من موضع على أن تكون الغرز متقاربة لضمان تماسكها.

الحصيرة: وهي مصنوعة من البرش ولكن البرش هو الأكثر شيوعا لدى البجاوى، من قبائل البشارية والعبادة في منطقة الشلاتين، ويطلق عليها بيوت البرش، وتصنع المرأة شرائط من جدائل السعف، عرض الواحدة منها عشرة سنتيمترات ويزيد طولها عن المترين، ويتم تجميع الشرائط جنبا إلى جنب في شكل مستدير أو مستطيل أو مربع ويتم خياطتها باستخدام سيور الجلد الرفيعة وتستخدم لتغطية هيكل المسكن الخشبي والنوم أيضا، ولزولة الحياة الزوجية، حيث يعتقد العروسان على ذلك حيث يتم العلاقة الجنسية بين الزوجين على العنجريب اعتقادا منهم بالفال الحسن.

المكنسة: كما يطلقون عليها عبارة عن حزمة من السعف مربوطة

من أعلى بجداول الجلد والقماش الأحمر ويتدلى عليها جداول السعف والودع والخرز.

السنكاب: عبارة عن صوف من الغنم ويضاف إليه مجموعة من شرائط السعف ويسند إليهم عمود من الخشب ويربط من أعلى بخيوط الصوف السوداء وريش النعام والودع والخرز حتى يوم السماية «سبوع الطفل الأول» ويلقون عليه دماء الأضحية «الذبح التى تنحر، ويتم الاحتفال يوم السنكاب للعروسين فى زفة من النساء والأطفال مهللين بالدعاء للعروسين، وتوضع السنكاب على العمود القائم وسط بيت البرش وتنثر عليه الروائح وتحفظ به العروس أثناء مناسبات الأعياد وتنثر عليه الروائح ودم الأضحية، وقد يعلق فى البيت ليحتفظوا به، ويتم توزيع اللبن على الأطفال والنساء فى ليلة الاحتفال بالعرس ، تفاؤلا بلونه الأبيض اعتقادا منهم بضرورة وجوده ليدراً الأرواح الشريرة عن الزوجين ، وهناك أغانٍ خاصة للاحتفال بيوم السنكاب.

سعة «لتبريد البن»: عبارة عن سعة، مجذولة أطرافها، مشغولة بالصوف الأسود والأحمر وتستخدم لتبريد البن بعد تحميصه، والجدير بالذكر أن البجة تأثروا بجيرانهم من النوبيين القدماء المصريين والسودانيين الذين تربطهم علاقات قرابة، حيث يتفألون بالسعف ويعتقدون بأنه يحميهم من الأرواح الشريرة ويجلب لهم الخير.

أما الجلود فهى تدخل فى زخرفة كافة الأدوات التى يستخدمها البجاوى، فيصنع منها مقابض الخناجر والسيوف والعصى لحفظ

الأحجية والتمائم، حيث نجد أن الجلد هو العنصر الأساسى فى كافة مشغولاتهم الفنية وفى أدواتهم المنزلية وحياتهم اليومية.

أ - حزام لحفظ المال: (يسمى كمار) وهو مصنوع من الجلد يستخدم كجيب لحفظ المال ومكان لوضع الخنجر ، ويزخرف بحفر الجلد بأشكال هندسية.

ب - ت كيس: وهى (كيس) مصنوعة من الجلد أيضا ولكنها خاصة بالنساء وتستخدم لحفظ النقود.

ج - القربة: (الجربة وتسمى إسر) وتستخدم لحفظ الماء وتصنع من جلد الماعز، بعد نزع الشعر ودبغ الجلد، كما أنهم يمتازون بمهاراتهم الفائقة فى دباغتها ومعالجتها.

فمادة الجلد يستخدمها قبائل البجا، وخاصة لدى قبائل البشارية والعبادة فى منطقة الشلاتين، حيث إنه مجتمع صحراوى تعيش فيه الحيوانات، ونظرا لتنوع الحيوانات تتنوع أشكال استخداماتها سواء كانت الإبل أو الضأن أو الماعز أو الحيوانات البرية، البحرية، ويحصل أهل المنطقة على الجلود من هذه الحيوانات ، إذ يتولى الرجل عملية الذبح ثم يأخذ جلد الذبيحة وينشره على ربوة عالية ويفرش عليه الملح ويتركه فى الشمس حتى يجف، وتأتى المرحلة الثانية وهى دبغ الجلد باستخدام «الأرد» ويؤخذ من أشجار السنط المنتشرة هناك، ويتم ذلك عن طريق دك الجلد بهذه النوعية من الثمرة الخاصة بأشجار السنط المخلوط بالماء يدويا حتى يصبح الجلد لينا وخاليا من أى أثر للحم والدماء ، ويكون ناعم الملمس كالقماش، وغالبا ما يستخدم بلونه الطبيعى ، ونادرا ما يتم صباغته ، كما يتولى الرجال

استخدامه فى صناعة النعال، والمصنوعات الجلدية وبعض زخارف الأدوات المادية، ويتم استخدام اللون الأحمر كنتاج لخلط بعض الحبوب والملح، ثم إضافة تراب الخشب، أما اللون الأصفر يخلط بمعجون الجوزيل وعصير الليمون، أما اللون الأبيض فيكون من زيت سعف الدوم، أما اللون الأخضر فيكون خليطاً من أسلاك النحاس وبرادة الحديد^(٤١).

ولللجلود استعمالات كثيرة ومتنوعة، وذلك بعد معالجتها ودبغها ليتم الزخرفة عليها عن طريق الحفر فى الجلد حتى يمكن حفر الجلود السمكية ونزع بعض من طبقاتها ومعالمتها بالرسم والحفر عليها، إما بالتخريم على بعض أجزاء الجلد المدبوغ، وإما باستخدام بعض الأقمشة الملونة بعد قصها ليكتمل الشكل المراد رسمه لتكوين مساحة من القماش يتخللها مساحة من الجلد، وأحياناً أخرى يتم زخرفتها بقطعة من صوف الغنم.

وإلى جانب الأدوات المنزلية السابقة هناك مجموعة من الأدوات الخاصة بالجمال وزينته، فالإبل تمثل أحد العناصر الهامة فى المنظومة الصحراوية، حيث إن لها قدرة على التأقلم وتحمل الضغوط البيئية القاسية ولها القدرة على التكيف فى الصحراء، كما أنها ذات أهمية كبيرة لدى قبائل البشارية والعبادة^(٤٢). أما أدوات الحياة اليومية بداخل بيت الشعر لدى الرشايدة، فهي تتكون من الألومنيوم «الصحون - وأدوات الطعام جميعها من الألومنيوم، والدلة لصب الماء أو لصنع الشاي فهي من خام الألومنيوم، وعليها العلم السعودى (السيفين المتجاورين). أما أثاثهم قليل، ويتكون من الحصر والأكلمة على الأرض

نتيجة الطبيعة الصحراوية التى تتسم بالبساطة.

وتؤكد الدراسة الميدانية أن هناك علاقة دينامية بين الثقافة المادية والبيئة، فعندما يستغل الإنسان موارد بيئته ومعطياتها فى صنع ثقافة مادية خاصة بمجتمعه البدوى والتى تتمثل فى أدوات الحياة اليومية وأدوات الدفاع عن نفسه، وأدوات العمل، وهى الرعى باعتبارها المهنة الأساسية فى منطقة الشلاتين، حيث تظهر أدوات الزينة الخاصة بالجمال، وذلك لتحقيق التساند الوظيفى بين عناصر الثقافة التقليدية، واحتفالية الزواج، وصولاً إلى التكيف الإيكولوجى، والتكيف الاجتماعى فى داخل منظومة المجتمع المحلى.

ثالثاً: إعداد ملابس العروسين

يبدأ العروسان بتجهيز ملابس الاحتفال بالعرس، وهى ملابس لا تختلف عن الملابس المعتادة إلا أنها أكثر فخامة وبهجة، وقد كانت هناك أحذية خاصة لهذه المناسبة تصنع من الجلد الأحمر وتشغل بالخرز والودع، وفى يوم الزفاف يرتدى العريس «الحريرة» فى اليد اليمنى، وهى عبارة عن خيوط من الحرير الأحمر يوضع فيها الخرز والودع والذهب لمنع المشاهدة، ويرتدى الرجل الزى التقليدى إلى جانب عمامة بيضاء (العمامة السودانية) ويحمل فى يده السيف والكرجاج، ويضع فوق رأسه شالاً أحمر ويشغل عليه هلال يسمى (أسيب) أو (أدوب)، ولكن هذه العادة فى وضع الشال الأحمر تعد من تقاليد أهل السودان، ويكتفى العريس بوضع الشال على الساعد الأيمن، ويرتدى حول رقبته حلقة ذهبية من حلى النساء لحمايته من المشاهدة، ويرتدى فى يده اليمنى سواراً من الفضة

(كوليل) وسوارا من السعف فى يده اليسرى، ويحمل العريس سيفاً ويلازمه اثنان من أصدقائه أو أقاربه، ويفضل أن يكون أحدهما متزوجاً، ويسمى «وزير» .

وفيما يلى عرض مفصل للأزياء والزينة الخاصة بالعروسين:

١- زى العريس : يتكون زى العريس البشارى من ست قطع هى:

١- العمامة: بيضاء اللون تصنع من قماش التيل أو الكريب الذى يجلب من السودان .

٢- الثوب: يسمى بالرطانة «هلك» أبيض اللون طويل، ويتم شراء ١٠ إلى ١٢ متراً ويقص القماش من المنتصف من ٥ إلى ٦ أمتار ، ويتم إيصال القطعتين عن طريق الخياطة، وهو عند استخدامه فى الأحوال العادية يعمل حرف X من الأمام، ويلقى الطرفين على الظهر حتى يصلا تقريبا إلى الكعين وهو من قماش التيل، ويرتدى هذا الثوب العريس، وكبار رجال القبيلة.

٣- الصديرى: يصنع من أنواع مختلفة من القماش وهو متعدد الألوان أسود - أزرق - بيج - بنى.. إلا أن اللون السائد هو اللون الأسود والأزرق الغامق، ويتم توصيله بنوع قماش معين ولون معين أو يشتري جاهزا من أسواق دراو بأسوان ، وبه جيبان خارجيان على اليمين وعلى اليسار وله ثلاثة جيوب من الداخل، وجيبان خارجيان متماثلان على اليسار من الداخل وثلاثة أصغر على الجنب الأيسر من أعلى الجيب الداخلى .

٤- القميص الخارجى: أبيض اللون ذو أكمام مدورة وأحيانا يكون له ياقة، ويمكن ارتداؤه دون صديرى إذا كان بياقة، ويصل

طول القميص بعد الركبة بـ ٢٠ سم: ٣٠ سم به ثلاثة جيوب، جيبان على جانبي القميص وتسمى سيالة ويوجد جيب صغير أعلى السيالة اليمنى للقميص.

٥- القميص الداخلى: «العرافة» وهو أبيض اللون واسع الفتحة من الأمام من قماش التيل أو من قماش الكريب، وهو نوع من القماش الخفيف وأجود من الخارجى، وفى العموم أقصر فى الطول والأكمام عن القميص الخارجى قليلا، يمكن الجلوس به هو والسروال بداخل البيت إذا كانت درجة الحرارة شديدة نهارا .

٦- السروال: «شردال» باللغة البشارية أو (سردادوب) وهو أبيض اللون من قماش خفيف ويتم ربطه من أعلى بحبل من نفس القماش يثنى فى أعلى السروال بفتحتين يدخل من طريقها الحبل وينتهى بفتحة أخرى ليتسع ويضيق ، ويلتحف بهما البشارى أثناء تواجده فى الصحراء بداية من رأسه ليواجه برودة الصحراء يبلغ مقاسه تقريبا ٣ مترا .

٧- سوار من السعف: ويرتديه العريس فى يده اليسرى درءا للحسد ، كما يتزين العريس بوضعه مجموعة من التمام والأحجية على شكل مربع فى ذراعه من أعلى لمنحه قدرة على الإبداع والعمل وتحمل مصاعب الصحراء ومشقة الطبيعة التى تحتاج لقوة جسدية هائلة كما تمنحه قدرة علاجية لمقاومة أمراض البيئة.

٨- سوار من الفضة: (كوليل) حيث يرتدى فى يده اليمنى كما يلبس العريس أدوب منديل أحمر على رأسه ليظهر العريس من بين أصدقائه ، كما يحمل العريس أسلحته كاملة لتلازمه طوال الاحتفال.

أما زى العريس البشارى فيتكون من سروال واسع وطويل إلى القدمين، يربط حول الوسط بتكة يتم نسجها من القطن المغزول أو الصوف، وقميص فضفاض، يصل طوله إلى ما بعد الركبتين، له أكمام واسعة طويلة وفتحة عنق مستديرة واسعة، والمادة التي يصنع منها رجال البشارية ملابسهم أساسا هو «الدمور» السكرى اللون أو الدبلان الأبيض^(٤٣).

ويرتدى الرجال فوق هذه الثياب مباشرة ما يسمى «بالشقة» وهى عبارة عن قطعة من القماش الدمورالسكرى اللون، يصل طولها إلى أربعة أو خمسة أمتار، يلفونها حول أجسامهم. وفى بعض الأحيان يضيف العريس «صديرى» من الصوف أو الجوخ الزاهى اللون، الأزرق أو الأسود، وهذا الصديرى لا يقفل من الأمام.

أما زى العريس العبادى الذى يسكن الجزء الشمالى من الصحراء الشرقية، فيتكون من سروال طويل من الدبلان يصل إلى القدمين، ويتميز السروال بأنه واسع ومضموم عند منطقة الخصر بتكة من الصوف، ويرتدى قميصا من قماش الدبلان، يصل طوله إلى ما بعد الركبتين، وهو فضفاض وله أكمام متوسطة الاتساع وفتحة عنق مستديرة واسعة. ويلبس على القميص «صديرى» أسود اللون أو أزرق من الصوف أو الجوخ، مفتوحاً من الأمام وبدون أزرار، فهناك نوع من التأثير المتبادل بين ما هو محلى ومورث وما هو خارجى ودخيل، وفى فصل الشتاء، أو فى المناسبات الاجتماعية، يرتدى الرجال جلبابا على القميص والسروال.

وغطاء الرأس عند العريس العبادى هو العمامة المصنوعة من نسيج قطنى أبيض خفيف، ويتكون حذاء العريس من جلد سميك بنى اللون، بسيط الشكل يغطى القدمين من الأمام والخلف معا^(٤٤). أما الزى الخاص بالعريس فى قبيلة الرشايدة فهو يختلف عن العبادى والبشارى فى ارتدائه للشنال الكاروهات الأحمر، وارتدائه للسروال الأبيض وثيابه فيه مع السروال الأبيض (الجلباب الأبيض) للرجل العبادى والبشارى، أما الصديرى للرجل البشارى والعبادى، فلوته أزرق سادة أما الصديرى للرجل الرشايدى لونه كاروهات ينسجم فيه اللون الأحمر والأزرق، كما نجد رجال البشارية والعبادة يرتدون النعال المصنوعة من الجلد المصبوغ والذى يسمى (كى دأت) وتترزين نعال العروس (أو النساء) بالودع والخرز أما النساء فتسمى نعالهم (شباط) عند البشارية والعبادة.

وأكثر رجال المنطقة عراة الرأس، ومما يميزهم هو شعر رأسهم حيث يتركونه على حالة دون قص أو تهذيب، حتى يكون فى النهاية ما يشبه الطاقية ويسمونه «كشة» ويدهنونه بالشحم وزيت الخروع، ويمشطون شعرهم بنوع من الأمشاط تسمى (خلال) لها أسنان طويلة قليلة العدد يصنعونها يدويا من الخشب وأحيانا من العظم، ويخرفون أجزاء منها عن طريق تسليط النار عليها فينتج عن ذلك وحدات زخرفية هندسية داكنة، والمعتاد أنهم إذا فرغوا من التمشيط يغرزون هذا المشط فى «الكشة».

أما إطالة شعر (العريس) فهى نوع من أنواع التكيف مع البيئة الصحراوية الحارة، لحماية الرأس من الشمس الحارقة التى تتسم

بها البيئة فى منطقة الشلاتين كما يكون وضع الخلال كنوع من الزينة وعند استخدامه يزيل الأتربة التى تلتصق بشعر الرجل. أما الشاب فيظهر شعره على شكل جدائل خلف أذنه، وذلك للتفريق بين الشاب والشيخ كبير السن، حيث يمشط كبار السن السوالف على شكل أكبر من أعلى الرأس، إن طريقة تمشيط الشعر تمثل جانبا رمزيا للطبقة العمرية التى ينتمى إليها الرجل، وعند بلوغ الفتى سن النضج (الرجولة) يلبس العمامة فهى أمر اختياري فيعتاد ارتداؤها تشبهاً برجال القبيلة الأقوياء ، كما نجد أن العمامة يرتديها الرجل منعاً من حرارة الشمس المباشرة على رأسه.

وهناك أزياء مكملة لزي العريس البشارى والعبادى وهى:

١- **الشببط:** ويسمى بالרטانة «كى دأت» ky daat وهو حذاء من نمط قديم يتكون من الحبال ويصنع من جلد الجمال، وبه ثقب من الأمام، وثقبان من الخلف يتم إدخال جلد الماعز من الثقب الأمامى، ويوجد به مكان للإصبع ينتهى بخرز عريض نوعاً ما على وجه الحذاء، ويخرج من جلد الثقبين الخلفيين .

٢- **السيف:** وهو معدنى طويل له يد من الخشب والحديد مكسوة بالجلد أو بالصوف، ومحلاة بخيوط من الفضة، والسيف له جراب من الجلد يسمى سير لحمل السيف، ويوضع عليه عدد من الأحجية الجلدية على الجراب وبعض من الأشكال الزخرفية أعلى الجراب من الخارج ويستخدم فى الرقص أثناء احتفالية الزواج وهو رمز لرجولة العريس وشجاعته .

٣- **الخنجر(الشوتال):** السكين: وهو جزء معدنى بالنسبة للخنجر

يتميز عن السكين بأنه له جزء مثنى من الأمام أما الثانى فهو مستقيم نسبياً، وتصنع اليد من الخشب أو العاج، ويصل طول النصل للخنجر حوالى ١٩ سم/ أما السكين حوالى ٣٢سم ويوضع الاثنان فى جراب من الجلد ، ويستخدم الخنجر والسكين فى ذبح الذبائح ، فهو يستخدم كآلة حادة لا يستطيع الرجل البشارى الاستغناء عنه، وخاصة فى الصحراء حيث قد تهاجمه الحيوانات المفترسة، ويستطيع أن يستعمله فى تقطيع لحم الغنم لعمل السلات التى تعد الوجبة المفضلة لديهم، فالسيف والخنجر يعتبران أزياء مكملة لثوب العريس.

٤- **العصا:** تعتبر من أسلحة العريس وبالتالي فهى ضمن زينته، فيحمل العريس عصا كبيرة يصنعها بنفسه تسمى أكوالى، وهى ذات انحناء رفيع من أسفل، وتستخدم العصا ليتكى عليها أثناء الرقص ، وقد تستعمل فى الدفاع عن النفس، أما عصا «كوليت» فتصنع من فروع شجر السيال أو السنط ، وهى منقوشة برسومات لها مغزى سحرى ولها طرف معكوس والطرف الآخر يغلف بجلد التمساح أو الثعبان، وتسمى «الحدائة» فهى نوع من العصى يحملها الشيخ والد العريس ، ووالد العروس والرجال كبار السن والأشراف المدعوون فى احتفالية الزواج، وتعتبر العصا بالنسبة إلى الشيخ دلالة على المكانة الاجتماعية وتظهر مكانته كشيخ للعائلة، ويستعملها لبعض الحالات حيث يخطط بها على الأرض خطوطاً معينة أثناء عقد اتفاقات الزواج فى جلسة فتح الخشم وعقد القران، أما الكرباج فهو مصنوع من جلد الفيل ويستخدم للرعاة فى الرقصات الشعبية

الموجودة باحتفالية الزواج.

م- الدرع: هو قطعة كبيرة دائرية الشكل تتكون من الجلد مع بروز فى وسطه لقبضة اليد التى تلبس بالحديد، والدروع ثلاثة أنواع: كريباي وهو سميك وأثقل وكان يصنع من جلد الفيل، والثانى داشكاب ويصنع من جلد التمساح، والثالث تايستنباي ويصنع من جلد فرس البحر، وهو أكبر من سابقه، وفى مركزه يد من جدائل الجلد، ومنقوش على الدائرة رسوم هندسية لها مغزى سحرى، ويستخدم الدرع فى الدفاع عن النفس، وهو جزء من سلاح الرجل البجاوى وفى أوقات السلم يعتبر أداة مهمة للرقص فى احتفالية الزواج. والبجاة يجلبون تلك الأنوع من الجلود من السودان، حيث إنها تتميز بسمكها وصلابتها التى تقاوم ضرب السيف، ومن الظواهر الدالة على أسلحة العريس ، أن العريس فى منطقة الشلاتين لابد وأن يحمل السيف، والسكين والعصا والدرقة بل ويعييون على من لا يحمل سلاحا فى احتفالية العرس.

أما المرأة فترتدى الزى السودانى والحلى الذهبية، وتصفف شعرها بالطريقة التقليدية، وكل من الرجل والمرأة يتعطر بوضع الودك على الرأس والجلد «(٤٥)» .

ب- زى العروس لدى قبيلتي العبادية والبشارية:

وصفت سامية قطبى زى النساء البشارية بالبساطة وبأنه عبارة عن ثوب - تخطيطه المرأة بنفسها - يميل إلى التكسيم فى منطقة الصدر والخصر، وقد تزين ثيابها بالفراء الذى يستخلصونه من المواشى، وترتدى المرأة على رأسها شالاً من الحرير الملون، وقد

تلبس النساء «الشقة» أيضاً^(٤٦). إلا أن الوصف السابق لزي النساء يكاد يخالف الحقيقة؛ حيث تؤكد الشواهد الميدانية للزي النسائى أن الثوب يشمل غطاء الرأس للجسد، فهو ثوب طويل تقوم المرأة بلفه عدة لفات حول جسدها، وقد يرتدى تحت الثوب جلباباً نصف كم ملون أو سادة ويرتدى أحياناً الزى على الملابس الداخلية مباشرة، فقد ترتدى المرأة هذا الزى ويسمى الثوب ويشبه الثوب السودانى فى طياته ولفاته، وهو مصنوع من قماش خفيف دون فراء ويتميز بألوانه الزاهية^(٤٧). ولذلك نجد نساء البشارية يرتدين الثوب المصنوع من الحرير كما أنه يتميز بالألوان الذهبية التى تميل إليها نساء قبائل البشارية والعبادية مثل: اللون الأحمر - الأصفر - البرتقالى

- الليمونى، كما ترتدى تحت الثوب (الخلجة) وهو جلباب من البوليستر الخفيف أو الدمور ، ويكون أحياناً بأكمام أو بنصف كم، ثم ترتدى الثوب الذى يلف على الجسم ثم على الرأس إلا أنه تكون فى نهايته عند الكتف الأيسر حيث تلفه المرأة عدة لفات حول جسدها وتثبت عند نهايته أعلى الكتف (الحلالة) وهى قطعة على شكل مشبك من الفضة تأخذ صورة مثلث (هلال).

ولا يختلف زى نساء العبادية عن زى الفلاحات الشائع فى منطقة الصعيد، وهو عبارة عن ثوب بسيط من لون زاه يضيق عند الخصر ويصل طوله إلى منتصف الساق، ومنديل للرأس وطرحة، وقد تستعمل السيدات عند الخروج ثوباً أسود أو يلتفن برداء طويل «ملون» يسمى «الشقة» تشبهاً بالثوب السودانى المعروف^(٤٨) . وهذا الزى يماثل زى أغلب النوبيين ، الكنوز و(زى نساء العبادية)

وأيضا يمثل زى السودانيات، إلا أننا نجد أنه نظرا للاتصال الثقافى بين النوبيين، فقد تغيرت كثير من ملابسهم وأسلوب حياتهم ، أما منطقة الشلاتين فمازالت محتفظة بالزى التقليدى للمرأة الشلاتينية نظرا لعزلتها داخل الصحراء وبعدها عن التيارات الحضارية.

وهناك تشابه كبير فى الزى بين نساء العباددة والبشارية ، إلا أنه يبدو نتيجة تدنى المستوى الاقتصادى لدى العباددة ، فإن نساءهم يرتدين تحت الثوب خلجة من القطن أو القماش «الدمور» أما قبيلة البشارية فأكثر غنى منهم فنجدهم فى ارتدائهم تظهر عليهم تعدد الألوان وكثرة ارتداء الحلى الذهبية، ونجد أن الأزياء أو الملابس التى ترتديها المرأة فى منطقة الشلاتين (الثوب) تجلبها من السوق، إلا أنه يتم شراؤه من السوق حيث يجلبه التجار من السودان، ويقدر بحوالى ١٠٠ جنيه سودانى، ومازالت لديها عادة خلع الثوب عند النوم فقط. أما الفتاة قبل الزواج فنجدها ترتدى البلوزة والجيبية (ويسمىها هناك إسكرتا) وترتدى إما طرحة كبيرة أو ترتدى الثوب، أما الفتيات الصغيرات فيرتدين البلوزة والجيبية (إسكرتا) وإيشارب أو إيشارباً صغيراً، وحينما تتزوج الفتاة فإنها ترتدى الخلجة أو الثوب، أما السيدة الكبيرة فترتدى نفس الزى إلا أن الثوب تكون ألوانه غير زاهية، أما بداخل البيت (بيت البرش) ترتدى السيدة الجلباب والإيشارب الطويل وليس لديها ملابس داخلية أخرى، أما العروس فترتدى بداخل بيتها الملابس الحريرية التى يجلبها العريس من السودان.

ويمكن أن ترتدى المرأة حذاء (الشبب) بلاستيكاً ذا ألوان زاهية

يشترى من السوق. وفى أكثر الأوقات لا ترتدى النساء أى شيء فى أقدامهن رغم شدة الحرارة، ورغم طبيعة المنطقة الصحراوية، إلا أنهن يكثرن الخروج فى الصباح الباكر حتى الغروب لشراء احتياجاتهن أو تبادل الزيارة بين الأقارب فى مساكن البرش القريبة منهم، فلا يتم ارتداء أية نعال ، أما الشبب فيتم ارتداؤه شتاءً، والأحذية إذا كانت جلدية أو بلاستيكية فهى مفتوحة من الأمام منعا لدخول الحشرات الزاحفة مثل العقرب فى الحذاء كما نجدها مفتوحة منعا لعرق الأقدام ولراحة القدم وسهولة المشى فى الصحراء لمسافات بعيدة (٤٩).

وقد ندرك أن البيئة وعناصرها من درجة الحرارة العالية تفرض على الزوجة أن تحمى طفلها من حرارة الشمس أثناء الرعى أو أثناء الخروج من البيت بوضعه فى الثوب الذى ترتديه، وذلك لوجود جيب داخلى يوضع فيه المولود على ظهرها أو من الجانب الأيمن أو الأيسر للتوب، والمهم فى ذلك أن يكون بعيدا عن حرارة الشمس الحارقة حتى لا يصاب بضربة شمس، حيث إن هناك أعدادا كبيرة من أهالى المنطقة يموتون من ضربات الشمس الحارقة.

وحتى تستطيع المرأة التكيف مع الظروف القاسية لصحراء الشلاتين نجدها أثناء القيلولة - وقبل أن تخلد للنوم - تقوم ببل ثوب بالماء (الموية) ثم تتخذ غطاء لها، أما زى العروس عند العباددة والبشارية فيسمى زى الفرطة وهى ليلة العرس وفى تلك الليلة تلبس العروس الثوب وترتدى كامل حليها، ويكون الثوب فى أزهى الألوان.

ج- نى العروس فى قبيلة الرشايذة:

أما أزياء (العروس) فى قبيلة الرشايذة ترتدى المرأة فى قبيلة الرشايذة ثوبا مصنوعا من قماش (الجرسيه) ويتم حياكته وشغله بالخرز على أشكال تناسب حركة التغير الموجودة فى المجتمع المحلى المعاصر ، حيث يظهر الثوب وعليه شكل السيارة التويوتا التى تظهر فى مجتمع الشلاتين (نصف نقل) وقد تظهر على الثوب رسومات من أشكال الخرز، ويتم وضع رقم السنة التى يخاط فيها الثوب على شكل من الرسومات التى تزخره فى الثوب على أشكال مثلثات التى ترمز للرجل، والهلال الذى يرمز للمرأة، مما يدل على الاتجاه العكسى بين المثليين ليدل على أنها فتاة أو رجل، مثال لذلك الثوب يسمى (ثوب ٢٠٠٠) أو (٩٨) وتقوم كل فتاة بتشكيل ثيابها وتزينها منذ طفولتها استعدادا للاحتفال بالعرس، وتحضير ثوب العرس من المستلزمات الأساسية فى قبيلة الرشايذة، ويقوم النساء باختيار الألوان الزاهية ثم حياكتها فى السوق لدى محال للحياكة خاصة بهم.

«الثام أو البرقع» تلثم به المرأة من الأنف ويسمى (رصاص) أما «القناع» عبارة عن شال طويل يوضع فى منتصف الرأس ويترك باقى الشعر من الأمام بصورته الأولى بدون تصفيف ، فالمرأة تتزين بالخرز، أما المرأة البشارية والعبادية فتتزين بالودع وتستطيع أن تدخل (الودع) كعنصر من عناصر الزخرفة وكشكل إبداعى تتزين به فى الأزياء، وفى زينة الجمل وفى جميع مشغولاتها اليدوية (٥٠) وتشبه نساء الرشايذة الطوارق التى تسكن الصحراء الكبرى فهم ينفردون بارتداء اللثام دون جميع الشعوب، ويستعمله الرجال دون

النساء فهو شىء مقدس لديهم حيث يغطى الجزء العلوى للرأس ، والنصف السفلى للوجه لحماية الأنف والفم وكذلك أعضاء التنفس من رمال الصحراء وهو مظهر هام فى الشعائر والطقوس ، ولا يشعر أحدهم باحترام ذاته ولا يسمح لنفسه أن يراه أقرب أصدقائه مكشوف الوجه.

رابعاً: زينة العروس فى قبيلتي العباددة والبشارية:

أ - زينة شعر العروس: تعنى العروس بشعرها عناية خاصة فى منطقة الدراسة وفيها غسله ودهنه بالزيوت والدهون المعطرة، كما تتزين المرأة فى منطقة الشلاتين بالخرز من خلال تصفيف شعرها على شكل ضفيرة ويسمى «السكسك» والذى يتكون من مجموعة من الخرز متعدد الألوان، وتستخدم عقودا طويلة من الخرز تتدلى على شكل ضفائر ملونة وتسمى السكسك لإظهار الجانب الجمالى ، كما تتزين المرأة وخاصة العروس بالودك أو الدلوك وهو عبارة عن دهان ضأن ، قرنفل، صندل، محلبية، الضفر، حلبة مطحونة، أما عن طريقة صنعها فيغلى شحم الضأن ثم يضاف إليه القرنفل، الصندل، المحلبية، الضفر، الحلبة مطحونة، والضفر هو نوع من أنواع الصدف فى البحر، وله رائحة زكية ويوضع بعد تصفيف الشعر ويتم وضع الودك وتصفيفه كل مرة يتم فيها الاستحمام، فإنه يزيد من صلابة الجداول التى تستمر على شكلها دون أن تحتاج إلى تمشيط لفترة طويلة، وللحماية من الحشرات ، ويقلل من العرق كما يقوى حدة الإبصار لديهم ويقيهم من ضربة الشمس ويزيد مرونته، وقد جاء استخدامهن للودك نتيجة لظروف المنطقة وقلة الماء، ولكن حتى

بعد توفر الماء مازالت النساء تتزين بالودك (حيث يتماشى مع المجتمع الصحراوي) فإنه مكروه للمرأة أن تترك شعرها بدون تصفيف. ويتضح ذلك فى مراسم الزواج حيث يتم تمشيط شعر العروسة ودهنه بالودك، ووضع قصة من الشعر على الجبهة وتسمى (سوليت) وهى من الجداول الرفيعة على شكل مجموعة من الصفائر ومربوط بها حلقة من الذهب وتربط جداول الشعر وتسمى (سوليت) خلف الأذن بحيث تتدلى الحلقة من الذهب فى ضفيرة الرأس على الجبهة وذلك بعد تقسيم الشعر إلى نصفين الأكثر من أعلى يقسم إلى صفائر كبيرة وتربط بها المرواج، أما النصف الأقل أسفل الشعر فيمشط إلى صفائر صغيرة وهى ليست بهدف الزينة وحسب، بل هى ترمز للفتاة المتزوجة، وللتفرقة بين الفتاة والسيدة المتزوجة وتسمى (مرواج).

أما السيدة الأرملة أو السيدة العجوز فلا تهتم بوضع المرواج، إنما تعمل القصة التى على الجبين، ولا تهتم بوضع الودك أو الخرز للزينة وإنما تتزين النساء الكبيرات بالحنة على الرغم من كبر سنهن^(٥١).

وبعد التغيرات المصاحبة لانتشار التعليم ووسائل الاتصال الحديث التى عرفها مجتمع الدراسة أصبحت العروس تهتم بتصفيف شعرها وتزين الوجه، إلا أن المجتمع لا يعرف متخصصين لتصفيف الشعر، لذلك استعانت العروس بإحدى صديقاتها لتصفيف الشعر إلى صفائر كثيرة، وتزين الوجه بأدوات تجميل حديثة، والتى أصبحت تتداول الآن بين النساء المتزوجات وأهالى المنطقة.

ب الحناء: تعتبر الحنة من الصبغات الطبيعية التى يتفاعل باستخدامها أهالى منطقة الشلاتين، ويعتبرونها جزءاً مهماً من حياتهم حيث تستخدمها النساء بصورة دائمة، وتقوم العروس باختيار إحدى السيدات التى تشتهر برسوماتها البديعة لتقوم بتحنية القدمين والأيدى، كما تحنى عدداً من قريبات العروس من السيدات المتزوجات، أما الفتيات فيقمن بتحنية الأيدى فقط وتستخدم نساء العابدة والبشارية الحنة بصورة ضرورية ومهمة فى ممارسة احتفالية الزواج، حيث تحقق جانبا وظيفيا مهماً يشكل جزءاً من إشهار الزواج فى مجتمع الدراسة، وبذلك تقوم بدور فعال فى منظومة احتفالية الزواج، فالحنة تعتبر وسيلة لتزيين المرأة المتزوجة، والفتاة فى منطقة الشلاتين، حيث تقوم النساء بأداء الحنة فى كثير من الأوقات وفى الأعياد.

أما عن طريقة صنعها، فهى تعجن بالماء والمطبعة، وتترك على اليد بوضع ورقة لمدة ساعتين، إلا أن عملية الحنة ذاتها تحمل فى طياتها رموزاً لها أهميتها، ودلالاتها المعنوية فيعبر السيف عن قوة المرأة، والطيور تدل على أنها ذات مكانة عالية، والقمر إله القمر الذى يرتبط بخصوبة المرأة، كما أن القمر والهِلال أحد عناصر الطبيعة الذى يظهر ساطعاً فى سماء البادية، ويرمز الهِلال للعقيدة الإسلامية، والشمس المشرقة هى عنصر من عناصر البيئة الأساسية، كما نجد أن النساء يضعن الحنة على شعورهن أو أرجلهن أو أيديهن فى فصل الصيف كعلاج لتخفيف وطأة درجة الحرارة العالية صيفاً، ويعتبر شكل الحنة معروف منذ قديم الأزل

لتزيين المرأة كأداة تقليدية للتجميل والعلاج، ولم يقتصر استعمال المرأة للحنة فى التجميل والزينة، وإنما استخدمتها كعلاج للمشاهرة حيث تأخذ أم العروس ما تبقى من حنة العروسين وتعجن بالماء ثم تنثر فى مسكن الزوجين بعد تبخيره.

إن عادة استعمال الحناء كوسيلة للتجميل تنتشر بين النساء البربر فى شمال غرب أفريقيا وانتقلت لقبائل البجا حيث ترسم رسوم جميلة على اليدين، وهذه الرسوم تشكل حسب مغزى وهدف اجتماعى، وتعبّر عن الأصول القبلية لقبائل البشارية والعبادة، فالمرأة الأفريقية بغريزتها الأصلية تزدهو دائما بأشكال الزينة والحلى وتحدث صورتها فى شكلها المزين بالحلى والوشم والحناء، حيث تعبّر عن جمالها فى شعرها وزينتها كتعبير عن مكانتها لذاتها ومكانتها عند زوجها، فتظهر وتدلّى على الوجهة خصلة أمامية أشبه بـ «القصة» وقد تجمع خصلات معاً تحت عصاية ملونة من القماش، ثم توضع بجانبى الجبهة ضفيريّتان صغيرتان، أو ضفيرة على أحد الجوانب وبها المرواج، وهو على شكل دبلة من الذهب لها وظيفتها الجمالية والوظيفية لتعلن أنها امرأة متزوجة، ثم يلف الرأس من نفس قماش التوب، ويظهر هذا الشكل بين نساء السودان ونيجيريا وخليج غانا والزولو فى شرق أفريقيا^(٥٢)، وهذا الشكل للتزيين يتمثل مع نساء منطقة الشلاتين نتيجة وجود احتكاك ثقافى بين مناطق الجوار.

ج- الشلّوخ: وهو عبارة عن ثلاثة خطوط أفقية على الخدود، وذلك باستخدام إبرة أو موس يوضع عليه تراب الفحم حتى يعطى اللون

الأخضر، والهدف من الشلّوخ زينة للمرأة حيث يظهر الفصل بين الزوجة والفتاة، حيث لا توشم شفاه ولا يتم دق أو وشم الشفة السفلى للفتاة، فهى عادة تنسب لقبائل الجهينة والبقارة، أما العبادة والبشارية فلا يدقون شفاههم، تتم هذه العملية حتى تجف الدماء لتظهر الشلّوخ أو الوشم بصورة واضحة حيث تعتز المرأة العجوز بكلمة «أم شليخه» ويعتبر الشلّوخ مظهراً مهماً لتزيين العروس. أما استعمال الكحل فينتشر بصورة دائمة بين الفتيات والسيدات المتزوجات، والنساء الكبار يعتبرنّها من أدوات الزينة اليومية وتعتبر مصدراً لجمال العروس وزينتها، وتستخدم الشلّوخ من صحن الفحم الأسود، حيث تستخدمه النساء فى مناسبات عديدة منها: الأفراح والختان والمناسبات الاجتماعية ومجالس الونسه.

هناك تشابه فى الشلّوخ حيث الخطوط الأفقية عند قبائل السودان الشمالى أما الخطوط الرأسية فعند النوبيين، وقد يكون عبارة عن خطوط مائلة تتجه كلها إلى نقطة مركزية فى وسط الصدغ حيث نجد أن ما يمثل قبيلة العبادة والبشارية للشلّوخ خطوطهم العمودية، فقطوع الشلّوخ تبدأ من الصغر، أما الآن فإن الشلّوخ لا تظهر سوى لدى السيدات كبار السن فى منطقة الشلاتين، أما عند فتيات منطقة الشلاتين فيعتبرنّها زينة للمرأة وجمالها وأصبحت تستخدم عند الزواج^(٥٣).

إن معظم الشعوب الأفريقية عرفت استخدام الآلات الحادة لشق وحفر أخاديد فى الوجه والجسم، كما عرفت الوشم قبائل وسط أفريقيا لإحداث قطوع فى الوجه والجسم وتزين بها نساء الأزاندى،

وفى كثير من المناطق التى تطل على النيل الأعظم وروافده يعمل الوشم الأزرق على الشفة السفلى للمرأة، وتمتد هذه العادة إلى الجنوب حتى أرض الشيلوك حيث يرسم الوشم على الخدين والذقن فى بساطة لها سحرها وفتنتها^(٥٤). فالشلوخ عادة كانت تنتشر فى السودان قبل دخول العرب السودان ، فقد أخذها منهم العرب الذين امتزجوا مع السكان الأصليين حيث تربطهم صلة قرابة ومصاهرة وخشى العرب أن يذوب كيانهم وتضيع خصائصهم فى خضم هذه المجموعات ، فاستعاروا تلك العادة منهم واتخذوها سمة لهم تميزهم عن حولهم، وترسخ كيانهم وقيمهم الثقافية شكلا وموضوعا، مما شجعهم على المضى قدما فى تنفيذ هذه الفكرة بوجود علامات تميزهم لتعرف كل قبيلة على أفرادها فى ساعات الحرب.. ومنذ ذلك الوقت أصبحت لكل قبيلة شلوخ خاصة بها فاكسبت الشلوخ مفهوما قبليا يميز مجموعة عن أخرى بالإضافة إلى دلالتها على عروبة المرء، وبمرور الزمن اكتسبت مفاهيم جديدة، فصارت النساء تستخدمها بقصد الزينة والجمال^(٥٥).

د - زينة جسم (العروس)

أما زينة الجسم فتشمل الحلى والأصباغ والتعطر لتزيين الجسم لتناسب البيئة الصحراوية القاسية فى منطقة الشلاتين، وتبدأ العروس للاستعداد لاحتفالية الزواج قبل الزفاف بفترة طويلة، وقد تتباين هذه الفترة من عروس إلى أخرى، فهناك من تبدأ تجهيزاتها قبل احتفالية العرس بشهر، حيث تستعد العروس للزواج، وتبدأ بتزيين الجسم يوميا حتى يوم الاحتفال بالزواج.

فتجود البيئة بنوع من الأشجار يسمى شجر الطلح بداخل فروعها مادة تستخدمها العروس كدهان للجسم بعد الاستحمام، وكنوع من التزيين ، تجلس المرأة على كرسى من الخشب قاعدته مفرغة من أسفل وتشعل أسفل القاعدة نار من فروع الأشجار ويغضى جسم العروس ويلف بأغطية من الصوف لتتصيب عرقا وتزال الأملاح الزائدة من الجسم، وتكون هذه العملية بداخل مسكن البرش فى أرض رملية وكأنها تندمج وتختلط مع الدهان الخاص الذى يتكون من المحلبية والصندل والشفرة والخمرة وبعض من العطور وتسمى دخانة، وتستخدم لتزيين الجسم ليمنحه لونا أصفر ذهبيا، أما لنظافته وإزالة الأتربة، فتقوم قريبات العروس بتدليك جسدها بخلطة تتكون من دقيق الذرة وزيت السمسم والكركار والودك (الشحم الأبيض) وذلك ليشدد جلد العروس ويصبح أكثر قوة ليتحمل الظروف المناخية الصعبة وليحمى العروس من نزلات البرد، كما أنها تفيد خصوبة العروس وتسمى دلكة، أما إذا تم توطين أهل العروس فى بيوت التوطن، فتقوم العروس بإزالة طوبة من الأسمنت لتتشعل النيران لصنع الدخان والدلكة.

كما تتزين المرأة فى قبيلتى البشارية والعبادة بالفضة فيصنع حلى من الفضة على شكل عقد (السوميت) وهو حجر كريم من الفضة يعتقد أنه يعالج الكثير من الآلام، كما ترتديه الزوجة خوفا من المشاهدة على شكل حزام من الجلد مزين بالسوميت على خصرها ويتدلى منه حجاب على شكل مربع لتظهر تقاسيم جسدها فى ليلة زفافها، وتكون حريصة على ارتداء هذا الحزام فى بداية المراهقة

كاستعداد للزواج، كما أنه يستخدم من أجل أن يقطع العريس الرهط لعروسه وبذلك تكون العروس قد انتقلت من مرحلة إلى مرحلة أخرى جديدة.

الحلى: الحلى التى تتزين بها نساء قبائل العباددة والبشارية فى منطقة الشلاتين حلى ذات قيمة جمالية ومعنى رمزى، والمكان أو البيئة ذات تأثير واضح فى ظهور الحلى وارتداد التمايم والدوع والخرز أو الأحجار ذات الألوان القائمة (الأزرق) التى تمنع الحسد والأذى من الشرور وتجلب الخير حسب المعتقد ، أما اللون الأحمر فى الأحجار الكريمة التى يتحلى بها فى المشغولات الذهبية ترمز للخوف من المشاهرة أو الخوف من الجان وكعلاج للمشاهرة، والحلى - كما تحدثنا - لها وظيفة اجتماعية رمزية بجانب كونها للزينة فإن العريس فى منطقة الشلاتين يقوم بتقديم الغوايش وتسمى بالرطانة «المسكات» لتزيين الرقبة الحبشية وهى نوع من أنواع الحلى الخاص بالرقبة، وشف لتزيين الصدر، وهو على شكل دوائر وسلسلة تربط بين الدوائر الذهبية، ويتضح هذا فى الصورة المبينة لشكل الحلى.

أ- حلى الرأس والعنق والصدر: وتتمثل فى زينة الشعر وبما تحويه من تزيين الرأس بالحلى وأهم الحلى وبداياته (المرواج) لدى نساء قبائل البشارية والعباددة فى منطقة الشلاتين، وهى كما أوضحناها من قبل عبارة عن حلقة من الذهب تتوسط القصة بعد تصفيف الشعر على شكل ضفيرة على الجبهة وهى دليل على المرأة المتزوجة، ونجد أنها تقابلها حصة الرحمن من الذهب عند الفاتدجا

فى النوبة أو الزمام والودعة عند العرب^(٥٦)، غير أن قصة الرحمن تشبه شكل المرأة فى الشلاتين وتعلق على الجبهة لتمييز المرأة المتزوجة عن غيرها، ومن هنا يتضح أن الاتصال بين كل من أهالى المنطقة والنوبة والسودان جعل من المنطقة ذات تميز ثقافى تجمع بين الثقافة النوبية فى نظرتها القيمة الرمزية للحلى الذى يوضع على الجبهة، وبين امرأة الشلاتين كرمز لمكانتها الاجتماعية إلا أن الاختلاف فى شكل الحلى يتوازى مع الثقافة السودانية فى شكل المرواج والحبشية. فالحلى الذى يوضع على الرقبة ترتديه المرأة أثناء زواجها وقبولها للهدايا، ويمكن إمهال العريس بعض الوقت قبل الزواج حيث يستطيع الذهاب إلى السودان وشراء جميع الحلى.

ب- (الشبال) من الحلى التى توضع كزينة العروس فى الرأس وتستخدم كزينة فى حياتها اليومية، وهى عبارة عن ست قطع من الجنيهاات الذهبية على شكل حلقات مخططة بحبل أسود من الصوف لتظهر فى أعلى منتصف الرأس، وقد تظهر تحت غطاء الرأس، ونجد أن الحلى تتسم بنقوش كثيرة أهمها الرسومات المثلثية الشكل حيث نجد أن المثلث والهلل من أهم الرموز والأشكال التى استخدمت فى تصميم وزخرفة الحلى، وهذا الشكل استعارة من الثقافة النوبية، وترجم الإنسان شكل الجبال على شكل الشلاتين وهذه الجبال والهضاب والتلال تتسم بها البيئة فى المنطقة .

وتعد الأحجبة فى منطقة الشلاتين على شكل مربع يرمز للفصول الأربعة والاتجاهات الأصلية الذى يدرك البدوى قيمتها فى البداية، فإن الحلى كنمط ثقافى يؤكد العلاقة والصلة القوية بين العباددة

والبشارية وجيرانهم من النوبيين والسودانيين حيث التشابه في الشكل والنوع والمضمون، كما تظهر استخدامات الحلى بهدف التزيين فى زينة الأنف وتسمى التلهفأى حيث تختلف عن القطعة الذهبية التى تسمى الزمام عند نساء النوبة فيرتدينها خوفا من التلبس بالجان وخاصة عند النساء العجائز، ومن حيث دلالة الحلى على المكانة الاجتماعية فهى تعتبر دلالة على الحالة الاقتصادية لنساء قبائل البشارية بينما النحاس يعتبر دلالة على الفقر، وقد يظهر بين نساء قبائل العباددة وهكذا يظهر تأثير البيئة فى الحلى بمعنى أن نوعية الحلى قد ترتبط أولا بالمواد المتوفرة فى البيئة الطبيعية .

وتتركز الحلى لدى المرأة العباددية والبشارية فى الرأس والعنق والصدر، وجدير بالذكر أن هذه الحلى التى تستخدم كزينة تحاط بالتمائم والتعاويذ لتكفل حمايتهن من الأذى والمرض، ولتجلب لهن الحياة السعيدة.

والحلى الخاصة بالمرأة فى منطقة الدراسة ذات الطابع الخاص تختلف عن مثيلاتها فى المنطقة الصحراوية فى الشكل والتصميم، ويظهر هذا من خلال الوصف التالى لأهم قطع الحلى لدى المرأة البشارية والعبادية.

الحبشية: زينة للرقبة من أعلى، فهى على شكل مثلثين يلتصق بقاعدتيهما تجويفات وبروز على شكل خمسة أعمدة بينها فى الوسط (مربع) على كل خط من خطوط المربع حجر من الأحجار الكريمة الحمراء، وفى المنتصف (حجرة حمراء) بنفس الحجم، وترتبط على الرقبة من الخلف بخيط من الصوف.

ويستخدم اللون الأحمر فى الأحجار الكريمة لدى قبائل العباددة والبشارية خوفا من الحسد، ولحمايتهم من الأرواح الشريرة ، وخاصة فى الاستعداد للزواج فيرتدينها اعتقادا بأنها تحميهم من المشاهدة وتقاؤلا بالصحة والذرية الصالحة .

أما الشف: لزينة الصدر، فهو عبارة عن ٨ جنيئات ذهبية وبمنتصفها جنية ذهبى ليكمل العدد (تسعة) وبمنتصفه الحجرة الكريمة (ذات اللون الأحمر) وترتبط من الخلف بخيط من الصوف.

ويذكر على زين العابدين أن حلية (الشف) تستخدم فى السودان أصلا ووحدتها الأساسية الجنية الذهب الإنجليزي، وهذه الحلية لها وظيفتها الاقتصادية فهى أقرب إلى الادخار، وتعد رصيذا ماليا يرتكز عليه أثناء الشدائد، فكأنها تحمل عبارة (احفظ مالك)^(٥٧)، إلا أن هذا الشكل لدى أبناء منطقة الشلاتين يعتبرونه شكلا جمالياً فيحرم على المرأة بيع ذهبها مهما كانت الشدائد، فهى متمسكة بذهبها، وتفضل المرأة الشلاتينية ارتدائه فى أوقات كثيرة وليس فى المناسبات فقط، بل تتفاخر بارتدائها له ليعلى مكانتها ، ويظهر هدايا زوجها لها ، وخاصة عند نساء البشارية فهن أكثر مالا من العباددة.

أما التلال فهو يعلق فى الأذن على شكل هلال ويحلى برسوم وأشكال من النباتات والأعشاب والنجوم، والنجم يحمل شكل خاتم سليمان ^(٥٨) فالهلال لدى الإنسان فى منطقة الشلاتين صديق ورفيق الحياة الموحشة فى جلسات الونسنة والليالى والأفراح والمناسبات الدينية وخاصة الاحتفال بأوائل الشهور العربية احتفالاً

بالهلال ومراتبه وأشكاله فهو مصدر يبعث بالسعادة إذا كانت هذه الليالي مقمرة فيتفاعلون أثناء الاستعداد بأفراحهم.

الكليل: الخلل، على شكل دائرة ذات طرفين لهما أشكال ورسوم بارزة على شكل دائرة، والكليل لا يرتديه إلا نساء ذات مكانة وهيبة اجتماعية (مثل زوجات رؤساء البدنات أو شيوخ القبائل) والدائرة تعنى لديهن رمزاً لاكتمال القمر، ورمزاً لإله الشمس الذى كان يعبد فى العبادات الأولى.

أما زينة اليد (الغوايش) وتسمى «المسكات» فإن نساء الشلاتين يرتدين أساور عريضة ذات النقوش الذهبية مغلقة وليس لها طرفان مفتوحان مما يجعلها تختلف عما تشتهر به نساء النوبة، كما أنها تتميز بأن عليها نقوشا على شكل نبات أو أعشاب كمصدر لحياة البدوى الذى يحمل لها معانى التقديس والمكانة الاقتصادية، والأساور العريضة تشبه أو تقرب الدروع ، فهى أقرب إلى فكرة الوقاية والدفاع عند القتال، ويشير على زين العابدين إلى أن هذا الشكل يوجد عند العباددة وسواحل البحر الأحمر ، ولكنها غير موجودة عند الفاديجا، ولا يستخدمونها^(٥٩).

عادات زينة (العروس) فى قبيلة الرشايد:

تتحلى العروس الرشايدية بحلى خاصة بها وتتمثل فى:

القرط: يوضع فى الأذن ويسمى «الخزام».

الخزام: يوضع فى فتحة الأنف ويسمى «زمام» أو (حلية الرقبة) وترتدى فى العنق وهى مربعة الشكل ومنقوش عليها نقوش بديعة وعدد من العقود تسمى «سكسك» أو قلادة من الخرز، وتلبس

العروس سوارا من الفضة فى أعلى الذراع ويسمى «دملج» ويكون من الفضة وأحيانا يكون من الحديد، والدملج الذى يرتدى حول معصم اليد ترتديه الفتيات اللاتى لم يتزوجن ، وترتدى النساء الأساور من الخرز والودع ويلبسن فى أصابعهن عددا من الخواتم الفضية، ويرتدين ساعة فى اليد للزينة.

«الخلخال» ترتديه المرأة الرشادية لاعتقادها بأنه يحمى من الأذى، فالحلى بصفة عامة تتزايد حجمها لدى المرأة الرشايدية، على هذا يمكن القول بأن التنوع السلالى يظهر فى الزينة و«أشكال التزين».

أما «البرقع» فتتميز المرأة المتزوجة بارتداء البرقع المزخرف بأشكال زخرفية كثيرة تمثل إبداعات فنية وأشكالا جمالية، أما الفتاة فترتدى برقعا من القماش بلا زخارف أو أشكال تؤدى وظيفة نفعية وهو إخفاء هذا الجزء من الوجه.

«الوشم» بما أن الوشم إعلان عن جمال المرأة عند الرشايدة فهو إعلان عن خصوبتها وقدرتها على الإنجاب حيث تشتهر نساؤهم بجمال الوجه والبشرة البيضاء ، واتساع العيون فهن دائما يستخدمن الكحل لاتساع العين، وتقوم النساء بتجميل الوجه بالوشم فهم يحسنون صنعة (وهو عبارة عن الفحم) الذى يقومون تسخينه على النار ويرسم على الخدود والذقن عن طريق مجموعة من الإبر المربوطة بعضها ببعض معا لتحفر على الجلد الخاص بالوجه (الوجنتين والذقن) أما الشفاه فأحيانا ترسم باللون الأخضر والذقن ترسم بطريقة طولية تتكون من سبعة خطوط تحت الشفاه على الذقن

فى شكل خمس سعفات وثلاثة خطوط أخرى بين الجريد يشكل كل منها خمسا فقط أفقية كما يرسمن فوق الشفاه العليا هلالا على شكل خمسة، وتزين بالحنة فى اليد ولها رسومات خاصة بهم تعبر عن تاريخ قبيلتهم وبطولاتهم واعتقاداتهم الخاصة بالطبيعة وعناصر البيئة الصحراوية(٦٠) .

«شعر العروس» يتم تصفيفه بطريقة خاصة تختلف عن نساء العبادة والبشارية التى تتكون من الجداول الرفيعة لشعور النساء أو تركيب الشعر المستعار من الجلد أو الخرز. أما نساء الرشيدة فقد يتركن شعورهن بلا تصفيف من الأمام، حيث يضعن القناع فى منتصف الرأس، ونجدهن لا يستخدمن الودك ويرفضنه ، وتقول إحدى الإخباريات إننا لا نستخدم الودك ودهن الحيوانات، ونقوم بغسل شعورنا بالشامبو، واستخدام الزيوت . أما نساء العبادة والبشارية فلا يقمن بغسل شعورهن بأى نوع من أنواع تنظيف الشعر.

الهوامش

(١) فاروق إسماعيل ، التغير والتنمية فى المجتمع الصحراوى، ط١، الإسكندرية ، ص ١٠٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦.

(2) Schwimmer, Brian, Marriage Systems, at:Http://www.Umanitoba. Ca/faculties/arts/anthropology/tutor/marriage.html.

(٣) أحمد أبو زيد، «الثأر» دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد، القاهرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٦.

(٤) أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية فى مصر، المبحث الأول، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٧.

(٥) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٤١٢.

(٦) محمد الجوهري وآخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، ط١، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١، ص ٢٨.

(٧) علياء شكرى، التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثالث عشر، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع، دراسة للثبات والتغير الاجتماعى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١١٣.

(٨) تمثل المسافة الزوجية المسافة بين مكان إقامة كل من الزوجين ، ويعد صغر هذه المسافة دليل على التقارب المكانى وسيادة نمط الزواج الداخلى داخل الحلة أو العزبة، وهو أيضا دليل على وجود نمط زواج الأقارب العاصيين، لمزيد من التفاصيل راجع:

عبد السلام محمد عبد السلام، التأثيرات والجوانب البيولوجية والاجتماعية

للزواج الداخلى والتعددى فى مجتمع تقليدى، رسالة ماجستير غير منشورة،
قسم الأنثروبولوجيا ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٢٦.
(٩) علياء شكرى ، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع، مرجع سبق ذكره،
ص ١٤٤.

(١٠) شارلوت سيمور- سميث، مرجع سبق ذكره، ص ٤٨٤.

(١١) شارلوت سيمور - سميث، مرجع سبق ذكره، ص ٤١١.

(١٢) إبراهيم مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، مرجع سابق ، ص
٣٠٤.

(١٣) شارلوت سيمور - سميث، مرجع سبق ذكره، ص ٤١١.

<http://www.umanitoba.ca/faculties/arts/anthropology/tutor/marrigae/into.htm>.

(١٥) نجوى عبد الحميد: نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة
فى منطقة أسوان، إشراف علياء شكرى، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٤٨،
أطروحة (ماجستير) ، جامعة عين شمس ، كلية البنات، قسم الاجتماع.
(١٦) إخبارية رقم ٢٢.

(١٧) نجوى عبد الحميد، نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة
فى منطقة أسوان، نفس المرجع السابق، ص ٨٥.

(١٨) عليه حسن حسين، دراسات فى المجتمع المصرى، ١٩٧٥، ص ٣٢٤.

(١٩) محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية،
الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨، ص ٣٠٠.

(٢٠) عليه حسن حسين، دراسات فى المجتمع المصرى، الواحات الخارجة،
دراسة فى التنمية والتغير الاجتماعى فى المجتمعات المستحدثة، نفس
المرجع السابق، ص ٣٢٤.

(٢١) راجع التعريف فى:

الزواج عدة أشكال، فهى عدم التقيد بمكان أو حرية الإقامة وهى نادرة نسبيا
فى المجتمعات التقليدية، وهى لم تظهر فى المجتمعات الحديثة إلا منذ قرابة
القرن مع تنامى درجة معدلات التحديث فيها، فى حين أن الشكل الأكثر

شيوعا وبخاصة فى المجتمعات البسيطة هو نمط الإقامة الأبوية حيث يذهب
الزوجان للإقامة بالقرب من أو مع عائلة الزوج، وهو نمط مرتبط بالانحدار
الأبوى، وتشير بعض الدراسات إلى أنه ذو تأثير على مكانة المرأة.
(٢٢) الصداق ، هو عدد من الحيوانات (الإبل).

(٢٣) محمد الجوهري الأنثروبولوجيا، أسس نظرية وتطبيقات عملية، مرجع
سبق ذكره، ١٩٨٨، ص ٣٠٣.

(٢٤) خياط على دراية بأصول الحياكة الخاصة بقبيلة الرشيدة، بشرط أن
ينتسب لقبيلة الرشيدة ليعرف الأزياء الخاصة بهم.

(٢٥) انظر إخبارى رقم (٤٠).

(٢٦) وفى رأى آخر لإحدى الفتيات أن الحب بين الفتاة والشاب يؤدي للإقدام
على الزواج بأقل التكاليف ودون وساطة الأهل، إلا أن ارتفاع مهر الزواج
ومظاهره سبب فى تأخير سن الزواج.

(٢٧) محمد مختار الشرقاوى، التغير فى المجتمعات القبلية فى مصر
والسودان، دراسة مقارنة بين قبيلتي المساعيد بمصر، والشكرية بالسودان،
إشراف سعاد شعبان ومحمد عيده محجوب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٩٠،
أطروحة (ماجستير) جامعة القاهرة، معهد الدراسات الأفريقية، قسم
الأنثروبولوجيا.

(٢٨) نادية بدوى: الأنثروبولوجيا الجمالية، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢٩) وهى عبارة عن بيت من الخشب يتكون من ألواح خشبية على شكل مربع،
وبه أثاث بسيط،

(٣٠) انظر إخبارى رقم (١٧).

(٣١) نادية بدوى، الفن عند البجا، دراسة ميدانية فى الأنثروبولوجيا الجمالية،
مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٣٢) انظر إخبارى رقم (٣١).

(٣٣) إخبارية رقم (٣٥)، (٣٠).

(٣٤) انظر إخبارى رقم (١١)، (٣٣) .

(٣٥) سامية قطبى، الحلى الشعبية فى مصر، موسوعة الفنون الشعبية، إعداد
عبد الحميد يونس ، نبيلة إبراهيم، وآخرون، الهيئة العامة للاستعلامات ،

١٩٩٤، ص ٢٧٦.

(٣٦) نادية بدوى: الزينة الشخصية عند العبادة وأثر التطور الحضارى عليها، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٦.

(٣٧) مرفت نصر، المسكن البدوى بين الترحال والاستقرار ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، فى : مؤتمر المجتمعات الصحراوية وتحديات المستقبل، (٢٩ - ٣٠ مارس ١٩٨٩) القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية، والجنائية، ١٩٩٦.

(٣٨) انظر إخبارى رقم (٢٣)، (٢٤).

(٣٩) انظر إخبارى رقم (٢٣).

(٤٠) انظر إخبارى رقم (١٨).

(٤١) انظر إخبارى رقم (٣٧).

(٤٢) سامية قطبى، الحلى الشعبية فى مصر، موسوعة الفنون الشعبية، الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٩٤، ص ٢٠٣.

(٤٣) انظر إخبارى رقم (٢٧).

(٤٤) سوزان السعيد، الحياة الشعبية فى جنوب البحر الأحمر، ط١، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٢، ص ٤٢.

(٤٥) سامية قطبى، الحلى الشعبى فى مصر، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٤.

(٤٦) انظر إخبارية رقم (١٧)

(٤٧) سامية قطبى، الحلى الشعبى فى مصر ، مرجع سبق ذكره، ١٩٩٤، ٣٠٤.

(٤٨) انظر إخبارية رقم (٣٤).

(٤٩) سعاد على حسن شعبان، مربو الحيوان فى أفريقيا، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٥٠) انظر إخبارية رقم (١٧).

(٥١) محمد عبد الفتاح إبراهيم، أفريقية، حديث فى الطوابع الثقافية الإفريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥، ص ٢٠٠.

(٥٢) انظر إخبارية رقم (٣٥).

(٥٣) محمد عبد الفتاح إبراهيم، أفريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م، ص ١٩٧.

(٥٤) إسماعيل على الفحيل، مرجع سابق ، ص ٢٦٦

(٥٥) على زين العابدين، العادات النوبية فى الحلى والأزياء، الماثورات الشعبية،

ع ٩، (يناير ١٩٨٨) ، ص ٣٤.

(٥٦) على زين العابدين ، فن صياغة الحلى الشعبية النوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١، ص ٣٤٣.

(٥٧) انظر إخبارى رقم (٢).

(٥٨) على زين العابدين ، فن صياغة الحلى الشعبية، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧٨.

(٥٩) انظر إخبارى رقم (٤٤).

(٦٠) انظر إخبارية رقم (٤٥).

الفصل الثالث

احتفالية الزواج لدى العباددة والبشارية

من خلال دراستنا للبناء القبلى لمجتمع الشلاتين نجد أننا أمام جماعات عشائرية تتحدد هويتها وذاتيتها كوحدة بنائية ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا، فى منظومة اجتماعية من التعاليم والأعراف التى تحدد شكل تفاعل الإنسان مع بيئته والالتزامات بهذه الأعراف. وبذلك تعد احتفالية الزواج بمثابة الإعلان الرسمى لبداية الارتباط ، ليس بين فردين فحسب، بل بين عائلتين ، وتقام احتفالية الزواج فى مجتمع البحث على مدى سبعة أيام وكأنها تعبير عن ملحمة فلكلورية تعبر عما فيها من رموز ومعانٍ تتحد فيها معطيات البيئة بمظاهر احتفالية الزواج، وسنتناول فيما يلى وصفاً لأيام الاحتفالية وللممارسات المؤداة فيها.

اليوم الأول «تمبرت» (يوم الحنة)

يسمى اليوم الأول من الاحتفال «تمبرت» وهو يوم الحنة ، فعند شروق شمس اليوم الأول فى الاحتفالية يذبح الرجال ثلاث أو أربع ذبائح ، ويحضر المدعوون إلى بيت العروس، التى تختار إحدى قريباتها لتلقى عليها مهام (الوزيرة) التى تساعد فى حمام العروس وارتداء ملابس العرس، وتقوم أم العروس - أو أى قريباتها - بعجن الحنة الحمراء، فليس هناك ما يسمى بالحانة، ثم تقوم السيدة بتحنية يد العروس وقدميها، وأثناء ذلك تتنافس الفتيات والنساء بالزغاريد الطويلة والغناء على أنغام الكبور، ومنها أغنية ليلة الحنة:

الليلة الحنا وبكرة الدخلة

الليلة الحنا وبكرة الدخلة

زغرتوا يا بنات يا بنات الحنة

ارفع سيفك يا عريس سيفك لضيوفك

وصلوا الصحابة من كل حلة

زغرتوا يا بنات يا بنات الحلة

عريسنا البشوش طالع بجماله

وهناك أغنية أخرى تغنى ليلة الحناء

سيوبر مهلينى تانى دور سراتيوهوك

شلاتين طباي تانهوك

أبشر أبشر... ثم زغاريد

بمعنى أن المكان الجميل تتمنى السفر إليه، أن فى وديان

الشلاتين التى تروى بالماء وينثر النقوط بالرطانة (ثيوب) العروس.

أما تحنية العريس فتكون داخل مسكنه دون وجود العروس أو الفتيات ، فطقوس الحناء منفصلة، فلكل منهما مجلس خاص به، حيث تأخذ أم العريس أو خالته ما تبقى من حنة العروس ليتم تحنية اليد اليمنى للعريس وذلك بعد اختيار العريس لأحد من أقاربه ليكون وزيراً له ويساعده على ارتداء ملابسه، وبعدها يبدأ الاحتفال فى الساعة السادسة مساءً ويستمر حتى بزوغ شمس اليوم التالى، وذلك على اختلاف ما ذكرته نادية بدوى من أن «طقوس الحناء وإعدادها تكون فيه العروس جالسة إلى جوار العريس ومغطاة بملاءة بيضاء، بينما النساء تغنى حتى تنتهى عملية وضع الحناء^(١). ويذكر أحد الإخباريين^(٢) أنه فى ليلة الحناء حينما يدق الكفوف على الكبور «الطبل» ينزل العريس كتحية لأصدقائه ويقوم العريس بضرب كل واحد من أصدقائه ثلاث ضربات بالكرباج، بشرط أن يقف كل صديق بقوة وهو يكشف ظهره إلى أن ينزف، ومن الممكن أن تكون ست ضربات. ويزداد العنف فى تأدية هذه الضربات، فهو رمز وإعلان لرجولة هؤلاء الشباب، حتى يقبلوا على الزواج بعد زواج العريس ، وتشاهد على مقربة منهم أمهاتهم أو النساء كبار السن ، حيث ينقلن وصفا لرجولة الشباب فى هذه الطقوس إلى فتيات العائلة، ويتباهين ويتفاخرن بكثرة الضربات وقسوتهم فى أدائها ، وتتم هذه الممارسات مصاحبة لأغنية تتردد أثناء حنة العريس ، وكلماتها كالآتى: أور هلوق شورانا

هميتايت كلافنة

بى دابئيت تونا أونديروا

راتانا

أور اوكننا أوندعروا راتانا^(٣)

ويقصد بها صفات العريس: الفارس (أور) ذو المواقف النبيلة (هلوق) التي يحبون استشارته (شورانا) في الكثير من الأمور، لأنه صاحب شخصية صارمة (هميتاتيت) ومواجهة أثناء المعارك فليس من صفاته أو سماته الهروب (دابيئيت) إنما هو شخص ذو ضمير (أوكننا) حتى إذا سألنا (راتانا) أقرانه (أوندور) قالوا ذلك.

ولم تعد المسافات التي كانت تفصل بين أبناء قبائل العباددة واللبشارية مانعا دون حضورهم للاشتراك في الاحتفال بالزواج، ولذلك تحضر أعداد كبيرة من الرجال والنساء من ساكني الجبال والأودية، والمناطق المحيطة بهم، مثل حلايب وأبو رماد وبعض من الأقارب الذين يسكنون النوبة والسودان وإريتريا، فالسمة الأساسية المميزة لهذه الاحتفاليات هي الترحيب بالضيوف من الأقارب والجيران، إلا أن هناك قيودا على مشاركة أبناء قبيلة الرشايدة، وعلى الرغم من ذلك، فإن اتساع نطاق الاحتفالات من خلال حضور أعداد كبيرة من المدعوين يؤدي إلى تحمل أهل العروسين أعباء مادية تفوق إمكانياتهم، مما يدعو إلى مساندة ومشاركة بعض من الأقارب بداخل الوحدة القروية في إرسال بعض الهدايا العينية والتي تتمثل في : سلع غذائية ورعوس من الأغنام، لاستضافة المدعوين ويتمثل ذلك في شكل النقوط (ثيوبوا) الذي يقدم لوالد العريس ليلة الحنة، وكذا يوم الزفاف الأول كأحد مظاهر التعاون والتكافل الاجتماعي، وهذه العادة أطلق عليها «مارسيل موس» و«ليفى ستروس» مفهوم

الهدية الملزمة، حيث يقدم رجال القبيلة لعائلة العريس من الرجال هذه الهدايا، فكلما زادت قيمة النقود كلما زادت هيبة «الداو» ومكانته. ويكلف والد العريس أحد أقاربه من أكبرهم سنا، وأرفعهم مقاما ليسجل في الذاكرة الواجب المرسل من النقوط، ولكن في الآونة الأخيرة أصبح والد العريس يكلف أحد أقاربه الذين نالوا قدرا بسيطا من التعليم بفتح سجل يسجل فيه رموز بجاوية لقيمة النقوط ومقدميها. وقد تختلف قيمة النقوط حسب درجة القرابة والواجب المرسل من قبل، ويتم فتح السجل بعد صلاة المغرب، ويتعين على العريس وأهله رد هذا الواجب أو الهدية الملزمة متى حانت مناسبة لذلك لدى من أهده.

ولا تقتصر الأدوار القرابية الملزمة على الذكور من أبناء العائلة، ولكن أيضا تشمل النساء حيث تقوم كل منهن بدورها حسب الدرجة القروية، فالعمات والخالات وبناتهن، تقمن بإعداد الطعام خلال أيام الفرح لمعاونة أم العروسة في إعداد الولائم، وتجهيز الطعام. أما الرجال فيقومون بذبح الأغنام، وتقوم النساء بطهيها، كما تساعد النساء في بناء المنزل أو بيت البرش، كما يشاركن في الاحتفال بالعرس برقصاتهن، وأغانيهن الشعبية، فالزواج في منطقة الشلاتين يشمل مشاركة فعالة لدى شباب المنطقة ونسائها، ولا يقل اهتمامهم به عن الكبار، فهذه الاحتفالية سجل حافل بكافة أنواع عناصر التراث الشعبي، وفي المساء يقضى العريس الليل مع أصدقائه، ويستمر في اللعب بالسياط حتى الصباح فكيف كشف كل منهم الجزء الأعلى من جسمه ويتبارى كل اثنين أو ثلاثة بالسياط، ومن يفز

منهم هو الذى يستمر حتى نهاية اللعبة، كما يشارك أطفال القبيلة بالغناء، والرقص، والتناوب بين الألعاب الشعبية الخاصة بهم، وخاصة سباق الهجن

وفى النصف الثانى من اليوم الأول، يتم الاحتفال بالسونكاب^(٤)، وكان قديما يحتفل بأهل العريس بمراسم السونكاب على ظهر جمل يحمل عليه أم العريس، وإحدى قريبات العريس تبركا، بشرط أن تكون هذه السيدة حملت سابقا وأنجبت ولدا، ويركب خلفها على الجمل ويضعون ثياب العروس على رأسيهما، ويحملون السنكاب فى اليد الأخرى، ويقود الجمل رجل مسن، وحول الجمل النسوة يغنين «هيداي دوب» ومعناها العروسين الذين اختارهما أهلها لبعضهما و اللالى لهقيننا اين ادوب أو فراى أو مراى، وتدق النسوة على الطبل ، ويذكر النساء أغنية أخرى.

- هيا داي دوب (العروسين)

- هيا داي اكوابل ينيب (النهار يبدأ عند العروسين باللبن والغناء)

- أور هيا دوبا هيدا تكابلى (والعمه والملابس الجديدة)

- أور اندو ميل هينا (وعمل البرش وذبح الذبائح وعمل الحنة)

أما الآن فقد ظلت الأغنية تردد على ألسنة أهالى المنطقة أثناء الاحتفال بالعرس دون تغير، ولكن تغيرت عادة احتفال العروس بالسونكاب ، حيث يحمل السونكاب فى سيارة تويوتا ليتجولوا فى العزبة، ويرددوا الأغاني والزغاريد ويكون ذلك قبل غروب الشمس على مرأى ومسمع أهل العزبة وكأنه إعلان لبداية الاحتفال بالعرس فى اليوم الأول للزواج .

اليوم الثانى (الفرطة)

عادة ما يذبح فيه ثلاثة خراف، قد يصل عددها فى بيت العروسين إلى عشرة خراف. وعند الشهر يقيمون البروش الخاصة باحتفال العريس وأصدقائه، فيفرشونه على الأرض، ويذبحون فوقه ذبيحة، يفضل أن يكون من الضأن الأبيض، وهناك طقوس خاصة لتحديد مكان مسكن العروس، وهى عبارة عن جمل عليه طفلان ويغطى على رعوسهم الشملة التى توضع فى المحتوى الداخلى للمسكن، ويسير به العريس ، وحين يبرك الجمل فى المنطقة المراد السكن فيها ينزل الطفلان وتنطلق الزغاريد استبشارا بأن يجعل لهم الله فى هذا المكسن خيرا بأن يرزقهم بالبنين، ويأتى العريس ويرسم دائرة بسيفه إشارة إلى المنطقة التى سيبنى فيها البيت، وتأتى أم العريس ومعها صبي والصبي يجلس بجوارها لا يتكلمان، وتحفر حفرة لتكون الركيزة الأساسية لهذا البيت، وبعد أن تنتهى المرأة من مهمتها ، لا تتكلم تلك المرأة إلا إذا أعطوها شيئا حلو المذاق لكى تبدأ حياتهما حلوة، وبعدها يرفع البروش، ويقام فى مكان وسط بين منزل العريس ومنزل العروس ، أو جنوب منزل العروس بحيث يكون الباب خلفهما، ويكون مدخل البيت متجها إلى القبلة، إشارة إلى بداية انفصال العروس عن بيتها.

وتدور النساء حول البروش سبع مرات، وبذلك ترتبط البنت بأماها خلال فترة إقامتها بالبروش وتعود إليها كل مساء ويأتى العريس ويرسم دائرة بسيفه إشارة إلى المنطقة التى يبنى بها البروش ، ويوضع داخل البروش سرير مشدودة عليه حبال، ويبسط عليه نوع

من الفرش (الحصير) يستخدم لجلوس العريس وأصدقائه أثناء الاحتفال بالعزف والغناء على آلة «الباسنكوب» وتذكر نادية بدوى أن من طقوس احتفال العباددة والبشارية أن يلعب العريس بالأمير طوال فترة الفرح، وعند المغرب يقوم الأمير ببناء الخيشة بمعاونة أصدقائه، ثم يبدل ملابسه بملابس جديدة، ويجلس لاستقبال الضيوف^(٥). وهذا يختلف فى حقيقة الأمر عما رصدته الباحثة، حيث إن المرأة هى التى تقوم ببناء بيت البرش، ويساعدها بعض النساء فيها^(٦).

ويذكر محمد عوض محمد أن نساء الحى يقمن ببناء بيت الزوجية الجديد، ومن العادات السائدة أثناء الشروع فى بناء المسكن، أنه إذا أقبل رجل واقترب من النسوة وهن يقمن بإعداد المنزل، انبرت له إحداهن وقمت إليه طبقا فيه تمر وخاتما من الفضة أو الذهب، فيضطر أن يتناول بعض التمر ويضطر أن يقدم هدية لتلك المرأة^(٧). ويقام احتفال آخر خاص بالنساء بمنزل أم العروس داخل فناء البيت الخشبي، وتصعد إليه النساء فى مجموعات ويرقصن على دقات الطبول وهن يرتدين ملابس براقة يغطيها الثوب الشلاتينى التقليدى، وأمام هذا الاحتفال تجلس بقية النساء على الحصير المفروش على الأرض مع أطفالهن، ويوزع عليهن عصير التانك والعطور، بينما تجلس العروس وهى ترتدى الثوب السودانى فى لون مبهج، مثل البرتقالى أو الأحمر، ويوضع فوق رأسها المصحف وتجلس الفتيات حولها على الأرض، وفى الأونة الأخيرة حاولت الفتيات من أقارب العروسين تجهيز الكوشة فى شكلها النهائى على شكل عيدان من الخوص مغطاة بالدمور الأبيض لتجلس العروس

وأقاربها على العنجريب بعد تجهيزه وتزيينه بمفروشات جديدة يتم جلبها من السودان، ثم تتبادل الفتيات الرقص أمام العروس. وفى وقت الغداء تجتمع النساء والأطفال فى الفناء الخارجى المكشوف للمسكن ففى بيت أهل العروس نجد أن العمل على قدم وساق، حيث تقوم مجموعة منهن بإعداد الطعام على موقد كانون أو «الدوقينات» وفى أوان كبيرة جدا من الألومنيوم فى أحد أركان المسكن أو سقيفة بجانب المسكن، وهناك مجموعة أخرى تجهز الأطباق المعدنية وثلاثة يوزعن الأكل الذى يتكون من كمونية (وهى عبارة عن أحشاء الذبيحة وتضاف إليها الماء والكمون) ولحم مسلوق، وأرز مطبوخ بالطماطم، كما اعتادوا على تناول وجبة الكسرى وتسمى الدوكة فهى نوع من الخبز الرقيق، وهو عبارة عن عجينة من الماء والملح والدقيق، ثم تفرد العجينة على شكل الرقاق، وتفرد على الأرض ثم توضع على فروع الأشجار فوق لوح على شكل طبق مقلوب من الصاج ويقلب على الجانبين، ويؤكل بجانب الجبن الأبيض من علب الكرتون أو مع البطاطس أو البامية أو الباذنجان، وأغلب هذه الأطعمة جافة لعدم زراعتها بالمنطقة، أما الطازجة منها فترسل إليهم من محافظات مجاورة حيث تخصص الحكومة سيارات مخصصة لببيع الخضروات والفاكهة وبها مكبر صوت ينادى به البائع لعرض سلعته، ويتجول بها بين العزب التى يسكنها قبائل البشارية والعبادة، وبيوت التوطين التى يسكن بها النازحون للمنطقة وبذلك أصبح أهالى المنطقة يعرفون الخضروات والفاكهة وأصبحت تقدم فى موافد احتفالية الزواج وأصبح أهالى المنطقة يشيدون بهذه

الأغاني في ليالى عرسهم وبها بعض الكلمات التي تواكب هذا التغير في عادات الطعام الخاصة بهذه الاحتفالية، وهى تعبر عن وصف لمحبوته أو زوجته في ملامحها حيث يربط بينها وبين المناطق مثل بلدة السوفيت، وجبال دارفور، كما يذكر بعضا من أنواع الفاكهة في الأغنية وبها بعض الكلمات التي تواكب هذا التغير في عادات الطعام وتظهر كالاتى:

بياض سنك أنظف من كهارب السوفيت
نهدك برتقال غاب فيه جبل دارفور
لابسه القميص الشفاف
تقول مخلوقة من المنجة والجوافة^(٨)

وتجلس المحتفلات على الحصير المفروش - تحت المظلات الخوص - أو بداخل فناء البيت الخشبي الخاص بأهل العروس، ويتناولن الطعام مع أطفالهن ، فالزواج في مدينة الشلاتين يعتمد اعتمادا كليا على إقامة الولائم والأطعمة، وذلك إعلانا عن فرحة أهل العروسين وغبطتهم بالعرس، وتكوين أسرة جديدة ، لذا نجد نساء العائلتين يتناولن الطعام في ماعون واحد كبير رمزا لمدى التوحد والمشاركة والتعاون بين أهالى العروسين. إذ إن التجمع حول الطعام يوفر عنصر التضامن والتماسك الاجتماعى وبعد انتهاء الطعام فى حوالى الرابعة بعد الظهر تبدأ إحدى النساء من قبيلة الأشراف فى مدح العروس بالأغاني الدينية بلهجة مختلطة بين البيجاوية والعربية، وفى الجانب الآخر يجلس الرجال خارج المسكن حيث يتبادلون الرقص والغناء و (التريلة).

كما يعقد فى اليوم الأول لاحتفالية الزواج - أثناء نحر الخروف - يبدأ أحد المدعوين من أقارب العريس فى شواء بعض أجزاء الذبيحة (الكبد - وأحشاء الخروف على فروع الأشجار) ثم يرسلها إلى العروس لتأكلها لتصبح أكثر خصوبة، ويرزقهم الله بالذرية الصالحة، كما يعتقد أنه عندما يأكل منها العروسان يعنى ذلك أنهم يقتسمون الحياة الزوجية بحلوها ومرها^(٩).

ويعتبر بدو منطقة الدراسة فى احتفالهم بالعرس وإقامة الولائم ردا للتحية وكرما للضيوف الذين أتوا من مسافات بعيدة للمشاركة فى احتفالية الزواج.

اليوم الثالث (يوم السونكاب)

فى صباح هذا اليوم تذبح الذبائح ثم يقوم الرجال بهدم البروش الذى احتفل فيه العريس مع أصدقائه، ويقيمون بروشا آخر فى حوش والد العريس، إذ يحملون البروش فوق جمل عليه طفل، ويقود الجمل رجل من الأشراف، ويطوفون بالجمل سبع مرات حول منزل والد العريس ، ثم يبركون الجمل بحيث يكون الباب خلفه، حتى يسهل إنزال البروش ويقيمون البروش تجاه القبلة، وتأتى أم العريس لتقيم دعامة البروش، ويربطون «السونكاب» فى البروش مرة ثانية، وعند نهاية تجهيز البيت تدور النسوة حوله سبع مرات ويغنين وعلى رعوسهن ثياب العروس، وفى نهاية الدورة السابعة تربط إحدى الحزمتين فى مقدمة المسكن، وتأخذ النساء الحزمة الأخرى لبيت أم العروس، وقد تغيرت هذه الاحتفالية فى الآونة الأخيرة حيث نجد أن أهل العروس يحملن فى سيارة نصف نقل، وتتجول فى المنطقة ما

بين العزب، وهى تحمل الفتيات ويرددن الأغاني والزغاريد ومنها
أغنية (١٠) :

سيرى توبا سيرى توبا سيرو

سيرى توبا لبسونا العروسة

سيرى توبا هenna العروسة

لول هل لول هل لول هل

لول يا سلام عريس الهنا

يا لول يا لول سنيق حلوة

يا لول الولا تجوز

جمعكم بالخير والنور يا لول يا لول

(لول) هو تعبير بالفرحة بقدوم شهر جديد ثم يطلب العفو ممن

حواله خاصة الأهل ويدعو بأن تحيا ليرى إهلاله الأعياد، وليالى
الأفراح:

صلى على النبى صلى على النبى

صلى على النبى صلى على النبى

من الليلة يا عريس سرت منا الليلة

من الليلة يا عريس روح للهنا كله

الليلة يا عريس الشيخ كتب وسار منا العريس

صلى على النبى صلى على النبى

ويعد هذا اليوم رمزا لإشهار الزواج وإعلانه على الملأ، والذي

يمنح الزواج الشرعية.

وفى عصر هذا اليوم يحتفل العريس مع أصدقائه فى مكان

البروش القديم فيلعبون بالسيوف، حيث يقفون فى حلقة ويضعون
الخناجر فى جراب الحزام ويحملون الدروع والسيوف، ويرقصون
رقصات عنيفة وهم يصيحون بصوت مرتفع «أبشر».

فقد اعتادوا على تناول مشروب الجبنة (القهوة)^(١١) فى ليالى
احتفالية الزواج، وهو المشروب الرئيس فى منطقة المثلث، والشراب
الشائع والمشارك بين كل شعوب البجا فى تلال البحر الأحمر،
والسودان، وإريتريا، فيعمل مشروب الجبنة على توطيد وتقوية
التراپطات بين أفراد العائلة رجالا ونساء^(١٢). ولذلك يشيرن إليها
فى أغانيهم ومنها :

سوت لى جبنة دقت عوده

أخذت شفته من بوكريها (فمها)

حتى وجع الرأس تداويها

الجبنة تسويها وحالك ما تخليها

وتستمر الاحتفالات لكشف رأس العريس «قرماى نقول» ويدخل
العريس المنزل ويخلع عنه أصدقائه المنديل الأحمر وينزع السوار
والعقد ويوضع الشحم على رأسه ويدهن الرأس بـ الودك وهو
الشحم وخليط من مسحوق من جزوع الشاف والصندل، ويضاف
لها المحلبية ومسك وجوزة والصفرة وبعض العطور المخلوطة
بالصندل. وتجلس النسوة عند مدخل البيت ويجلس الزوج وأصدقائه
بالداخل حيث تدور حوارات طريفة بين الفريقين.

تتم مراسم كشف الرأس فى اليوم الثالث ويذهب العريس
بأصحابه بعيدا ويذبحون الأغنام ويغطون من شحمها رأس العريس،

ويبيتون هناك بعد خلع المنديل والسوار.

وبذلك تنتهى مراسم الاحتفال الأساسية للزفاف ، ولكن تبدأ طقوس أخرى فى الأيام التى تلى الأيام الثلاثة الأولى للاحتفال.

اليوم الرابع

يذبحون فيه ثلاث ذبائح ، وفى هذا اليوم تأتى العروس بمفردها فى المساء إلى البروش ، وتبقى مع العريس طوال الليل، وتعود مع الصباح الباكر إلى منزل والدتها.

فى مساء اليوم الرابع يهدمون بيت الزوجية، ثم يعيدون بناءه بشكله النهائى ، ولا يعاشر الزوج زوجته تلك الليلة، وبعدها تأتية بعد صلاة العشاء وتخرج بعد صلاة الصبح، وهكذا حتى يوم الأربعاء، ومن معتقداتهم أن يوضع السيف بين الرجل وامرأته أثناء النوم وذلك خوفا من المشاهرة، حيث يذكر أحد الإخباريين أنه فى مساء اليوم الرابع يأتى العريس وأصحابه للبيت الجديد ويكون البيت خاليا من النساء ولا يدخل البيت إلا بعد قطع الخيط (عقد السوميت المربوط على خصر العروس) وتكون أم العروس ليلتها ملزمة بإطعام العريس وأصحابه، ويعنى ذلك أن العريس استطاع أن يقطع رهط العروس، ويمثل ذلك جانبا شكليا لكن فى حقيقة الأمر تبدأ الممارسة الجنسية فى نهاية الأيام الخاصة باحتفالية الزواج.

اليوم الخامس

يذبح فيه ثلاث ذبائح ، وتأتى العروس كذلك فى المساء إلى البروش ، وفى هذا اليوم تظل العروس مختفية خوفا عليها من المشاهرة، وفى المساء يذهبون بها فى الخفاء إلى البروش بصحبة

أقرب أصدقائه، ويجلس الأربعة معاً، الفتاتان، والرجلان وقد تغطى وجهها قدرا من الوقت ثم تخبر العروس الفتاة الوزيرة أن الوزير يضع عينيه منك على سبيل الدعابة فتستحي وتفر هاربة من المسكن، ووراءها الوزير أمام المدعوين بالخارج وبذلك يصبح العروسان بداخل مسكنهما بمفردهما ، ويوضع بينهما السيف حتى لا يتلامسا، وفى الصباح تأتى مجموعة من النسوة يلففن حول البيت سبع دورات وهن ينشدن ، وفى الدورة السابعة تحاول النسوة الدخول إلى البيت وضرب العريس الذى يحتفى بأصحابه ، فإذا نجحن فى ذلك يلزم العريس بذبيحة، وإذا لم ينجح يتبرع لهن بكمية من السكر واللبن.

اليوم السادس

يتم فيه ذبح ثلاث ذبائح وربما تقل الذبائح حيث يقل المدعوون، ويستمر العروسان فى البرش حتى اليوم الأربعين، فالتقاليد القديمة كانت تحتم ألا يدخل العريس على عروسه، ويقام معها علاقة كاملة قبل مرور سنة كاملة من الزواج، والآن أصبح الاتصال الجنىسى يتم فى اليوم السابع إلى اليوم الأربعين ، وأثناء هذه الفترة تقوم أم العروس بخدمتها وخدمة العريس وإرسال الطعام له طيلة فترة النهار أثناء جلوسه فى بيت البرش لانتظار العروس، فمن مهام الوزير ملاحقة العريس وخدمته والعناية بنطاقته وزينته، حيث يلاحقه الوزير أثناء النهار عند حضور أصدقائه وأقاربه الرجال لتهنئته . ونجدهم يترددون على مسكن البرش فى النهار وطيلة الأربعين يوما حيث يتبادلون الأحاديث ويهنئون العريس ويجلسون مع بعضهم البعض

جلسات الونسنة حتى غروب الشمس، أما العروس فتلاحقها الوزيرة للعناية بها وبزينتها ، فهي المسئولة عن تمشيط وتصفير شعرها وارتدائها للأتواب ليلة بعد ليلة طيلة الأربعين يوما فهي فى هذه الفترة مقتصرة على الممارسة الجنسية^(١٣)، وبعدها تمارس حياتها الاجتماعية والطبيعية، ويتولى والد العريس الواجبات المادية، وتذكر نادية بدوى أن الليلة السادسة لليوم السابع هو يوم الزفاف لذا يمتطى العروس جملا ويتناول طبق الحنة ويقوم بوضع الحنة فى أيدى العروس وعليها تتظاهر بالتمنع ، ويستمر العريس فى محاولاته فإذا نجح فى وضع الحنة لها تهلل النساء بالرقص والغناء وينطلق العريس إلى خيشته فى صحبة أصدقائه الذين يقومون بوضع الحنة له فى يديه^(١٤)، إلا أن الشواهد الميدانية تؤكد أن ليلة الحنة هى الليلة الأولى (تمبرت) كما ذكرت سابقا ، فقد دلت الشواهد المدانية أنه بعد احتفالية الزواج لا يغادر الزوج أربعين يوما مسكن الزوجية، فالعروس تذهب إلى زوجها فى بيت البرش ليلا بعد أن يحل الظلام لتعود إلى مسكن أسرتها قبل شروق الشمس، ويظل معه وزيره كظله حتى لو أراد قضاء حاجته فى الصحراء، إلا أنه يترك العريس أثناء وجود العروس وبعد مرور الأربعين يوما يقام الاحتفال المسمى «كرامة» وهو يوم الأربعين.

يوم الأربعين (كرامة) (الأربعون)

يذهبون ما بين خروف إلى ثلاثة خراف حسب عدد المدعوين، ويقدم الطعام للمدعوين ويتم الغناء والرقص (التريلة) وقيمون هذا الاحتفال للأقارب والجيران، وفى هذا اليوم ينتقل العروسان إلى بيت

أهل العريس أو المسكن الخشبى ، ويأتى الأشراف فيباركون المنزل بالدعاء^(١٥)، ثم يدخل أناس لديهم نسل كثير إلى المنزل ، ويدخل الرجل أولا وخلفه المرأة، ثم يأتى الأهل والأقارب ليباركوا قائلين:

إن شاء الله بالعمار والأولاد

مبروك يا عروسة - مبروك يا عريس^(١٦)

أودوبا ما سيب

أوكوءات هيواتيب كوادارتيب أروى (دعوة أن يرزقهم الله بالبنين والبنات) (النعاج الصغيرة) وهناك دعوة أخرى (شلاتين موية) (يتمنى وديان الشلاتين تروى بالماء أمنية للعروسين) وبعدها تبدأ الزوجة فى ممارسة حياتها بطريقة طبيعية مع زوجها فيجلسان معا، وقد تشاركه حياته إما أن ترافقه للرعى، إذا أراد أما إذا أراد لها البقاء فى المسكن فإنها تبقى معه.

وتقول أم العروس بعض الكلمات والعبارات التى تستقى منها بعضا من الأمثال لاستمرار الحياة بين العروسين: «مد الشملة على قد فرشتك» تنصح الأم ابنتها بالرضا بما قسمه الله لها ولا تحلم بأكبر من ذلك، كما تنصحها بالجوء إلى كبار السن فى أية مشكلة تحدث بينهما، «هند وتواتو ملو تجينا» التمر دائما يوجد فى الشجر الكبير، بمعنى أن الأكبر سنا من الرجال له الحكمة والعبر وتجارب السنين، فإن الشجرة الكبيرة ثمارها أكبر من الشجرة الصغيرة ويتضح فى قولهم عندما يحث الشباب للجلوس مع كبار لأخذ الخبرة والشورى وخاصة عن الزواج يتخذون حكمة الحياة، وتذكر إحدى الإخباريات أن أم العروس تحكى قصة لتلقن ابنتها العروس

حسن معاملة زوجها حيث تحكى القصة أن إحدى بنات الشيخ جاءت تشكو زوجها من سوء المعاملة، أرادت أن تكتب له آيات من القرآن وتعطيها للزوج ليعود لحالته، وشعرت الفتاة باستحالة تدارك الموقف وإعادة العلاقة بينها وبين زوجها فأشار الشيخ إليها بأن تذهب للغابة حاملة معها حملا صغير ليأكله الأسد كل يوم ثم تنتهز الفرصة أثناء تناول الأسد الطعام وتنزع منه السبع شعرات، ثم نجحت فى ذلك وجاءت لوالدها الشيخ العجوز فقال لها استطعت أن تتألفى مع الأسد وهو حيوان متوحش بفضل حسن المعاملة والإحسان، ألا تستطيعى أن تفعلى ذلك مع زوجك، فتعلمت الفتاة أن تكسب ثقة زوجها بحسن المعاملة.

والواقع الفعلى لمجتمع الدراسة يؤكد أنه بعد مرور سنة من الزواج، وليس قبل ذلك يرجع العروسان إلى بيت أهل العريس، وفى المساء تأتى اثنتان من النسوة تتوسطهما العروس، دون التحدث معهما، ويحاورن العريس ، بعدها يرجع النسوة ومعهن العروس. وفى مساء اليوم التالى تأتى النسوة ومعهن العريس، وبعد فترة تخرج النسوة بعد أن يضعن يد العروس فى يد العريس إعلانا بانقضاء السنة وإشهار زواجهما.

وطوال السنة الأولى من الزواج تستمر العروس فى الإقامة فى منزل والدتها لا تفارقها، ولكنها تذهب إلى العريس فى المساء وتعود إلى منزل والدتها فى الصباح الباكر، فإذا حملت فى السنة الأولى تبقى فى منزل والدتها حتى تتم حملها، وبعد وضعها تعود إلى منزل الزوج، وبذلك تقيم إقامة كاملة مع أهل زوجها وتصبح فردا من

الأسرة الجديدة.

فالأربعون يوما الأولى على الأقل بعد الزواج يستقر الزوج بشكل مألوف مع عائلة العروس، ثم ينتقلون إلى بيت الأب، فإن مسكن الزوجية قريب من مسكن الأم، وبعد الأربعين أو حتى عند ولادة الطفل الأول ينتقلون إلى بيت الأب أو بيت خاص يشيده العريس. .

إن الشواهد الميدانية تؤكد أن هناك تشابها بين قبيلة العباددة والبشارية فى احتفالية الزواج، حيث يندرجون فى ثقافة واحدة، فهم فروع من أصول سلالية، لقبيلة البجا، وهم يشتركون فى وحدة جغرافية واحدة، إلا أن هناك بعض التغيرات الطفيفة التى تظهر فى المسميات الخاصة بليالى الاحتفالية، فمثلا يسمى البشارية (العرس) باسم الدوياب، والليلة الأولى تمبرت، أما العباددة فيسمون الليلة الأولى سمكاى أروب، والليلة الثانية الفرطة، لذا يسمى توب العروس توب الفرطة، كما يسمون النقاط ثيوب، ويطلقون على الليالي الباقية أعدادها فمثلا تسمى الليلة الرابعة أو الخامسة أو السادسة (ليلة الدخلة) لا تقاس ليلة الدخلة بترتيب أيام الاحتفالية ، وتذكر إحدى السيدات^(١٧) أن أكثرهن يتم ليلة دخلتهن بعد عشرة أيام أو خمسة عشر يوما حيث تمثل للعروس بؤرة دعر وخوف، وخاصة أن فتيات المنطقة جميعهن يخضعن إلى الختان الفرعونى، وهذا يعنى أن ليلة الدخلة لا تمثل لديهن إعلانا للعفة والشرف، فليس هناك طقوس أو شعائر تدل على علانية الشرف للعروس إنما تقام ليلة الدخلة فى سرية تامة لأنهم على علم بشرف بناتهم، وقد يقوم الرجل بفض البكارة للعروس طبيعيا وليس عن طريق داية. وهذا فى اعتقاد

الرجل أنه دليل لقوة الرجل.

وتشكل هذه الاحتفالات المصاحبة للزفاف عاملا مؤثرا في ارتفاع تكاليف الزواج في مجتمع الدراسة، فلا يتصور أحد من الأهالي إقامة أى زواج دون إقامة مثل هذه الاحتفالات وإقامة وتجهيز بيت الزوجية وأحيانا تجور على قيمة ما يدفع من مهر، كما أن الأهالي يرون أن هذه الاحتفالات قد تعوق الكثير عن الزواج فى سن مبكرة انتظارا لتوفير نفقاتها، ويرى البعض منهم أن أهل الشلاتين يكونون مدفوعين لإقامة مثل هذه الاحتفالات إما كنوع من التفاخر ، أو لشعورهم بأنهم ليسوا أقل فى المكانة الاجتماعية والعرقية عما يقيم مظاهر احتفالية ضخمة لزواج أبنائه من أهالي المنطقة، وهى مدعاة للتباهى بينهم.

أما احتفالية الزواج عند الرشايدة ففى بداية الاحتفال بالعرس فى بيت العروس يتم ذبح الكرامة (الخراف) ويتم طهى الطعام فى أوان من الألومنيوم وتزين العروس والعريس بالحناء والروائح، ويحضر أفراد القبيلة الرشايدة من شتى أنحاء المنطقة لتعلوا الزغاريد وتقام الأفراح ، والاحتفال عبارة عن يوم واحد ، ويقوم الرجل بذبح الذبائح وتقوم النساء بطهى الجراسة وهو الطعام المفضل فى احتفالية الزواج لدى الرشايدة المكون من: (اللحم والخيز والأرز) ويتم توزيع الحلويات من الشيكولاته، والحلاوة الطحينية على الموجودين بالعرس، ويفضل يوم الاحتفال بالعرس يوم الخميس أو الجمعة. فالاحتفال يوم واحد بعكس قبائل البشارية والعبادة يتكون العرس من سبع ليال تتوالى فيها الرقص والغناء

حتى النهار فلكل منهم ثقافته الخاصة بهم فى أدائهم للرقص وأغانيهم وأزيائهم وزينتهم.

وهكذا نجد أن هناك الاختلاف فى طبيعة الوحدات السكنية التى تعكس الاختلافات الواضحة فى طقوس واحتفالية الزواج، فالزواج لدى قبيلة العباددة والبشارية يكون أربعين يوما تقيم فيها العروس بجانب والدتها فى بيت البرش، أما العروس فى قبيلة الرشايدة تجلس فى بيت الشعر سبع ليال فى خيمة والدتها وقبل شروق الشمس تذهب مع أهلها إلى خيمة زوجها بعد غروب الشمس ثم بعد أسبوع تقام الكرامة وليس بعد أربعين يوما كما عند البشارية فهو يسمى السبوع ويحتفلون به (عند البشارية والعبادة يتم بعد أربعين يوما الكرامة لنحر الذبائح) وتذهب العروس الرشايدة إلى بيت والده لتشاركه رحلة الحياة.

أما الاختلاف الواضح فى عقد القران، فهو علانية فى حضور الأشراف وعقد رسمى، أما الزواج عند العباددة والبشارية فالزواج علانية بين أهل القبيلة فلا يهتمون بالعقد الرسمى.

فالزواج لدى الرشايدة لابد وأن يكون من داخل القبيلة، إلا فى حالات قليلة يكون من خارجها إذا كان الرجل فى شيخوخة أو قليل المال أو ضعيفا أو به عيب خلقى فيتزوج من حبشية (فى قبيلة أخرى من داخل السودان) حيث يظل أولاده من أبناء الحبشية والذين يأنفون منهم، على الرغم من النسب، والعصب الرشيدى، فهم شديدي الاحتفاظ بدمائهم العربية، وهى حالات قليلة جدا^(١٨).

وتتشارك قبيلة الرشايدة مع قبائل العباددة والبشارية فى أهم

عنصر وهو الزواج الداخلي، ويحرصون عليه من أبناء العمومة وأبناء الخال، كما تتسم قيمة المهور بالارتفاع عنها لدى العباددة والبشارية بدافع أن الرجال الرشيدة يتميزون بالكاسب السريعة والوفيرة، وذلك من تجارة النسور والعملة وتجارة الإبل، فالمرأة هي المسئولة مسئوليّة كاملة عن بناء الخيمة، والمرأة صاحبة السيادة والكلمة الأولى حيث تستمد قدسيّتها من سلالتها العائليّة، ولها الحق في استشارة زوجها في الأمور العائليّة أو التجاريّة وكافة شئون حياتها، فهي المتحكمّة في مكان إقامة المنزل وهي صانعة القرار في حياة القبيلة وفي حياة الأسرة^(١٩).

وفي إمكان الرجل عند الرشيدة أن يبدل زوجته بـزوجة رجل آخر في نفس القبيلة على أن يدفع الفارق من الإبل، وهذا النوع من الزواج يسمى زواج الشراء^(٢٠).

تعدد الزوجات والطلاق

أ - تعدد الزوجات

منذ أن عرف الإنسان الزواج نظاما اجتماعيا وقانونيا. تتمثل فيه بنية الجماعة وتتجلى فيه طبائعها وخصائصها - وهو يخضع في نشوئه لتقاليد وأعراف ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكها الاجتماعي والأخلاقي، أي بخصوصيتها الثقافية التي تسود فيها. وترتبط أنماط الزواج في مجتمع الدراسة - كغيره من المجتمعات المحليّة - بما يسود فيه من عقيدة وثقافة وأوضاع ونظم اجتماعية.

وتتعدد المرجعيات الثقافية التي تؤدي دورا مهماً في تبرير وجود الزواج التعددي بتعدد المجتمعات الإنسانية وتباينها، كذلك تختلف

الدوافع والأسباب المؤدية إليه والنتائج الناجمة عن وجوده، وكذلك تختلف درجة ومدى انتشار هذه الأنماط من مجتمع إلى آخر، والذي يتضمن زواج رجل واحد بأكثر من زوجة، حيث إنه النمط الأكثر شيوعاً في المجتمعات الإنسانية وخاصة مجتمع الدراسة.

وتعدد الزوجات سمة تميز المجتمعات القبليّة وخاصة المنطقة الجنوبيّة، حيث إن تعدد الزوجات يعتبر مكوناً من مكونات منظومة البناء الاجتماعي، الذي اعتادت عليه المرأة كوضع اجتماعي لا بد من الخضوع إليه والذي يعبر عن سمة رواسب قديمة تفرض الخضوع النسبي، بناء على رغبة أهالي المنطقة، وبناء على أعرافها، فالمرأة الشلاتينية لا تتمرد على هذا الوضع الاجتماعي باعتباره إلزاماً اجتماعياً، لذا فهو يمثل بالنسبة لها استجابة لاعتبارات قروية.

يتزوج الرجل في معظم الأحوال أكثر من امرأة، وفي حالة الزواج الثاني يترك البيت الأول، فإقامة مسكن جديد لا يشكل عبئاً مادياً كبيراً، وفي حالة الخلافات الزوجية يتولى التحكيم مجلس عائلي من أسرة الزوجين، فإذا تعقدت المشكلة يذهبون إلى شيوخ القبائل، وفي حالة اعتداء الزوج على زوجته بالضرب توقع عليه غرامة مالية، فإذا عجز عن الدفع يدفع عنه أفراد قبيلته^(٢١).

وقد ذكرت نادية بدوي أن من أسباب تعدد الزوجات لدى البشارية والعباددة:

١- عدم إيجاب الزوجة وهذا يعطى الزوج الحق في أن يتزوج من أخرى بشرط أن يبقى عليها.

٢- أن يتزوج الرجل نزولاً على رغبة قبيلته، فأحياناً تقرر القبيلة

زواج أحد الرجال، ويكون مقتدرا من الناحية المادية، من إحدى الأرامل أو الفتيات اللائى لم يتقدم أحد للزواج منهن بهدف إعالتهم وإعاشتهن.

٣- غالبا ما يتجنب الزوج زوجته «جنسيا» أثناء فترة حملها ووضعها ورضاعة طفلها فى سنواته الأولى مما يجعله يتزوج أكثر من امرأة»^(٢٢).

ففى مجتمع الشلاتين تعد الرغبة فى إنجاب أكبر عدد من الأطفال هى الاهتمام الأساسى لكل زوجين حيث تصبح ممارسة البوليجانية أمرا مقبولا اجتماعيا، وتصبح من الوسائل الأكيدة لإنجاز أهدافهم التى تتمثل فى بقاء واستمرار هذه الجماعات القبلية، فمبدأ تعدد الزوجات هو العنصر الثانى الذى يقوم عليه بناء العائلة فى الشلاتين.

وفى الواقع نجد أن أحد مبررات اللجوء إلى هذا النمط هو زيادة عدد أفراد الأسرة والعائلة الكبيرة الممتدة فى المجتمع القبلى القائم على العصبية ، كما أنه يرتبط بالتمايز والتفرد الاجتماعى فهو رمز للمكانة، يميز بين من يملكون ومن لا يملكون، أى أن ممارسة التعددية فى الزواج قد تعد رمزا لرجولته، يضاف إلى ذلك أن الثقافة المحلية تضع قيودا أمام خروج المرأة للعمل سواء داخل المجتمع أو خارجه، حيث إن التصور المثالى لعملها يكون فى رعايتها لمنزلها ولأسرتها.

وتشير هذه المعطيات إلى سقوط التفسير الاقتصادى أو الاتجاه النظرى الذى نشير إليه بأنه male- economic interest وعدم

صلاحيته لتبرير أو تفسير وجود هذا الزواج. إلا أن العوامل الاقتصادية قد تصلح للمساعدة فى تفسير تراجع معدلات حدوث هذا الزواج فى المجتمع.

وعند الزواج بأخرى يتم ترضية الزوجة الأولى ويطلقون عليها الرضوة، وذلك بإرسال الزوج الهدايا أو الشيلة من الأتواب والروائح والسلع التموينية إلى الزوجة الأولى فهذه الهدايا مماثلة لهدايا الزوجة الثانية، وتعتبر هذه الهدايا عبارة عن رضوة للزوجة الأولى، وكأنها تبيع موافقتها على زواجه مرة ثانية، وفى الوقت ذاته نجد فى الرضوة تعبيرا عن قوة المرأة التى تصبغ هذه القوة بالبيئة الطبيعية التى نشأت بها، فاتسمت المرأة بالصبر والتحمل والمرونة فى الوقت ذاته، فالزواج من أخرى لا يعنى نوعا من أنواع الظلم، إلا أنه وضع اجتماعى ارتضته المرأة وأصبحت عضوا مشاركا يتفاعل فى منظومة الزواج الثانية، فهى المرأة الزوجة الأولى، وتشارك فى احتفالية الزواج، بلا ضيق أو ضجر، وقد تتعاون مع النساء فى تقديم الولائم، وفى كافة أنواع الفنون التى تقدم أثناء ممارسة احتفالية الزواج، ولا تستطيع أن تطلب المرأة الطلاق، بل تعيش فى كنف زوجها مع الزوجة الثانية لرعاية أطفالها، وقد يجلسان معا فى نمط إقامة واحد، وأحيانا يبني لها الزوج بيتا خشبيا قريبا من زوجته الأولى، إذا كان ميسور الحال.

وتشير إحدى الدراسات إلى توظيف الدين والموروث الثقافى والخبرة الحياتية فى تبرير تعدد الزوجات كحل للهروب من المشاكل الزوجية فيقوم الزوج بتصيد الأخطاء لزوجته واختلاق المشكلات

لخلق مبررات للزواج من أخرى^(٢٣).

ب- الطلاق

فى مجتمع الشلاتين نجد أن حالات الطلاق قليلة نسبيا مقارنة بالمجتمعات الحضرية والبدوية الأخرى، ونظرا لأن مجتمع الدراسة مجتمع صحراوى حدودى فإن عزلة هذا المجتمع فرضت عليه التمسك بالأعراف والتقاليد والتي تجعل من الرجل ملزما برضاء زوجته وعدم إهماله لها ورعايتها، خوفا من معارضة أبناء قبيلته، ولذا كان حدوث الطلاق أمرا نادرا، وتذكر نادية بدوى أن المرأة لا تطلب الطلاق نظرا للقناعة الشديدة التي تتسم بها المرأة العبادية^(٢٤).

وبالتالى يمثل الطلاق أحد الاختلالات الوظيفية بين الأقارب أو فى حال الزيجاب الإندوجامية يحول مشاعر الود، وكذا العلاقات الطيبة إلى مشاعر عدائية وكراهية أكثر مما هو الحال فى الزيجات الاغترابية، ويبدو ذلك الأمر غير متطابق مع ما تكشفه الدراسة الميدانية لمجتمع الشلاتين، فوجود مثل هذه المشاعر العدائية والكراهية قد تسهم فى تباعد وتفكك العائلات فى المجتمع، إلا أن مجتمع الشلاتين يسعى سريعا لاحتواء تلك المشاعر والتعامل معها، بحيث لا يبقى منها ما يؤثر على تماسكه، وتتمثل آليات إقصاء أو احتواء وجود مثل تلك المشاعر فى أن المجتمع يسعى أعضاؤه سعيًا دعويا لتلافي حدوث الطلاق ما أمكن، وتستمر محاولات الإصلاح بين الزوجين أو العائلتين ما كان هناك سبيل لذلك، الأمر الذى يجعل وقوع الطلاق - إن تم - يكون بعد مفاوضات وتراض من قبل طرفى الزواج، فلا يخلف ورائه أى أثر لمشاعر عدائية أو كراهية، ومما

يخفف من وطأة حدوث الطلاق على نفس المتصاهرين هو رفض المجتمع ذاته فكرة الطلاق.

كذلك فإن الطلاق ليس بالأمر اليسير فى المجتمع، ذلك أنه يقوم بالأساس فى بنائه العائلى على نمط الزواج الداخلى وبين الأقارب العاصبين، فحدوث الطلاق قد يؤدى إلى إحداث تشقق فى البناء المتماسك للمجتمع.

لذا فإن الحاجة تدعو إلى تبني تدابير اجتماعية تسمح لأفراد المجتمع بالعيش متعاونين ولتستمر حياتهم الاجتماعية بصورة منتظمة ومنسقة، من هذه التدابير نظام تعدد الزوجات الذى يتيح للرجل أن يحتفظ بزوجه الأولى، ويجمع معها من يشعر أنها تتوافق معه أكثر.

كما تذكر إحدى النساء المسنات أن هناك قصة تدل على أن هذه القبائل لا تبيح الطلاق، وعلى ذلك لا يرفضون زواج الرجل لأكثر من امرأة، فإن هذا المجتمع يبيح تعدد الزوجات، أراد الأب أن يعظ ابنته التي كانت تريد الطلاق من زوجها عندما ذهبت إلى أبيها تريد الطلاق من زوجها ، فما كان من الأب إلا أنه قام وتوضاً ثم صلى ثم قام بكسر الإبريق الذى يغتسل به فأخذ يبكى بكاء شديداً، فقالت له ابنته لماذا تبكى يا أبى كل هذا البكاء على الإبريق؟ فقال لها لأن هذا الإبريق شاهد عوراتى عند الاغتسال والتوضاً منذ زمن بعيد، فأدركت الزوجة أن الأب يريد أن يلقتها دراسا أنها لا تستطيع أن تتزوج من آخر بعد أن أصبحت زوجة لزوجها الأول وأصبحت له كل شئ وبعد حياة كاملة.

إلا أنه فى حقيقة الأمر يرجع تحفظ مجتمع الشلاتين تجاه ظاهرة الطلاق إلى مجموعة من الأسباب ، وأهمها العلاقة القوية المترابطة التى يتسم بها نظام الزواج الذى يتسم بالزواج الداخلى من داخل العائلة القرابية، مما يبعث طابع الترابط والتكامل السائد فى المجتمع ، فالرجل هو الذى يتخذ الخطوة لإعلانه لحالة الطلاق، أما المرأة فلا يمكن أن تطلب الطلاق خشية أن تقع فريسة للتوبيخ من أعضاء العائلة القرابية، وخوفا من شك زوجها لاقترافها ذنب الخيانة، وقد اهتمت زينب جلال فى دراسة لها بالتركيز على الطلاق فى المجتمع النبوى تبينت فى دراستها أن النوبيين يتحاشون الطلاق خشية حدوث تصدع وخلافات داخل العائلة الواحدة، وأغلب الزيجات تتم بين أفراد العائلة وخاصة بين أبناء العمومة والخنولة مما جعلهم يحاولون حل مشاكلهم فيما بينهم وتجنب الطلاق ، إلا فى الحالات المستعصية كالعقم والمرض^(٢٥).

والملاحظ كذلك تدنى معدلات الطلاق فى المجتمع إلى قيم ضئيلة للغاية، ومرد ذلك بالأساس هو زيادة التماسك والترابط بين أعضاء الجماعة القرابية، سواء على مستوى البدنة أو العائلة الممتدة، فالمجتمع يعطى الجماعة القرابية كل الأهمية والاعتبار، بينما ينزل الأفراد الذين يؤلفون هذه الجماعات منزلة ثانوية بحتة، أو بقول أدق تميل شخصية الفرد إلى أن تذوب وتختفى فى الجماعة القرابية التى يستمد منها كل كيانه ومقوماته ومكانته الاجتماعية، أى أن المجتمع يميل إلى إنكار قيمة الفرد كفرد فى سبيل إعلاء قيمة الجماعة القرابية^(٢٦) مما يحدو بأعضاء هذه الجماعة إلى الضغط بكل ما

استطاعوا من قوة على الزوجين وأسرتهما من أجل تجنب الطلاق، كما أن المجتمع يغرس فى أفراد النزعة الغيرية، بحيث يؤثرن وحدة الجماعة وترابطها على مصالحهم الفردية، ويمارس ذلك الضغط بصورة أكبر، وتبرز هذه النزعة الغيرية أكثر لدى النساء حيث يخضعن لهذه الضغوط ويستجبن لهذه النزعة للحفاظ على تماسك وبقاء الرابطة الزوجية، وبالتالي تماسك وقوة الجماعة القرابية.

والطلاق يعنى لدى أبناء قبيلتي الدراسة استحالة الحياة لكل منهما مع الآخر، لأسباب فى نفس كل منهما، إلا أنها لا ترجع إلى العقم مثلا حيث إن هذا المجتمع سمح بتعددية الزواج، فالعقم سبب للزواج الثانى، وليس من أسباب الطلاق ، ونادرا ما يرجع إلى اكتشاف الرجل الخيانة الزوجية فى منطقة الدراسة فالخيانة الزوجية صعب اكتشافها أو التحدث عنها فى مجتمع تحكمه التقاليد والأعراف ، لذلك لابد للزوج أن يتحقق من الخيانة، ، بدليل أو إثبات عن طريق الخبراء أو أدلاء الطريق أو التتبع الأثرى، وفى هذه الحالة يتم الطلاق ويطلب الزوج أولا كتاب الله فى المجلس العرفى، ويحضر الرجل الذى يشك فيه ويحلف أمام الناس، ومعه كتاب الله، أنه لم يقترب هذا الذنب مع زوجته، ويحلف ثلاث مرات، فإذا لم يحلف فالزوج له الحق فى ضربه حتى الموت أو تطليق زوجته، ولو كان الاتهام دون دليل ثابت، فيذكر خيرى عبد الحافظ أنه لابد أن تجرى مفاوضات بين أهل الزوج وأهل الزوجة يتم فى نهايتها تطليق الزوجة مع احتفاظها بأمتعتها وقيامها^(٢٧).

وتذكر إحدى النساء^(٢٨) أن أسباب الطلاق قد ترجع إلى أن الزوجة كثيرة المشاحنات مع زوجها، وكثيرة الشكوى منه، وهنا يستحيل الحياة معه، فيذهب الزوج لوالدها ليشتكى إليه منها، وإذا تعددت مرات الشكوى ولم يستطع والدها أن يكف عن مشاقتها له فيقبل والدها حديث زوجها عن الطلاق، فالزوج يؤمن بأن الزوجة أمانة ترد إلى أهلها إذا لم تحسن معاملة زوجها^(٢٩) ويعقد مجلس عرفى لطلاقها، ويتم ذلك بناء على قرار من الزوج، بعد عرض المشكلة فى نطاق محدود يحضره كبار السن من أصحاب الحكمة والرأى، ويندر أن تصل هذه الخلافات إلى السلطة القضائية، حتى بعد زيادة الوعي المرتبط بانتشار التعليم ووسائل الاتصال الحديثة فى مجتمع الدراسة، وفى حالة الطلاق يدفع الزوج تعويضا ويترك المنزل ، ويكون على أهل الزوجة الاتفاق عليها وتبقى الفتيات فى حضانة الأم حتى سن الزواج، أما الأولاد فيذهبون مع أبيهم من سن سبع سنوات^(٣٠).

وتذكر إحدى الإخباريات^(٣١) أنه فى حالة الطلاق، فللزوجة مهرها من المال والهدايا والنياق، بمعنى أنه لها نصف الثروة حتى إذا كانت الناقة أنجبت جملا صغيرا للزوج الحق فى بيعه للمناصفة بينهما، فلا يأخذ الذهب، وإلا يمثل ذلك عارا وعيبا يلصق بالرجل على أنه بعد الطلاق يأخذ ذهب زوجته ، فهذا فعل فاحش لديه، ويطلقون على هذا الرجل عبارة «طلق زوجته وأخذ ذهبها» لذا لا يستطيع القيام بمثل هذا الفعل، وفى حالة الطلاق على الزوج الرحيل عن بيت الزوجية، ويأخذ سيفه والدرقة وأسلحته الخاصة به، وملابسه ويرحل،

ويترك مسكنه، فهو من حقها حتى إذا كانت لم تنجب، وإذا كانت قد أنجبت أطفالا فيبنى لها بيتا بالقرب من أهلها ليتولى أهلها رعايتها ورعاية أبنائها وفى حالة الطلاق يترك الرفض - للحياة الزوجية - للطرف الآخر كل شىء من مسكن وإبل وماعز، وفى الغالب يقتسم الطرفان ممتلكاتهما حتى يستطيع كل منهما أن يبدأ حياة جديدة^(٣٢) .

الهوامش

- (١) نادية بدوى، الفن عند البجا، دراسة فى الأنثروبولوجيا الجمالية، مرجع سبق ذكره، ١٩٩٢، ص ١٦٦.
- (٢) انظر إخبارية رقم (٢٧).
- (٣) انظر إخبارى رقم (٣٥).
- (٤) هو عبارة عن مجموعة من شرائط السعف الملونة بالأبيض والأسود والبنى ويسندهم عمود من الخشب يربط لأعلى بخيوط الصوف الغنم السوداء ويضاف إليها ريش النعام، والودع والخرز، ويلقون عليها دماء الذبائح التى تنحر وبعد غروب الشمس تذهب به فى زفة من النساء والأطفال مهللين بالدعاء للعروسين حيث يضع على العمود القائم وسط بيت البرش أو على مقدمة باب بيت البرش.
- (٥) نادية بدوى، الفن عند البجا، دراسة فى الأنثروبولوجيا الجمالية، نفس المرجع السابق، ص ١٠٨.
- (٦) انظر إخبارى رقم (١٦)، (٢٢).
- (٧) محمد عوض محمد، السودان الشمالى سكانه وقبائله، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥١، ص ٤٦.
- (٨) انظر إخبارى رقم (٥).
- (٩) انظر إخبارى رقم (١٤).
- (١٠) انظر إخبارية رقم (٢٨)، (٣٠).
- (١١) تبدأ جلسة القهوة بتحميم البن على الموقد المكون من فروع الأشجار، ثم صحنه وخلطه بالزنجبيل ويتم وضعه فى إناء صغير من الفخار خاص به، وتغطى فوهته بقطعة من ليف النخيل، ثم تصب الجبنة فى فناجين صغيرة بدون يد، ويعد هذا المشروب هو المشروب الرئيس السائد فى كل مناشط حياتهم اليومية وجلسات السمر والاجتماعات والمناسبات المختلطة، لذا نجد

أن لشرب الجبنة أداباً خاصة «فشرب الجبنة لثلاثة أفراد، وإذا جاء ضيف يقوم بإعدادها بنفسه حيث يتم تناولها بأعداد زوجية من الفناجين فى الجلسة الواحدة.

(Knut Krzwinski, Richard Holton Pierce Deserting the Desert a threatened cultural landscape between the Nile and the sea, University of Bergen, Department of Botany and Department of Greek, Latin and Egyptology 2001. P.III.

(١٣) تذكر إخبارية رقم (٣٠) أن من أعرافهم ألا تستحم المرأة بعد الجماع وإلا تعرضت لمجلس عرعى، اعتقاداً منهم أنها بذلك تبعد عن أذى الأرواح الشريرة.

(١٤) نادية بدوى: الزينة الشخصية عند العبادة وأثر التطور الحضارى عليها، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٦.

(١٥) انظر إخبارية رقم (٢٧).

(١٦) سوزان السعيد، الحياة الشعبية فى جنوب البحر الأحمر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥.

(١٧) انظر إخبارية رقم (٣٠).

(١٨) انظر إخبارية رقم (٣٨).

(١٩) انظر إخبارية رقم (١٩).

(٢٠) انظر إخبارية رقم (٣٩).

(٢١) سوزان السعيد، الحياة الشعبية فى جنوب البحر الأحمر، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥.

(٢٢) نادية بدوى، الزينة الشخصية عند العبادة مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢٣) علياء شكرى، قضايا المرأة بين التراث والواقع، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

(٢٤) نادية بدوى، الزينة الشخصية عند العبادة وأثر التطور الحضارى عليها، نفس المرجع السابق، ص ١١١.

(٢٥) زينب جلال حسن على، التغير الحضارى فى المجتمع النوبى الجديد بخشم القرية، مرجع سابق، ص ٩٢.

- (٢٦) أبو زيد، الثَّار، مرجع سبق ذكره، ص ٤٨.
- (٢٧) خيرى عبد الحافظ التنشئة الاجتماعية والتعليم عند قبائل البجا فى السودان، دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، إشراف عبد الفتاح أحمد جلال وتوفيق الحسينى، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٢٤٧ ، أطروحة (دكتوراه) جامعة القاهرة، معهد الدراسات الأفريقية، شعبة الأنثروبولوجيا.
- (٢٨) انظر إخبارى رقم (١٦).
- (٢٩) إخبارية رقم (٢٠).
- (٣٠) سوزان السعيد، الحياة الشعبية فى جنوب البحر الأحمر، مرجع سابق، ص ٤٦.
- (٣١) انظر إخبارى رقم (١٤).
- (٣٢) نادية بدوى، الزينة الشخصية عند العبادة وأثر التطور الحضارى عليها، مرجع سابق، ص ١١١.

الفصل الرابع

الآلات الشعبية المستخدمة فى احتفالية الزواج

أولاً: الآلات الوترية وآلات النفخ الخاصة بمنطقة المثلث

١- آلة الباسنكوب

تتكون آلة الباسنكوب من صندوق دائري الشكل مجوف من الخشب مغطى بطبقة جلدية بها خمسة ثقوب ومثبت بالصندوق مثلث قاعدته من أعلى، وقاعدة المثلث بها خمسة مفاتيح مشدود بها الأوتار المصنوعة من أمعاء الحيوانات أو شعر الخيول وطرفها الآخر مثبت على جسم الصندوق بقطعة خشبية، وهى الآلة الوترية الوحيدة لدى قبيلة البجا. وتعتبر آلة الباسنكوب لغة حوار، ويؤدى الرجال الرقص بمصاحبتها ، وهى تستخدم كوظيفة للتفاهم ووضوح المعنى أيا كان هذا المعنى ، فقد تدل نغماته حيث يعزف عليها عندما يطلب المساعدة والنجدة حينما يجوب الصحراء ، فنغماتها تفهم فيما بينهم. والمرأة لا تعزف على هذه الآلة بل يختص بها الرجال، وذلك

اعتقاداً منهم بأن المرأة لا تنال شرف هذه الدرجة الرفيعة أثناء العزف حيث يمكن إدخال كل من يعزف عليها بالكائنات فوق الطبيعية، اعتقاداً منهم أن المرأة كائن غير طاهر فيستحيل اتصالها بالأرواح الطيبة ، ويكره البجا عزف الباسنكوب وقت شروق الشمس وذلك لاعتقادهم أن الجن ينتشر في الأرض في ذلك الوقت فيلحق الأذى بهم،

وقديماً كان استخدام الباسنكوب في احتفالية الزواج وحده يكفي للغناء عليه والاستغناء عن النقر ، والتوقيع بالتصفيق بالأيدي ، والإيقاع بالأرجل مع نغمة الباسنكوب والأداء فردي أو جماعي، ومع التحديث بدأ البشاريون يستخدمون الطبله والكبور في العرس، وقديماً كانوا يرقصون في جماعات على شكل دائرة كبيرة وكانوا يعزفون على الطبله عزفاً تلقائياً، ويتم الرقص على إيقاعات بدائية منتظمة، يرددون أغاني الأفراح الخاصة بهم ويرقصون في جماعات خاصة وفي مكان آخر ، إلا أنه في رقصاتهم تعبيراً عن قوتهم البدنية، يتسامر الأولاد والشباب والرجال .. ماعدا النساء لهن أماكن خاصة بهن ويلعبن ألعاباً شعبية خاصة بهن أما الرجال فيتسامرون في الصحراء الواسعة وجانب بيوت البرش وفي حالات السكن في بيوت خشبية ، تتسامر النساء ويرقصن في فنائها الداخلي ، أما الرجال فيكونون بالخارج، فهذه الآلات مازالت حتى الآن معهم في السفر والإقامة كما ترقصن بإيقاعات النقر والتوقيع فرحاً بالعروسين^(١).

وهذه الأغنية تقوم النساء بغنائها

الليلة فرح ماتناموش عايشين في الجبال مع الخضار الطبيعي
غنوا الليل كله وآخرو النوم وين الجمال
ليلة فولان ليلة حلوة السفر كان بجمالنا والرحيل داعزنا
فيها دبايح حلوة وين الجمال
بيشكروا العريس الجمال كان لبناتنا والرقيص للجمال
وأهل العروسه أحسن ناس وين الجمال
والعريس من أحسن عيلة الجمال كان لبناتنا والرقيص الجمال
وين الغزال
عايشين في الجبال مع الخضار الطبيعي^(٢)
ويعتبر قبيلة البشارية والعبادة الباسنكوب أهم آلة لديهم، حيث يسهل حملها أثناء الاحتفال بعادات الزواج بداخل المسكن وخارجه، حيث يتم العزف عليها عند ممارسة رقصة التبله (الرقص بالسيف والدرقة).

٢- آلة الأمبيلهويت

وهي آلة نفخ موسيقية موجودة في منطقة الشلاتين وتستخدم مع أهالي العريس في احتفالية الزواج، وهي آلة روحية مسلية يتنفس الإنسان عليها وتطيب روحه معها وتصدر الآلة أصواتاً شجية في ليالٍ قمرية وفي جلسات الونسه التي يسلمون أنفسهم بها . وعند سماع الآلة يسود الصمت والهدوء والسكينة للإنصات إليها، حيث يجتمع عائلتا العروسين والمدعوون في العرس لسماعها، ويستطيع العازف استخدامها في تجميع حيواناته في المرعى حوله بحيث لا تبتعد عنه وتقترب منه، في سير القوافل يعزف عازف في أول القافلة

فتسير وراءه، وتنبع أهمية استخدام الآلة كموروث من قديم الأزل وكثرة استخدامها فى المراعى من الرعاة فهى وسيلة اتصال أساسية فى الصحراء للجمال الضالة والماعز والأغنام المفقودة، وهى تؤدى دورا فى الحياة اليومية للبدوى وفى طرائق معيشتة.

والأمبيلهويت آلة النفخ الوحيدة فى المنطقة وتصنع من ماسورة نحاس أو حديد أو ألومنيوم ويفضلون النحاس على ما عداه، ويثقب العازف ثقبين على سطح الماسورة وثقباً ثالثاً فى نهايتها وحلية من جلد العنز العجوز أو الضأن ، ويعزف عليها بوضع أصابع يده اليمنى على فتحتى سطح الآلة واليد اليسرى فى فتحة النهاية، ويضفى العازف على الآلة ألوانا وأشكالا معينة كشكل جمل منحوت على سطحها أو كف يد أو شكل مربع مرسوم على الآلة أو دائرة لتضيف شكلا جماليا عليها ومنعا للحسد أيضا، ونادرا ما تلعب النساء على الآلة ، ولكن الصبية يتعلمون من الكبار، ويدل هذا على استمرار الآلة فى هذه المنطقة إن لم تطغ عليها آلات حديثة مع دخول المدنية إليها.

ويستخدم البدوى فى احتفالية الزواج الأصوات البشرية الصادرة من الحنجرة لتقليد الحيوانات والطيور، للترويح عن النفس ، وتقضية وقت فراغه الممتد كالصحراء الشاسعة، والغناء على آلة الباسنكوب التى تصاحب هذه الآلة والتصفيق بالأيدي والإيقاع الشديد بالأرجل الذى يبرز ملامح الرجولة والشهامة والفروسية لمجابهة مخاطر الصحراء والتصفير باللسان، بالإضافة إلى هذه الممارسات الخاصة للأطفال واستخدام صفائح وأخشاب للدق عليها

للسمر واللعب والغناء أثناء الممارسات واحتفال الزواج، ولكن تظل آلة الأمبيلهويت الآلة المميزة الفريدة فى منطقة الدراسة التى تتوحد فيها ومعها قلوب أهالى الجبل فيصمتون عند عزفها وتستطيب قلوبهم فى إحداث نغماتها وتطيب روحهم معها للتوحد مع منظومة العزف المنفرد فى منطقة متفردة ومميزة.وعلى الرغم من تشابهها مع آلتى المزمار والنأى فى الأقصر إلا أنها تعتبر امتدادا طبيعيا لمنطقة المثلث، فهناك تشابه بين الآلات التى تستخدم فى السمر كالتصفيق بالأيدي والأرجل، ومع تقاليد أهالى الأقصر بأهالى منطقة المثلث فى جلسات الونسة أو بعد الخلود إلى الراحة من عناء العمل الشاق، وتعتبر آلة الأمبيلهويت وسيلة اتصال ليلى لقوافل الإبل المسافرة، ويستخدم البدوى العزف عليها وسيلة لطرد الشياطين، ولذلك يحاول البدوى الحفاظ عليها بدهانها بدهن الماعز منعا للصدأ.

ثانيا: آلات النقر والتوقيع

تستخدم قبيلتا الدراسة ما تجود به البيئة من معطيات لتخلق أدوات مادية لتعبر عن ثقافتها ، وفى احتفالية الزواج تستخدم آلات النقر والتوقيع فى منطقة الشلاتين فهى فى معظمها آلات موسيقية شعبية إيقاعية، يستخدمها الرعاة فى وديان المراعى وحول آبار المياه وجلسات الونسة أثناء ممارسات الزواج وعمل الكرامات، وبعد الامتداد العمرانى والتحديث أصبحت تستخدم فى داخل مدن المثلث مثل مدينة الشلاتين وقرية أبو رماد ومدينة حلايب وهى كالآتى: ١- النقارة ٢- الكبور - ٣- الطبله وأقدم هذه الآلات «النقارة»وليس لها اسم محلى غير هذا الاسم،

وهى تستخدم للإخبار عن نشوب حرب بين قبيلة وأخرى ويدور عليها عازف محترف بالعصوين (مخبطتان أو ضرابتان) لتكون صفارة إنذار لتحسيس القبيلة على الحرب ضد قبيلة أخرى، فيشد الرجال وسائل الدفاع عن النفس كالسيوف والخناجر والدرق والعصا، لصد الهجوم ، كما كان يحدث فى الماضى بين قبائل البقارة والعبادة.. كما تستخدم كذلك فى وقت السلم للإخبار عن مجلس عرفى يعقد لفض المنازعات حول مسألة من المسائل المتعلقة بحدود المراعى أو الآبار أو فض منازعة بين قبيلة وأخرى، وكذلك تستخدم عند إعلان أهل المنطقة بعقد نكاح وتوقيت احتفالية الزواج، وآلة النقارة يستخدمها الرجال دون النساء وهى على شكل أسطوانى وآلة النقارة آخذة الآن طريق الانقراض نتيجة التحديث والتعديل والتطوير الذى أصاب المنطقة دون حفظ هذه الآلات فى متاحف تقام فى المنطقة على غرار المتحف السيناوى فى شمال سيناء، ومتحف الوادى الجديد.

أما «الكبور» فهى آلة تستخدمها النساء أكثر من الرجال، والشباب فى الحفلات والأفراح يسمى الكبور عند البشارية ، ويطلقون عليه بلغة الرطانة (كبور) ويصنع من النحاس عند العبادة، وعند البشارية من الجلد وهو نصف كروى، ويصنع جسم الكبور من الخشب المسمى بالهجليج ومقفول من أسفل ويحزمون سطح الكبور بتسعة أحزمة، والبعض لا يحدث به ثقوباً ، ويستخدم فى الأفراح والأعياد والكرامات والحفلات وجلسات الونسة فى الصحراء حيث يعيش البدوى وفى المدن حيث يقطن، ويبيت الكبور صوتاً عالياً.

أما بالنسبة للطبلة وهى آلة من الآلات الموسيقية الشعبية الإيقاعية فى منطقة المثلث، وهى تستخدم فى شكل أحدث فى الحفلات والفرق الموسيقية الحديثة، ومع فرقة الفنون الشعبية بمثلث حلايب، وفى الأفراح وتصنع من الضأن والجلد وتشترى من الأرياف (المدن) المجاورة كقنا وأسوان، ويستخدمها الرجال والنساء فى احتفالية الزواج.

وهذه الآلات المستخدمة فى احتفالية الزواج لا تصنع فى ورش خاصة أو محلات لتصنيع هذه الآلات الموسيقية الإيقاعية حيث كانت قديماً تصنع فى أى مكان يرتحل البدوى فيه حيث الخلود إلى راحة بعد رحلة الشقاء فى البادية.

وهو لا يستعين بصبى دائماً وإنما يستعين بولده ليصبح صنع الآلة وراثياً فى عائلته ويستخدم خامات البيئة المحلية فى صنعها كجلد الجمال والأغنام والماعز وأحياناً الأبقار (حيث يجلب جلود الأبقار من جنوب السودان) ويستخدم الخشب الهجليج لصنع الكبور أو خشب السيلال من أشجار السنط، إما لصنع جسم آلة الطبلة أو الكبور، أما جسم الآلة من الداخل فهى أخشاب تحفر من الداخل لتكون جسم الآلات الشعبية الإيقاعية. ويستخدم نوع من أحجار يجلب من جبل علبة لتكوين جسم الآلة.

وتتعدد المقاسات والأحجام تبعاً للفئات العمرية من حيث النوع والحاجة إلى الآلة فى الاستخدام أثناء الاحتفال بالزواج فالأطفال: يحتاجون إلى كبور صغير للنقر عليه، وطبلة صغيرة بدلاً من الجركن البلاستيك أو الصفائح الصغيرة أو الكبيرة من معلبات المواد الغذائية

، أما الشباب : يحتاج الشباب إلى حجم أكبر من الأطفال ، وخاصة الفتيات بالنسبة للكبور والطبلة، والرجال: يحتاجون إلى الآلات الموسيقية الإيقاعية من الحجم الكبير، لذا يستخدم الرجال النقارة والكبور للسيدات والطبلة قاسم مشترك للاستعمال بين الرجال والنساء.

ويحفظ البدوى الآلة الموسيقية على الأشجار أو فى جراب من الجلد أو البلاستيك أو فى بيوت البرش أثناء رحلة الرعى وفى ترحاله يحملها معه إلى حيث الاستقرار النسبى^(٣).

الدلوكة الكبيرة: آلة موسيقية يعزف عليها أثناء الغناء فى العرس وتصنع من جلد الغنم عن طريق حفر حفرة فى الرمل يوضع بها ماء، ويوضع الجلد فى الماء ثم تغطى بالرمل ويضاف الماء ثلاث مرات وتترك لمدة يوم كامل - ثم ينزع الشعر بالموس أو السكينة ويشد على حديدة والجلد لين، وتوضع عليه حنة معجونة سائلة لكى يتكون اللون البنى وتوضع فى الشمس حتى تجف ويتم ربط أطراف الجلد من خلف الآلة، وتقوم النساء بصنعها وأحيانا الرجال. والأغنية الأولى شيبوهاوت أغنية تقدم فى الليلة الثالثة للعرس بمصاحبة الدلوكة وهى كالتالى:

شيبوهاوت يا عريس ربنا يمسك بالخير

دوبا سيبوها ويدا الله فرح

هاريت وليت يا بيت يارب تكون بخير يا عريس

شيبوهاوت دوبا شيبوهاوت أودوب كلنا ندعو للعريس بطول العمر

هاويدا توهويدتيت أودوب وتصبح وتتمسى معنا

أودوب تودوا باتوك عروستك فى أخلاق السيدة فاطمة
فاطناب أونبيت أوتوك حافظ عليها
تهوك، أودبى شيبوهاوت
واهانات جومات عومرات تعيش وتأخذ غيرها يا عريس
جودايأى هامات هدرات وتجرب الدنيا بطوها ومرها
أودبى شيبوهاوت ويطول عمرك يا عريس وياعروس
أنى ادهر وكوب ويارب دعاؤنا يتوافق مع دعاء الأنبياء
نابية ما إند هيرهيب لكما

وتعزف هذه الأغنية مع إيقاعات الكبور فهى بمثابة أغنية شكر للعروسين ونجد أنها أحيانا تقال فى مناسبة بناء بيت العروس أو فى ليلة الحنة^(٤).

الدلوكة الصغيرة: يجهز الجلد بنفس طريقة تجهيز الدلوكة الكبيرة ، ولكنه يشد على صاج، ويتم تثبيته عن طريق خيوط رقيقة من الجلد فى الثقوب الموجودة على الصاج.

هذه الأدوات الموسيقية تتشابه فى شكلها ووظيفتها بأشكال الآلات الموسيقية فى المجتمع السودانى - وخاصة شمال السودان - لوجود علاقات القرابة والجوار بين قبائل الشلاتين وبشارية السودان، فالتشابه البيئى بين فروع قبائل البجا يجعل هناك تشابها فى بعض عناصر الثقافة المادية.

لذا فقد تتشابه (الطبلة) كأداة موسيقية للمجتمع السودانى مع الدلوكة ، وعلى ذلك فإن الطبلة يقابلها عند أهل الشلاتين الكبور فهى تقوم بنفس الوظيفة، فأصوات الطبول تدق بداخل حلقة الرقص

الخاصة بالرجال، ونجدها تعلو صوت الطبول لتتناغم مع الغناء لتساند الضربات العنيفة للأرجل عند رقص الرجال، فهي لا تتناقض مع الحركات الإبداعية التي تتمثل في حركته وقدرته على توظيف كل جسمه توظيفا يكسب للرجل مكانته في مجتمعه وبين أبناء قبيلته من البشارية والعبادة.

الهوامش

- (١) إخباري رقم (٧).
- (٢) إخبارية رقم (٢٥).
- (٣) انظر إخباري رقم (٣٣).
- (٤) انظر إخبارية رقم (٣٠).

الفصل الخامس

الرقص الشعبي فى احتفالية الزواج

263

262

الرقص يستخدم كوسيلة للتسلية والمرح فى احتفالية الزواج، وهو تعبير لدى البشارية والعبادة يستمد أهميته من عدة وظائف فى الحياة الاجتماعية الخاصة بمنطقة الشلاتين مع مرور الزمن، ولذلك نجد الصغار يحاكون الكبار حتى شاع بينهم وتناقلته الأجيال المتعاقبة مكونة جزءا من ثقافتهم ، ومن هنا ندرك قيمة الرقص كقيمة اجتماعية ترافق احتفالية الزواج، فالرقص يعتبر لهذه الجماعة جزءا لا يتجزأ من كيانهم الاجتماعى كتعبير عن أفراحهم فتصدر أصواتهم المنغومة وحركاتهم بين الجبال شوقا للرقص. فالرقص الشعبى له أبعاده الخاصة التى تتأثر بمورفولوجية المكان والبعد الخاص بالشكل الخارجى للرقص الشعبى والبعد الوظيفى الذى تلعبه الرقصة الشعبية فى بيئتها وسط ممارستها، وهناك بعد خاص

للتدخلات العرقية والبشرية التي تأثرت بها الجماعة البشرية سواء عن طريق التجارة أو الهجرة أو التجاور^(١).

ومن هنا يمكن إدراك أن الحقيقة التي تربط بين الرقص والمكان أو البيئة لها دورها المهم الذى لا بد من إيضاحه حيث إن الإنسان يعتبر جزءاً من المكان.

وهناك العديد من أنواع الرقص بمنطقة الشلاتين فى احتفالية الزواج والتي تدخل ضمن حياتهم الثقافية والاجتماعية، حيث يمثل التسلية والترفيه عن النفس فى جلسات الونسنة وأثناء العمل بالرعى، ويمثل لديهم وظيفة اجتماعية، حيث يمارس أثناء المناسبات الاجتماعية خاصة الزواج ويوم سبوع العروس، ويوم كرامة (الأربعين) أى بعد انقضاء أربعين يوماً على احتفالية الزواج، والرقص هو العنصر الحيوى فى احتفالية الزواج فمزاوله الرقص فى حد ذاته تعبير عن المشاعر والآمال والطقوس لهذه الاحتفالية. وعلى الرغم من أن الرقص ماهو إلا تجميع لخطوط وأنماط حركية تؤدى فى زمن معين، وفى مساحة معينة كما أنه تشكيل رمزى لهذه الجماعة وفقاً لطرزه وطبيعته العامة النابعة من البيئة^(٢).

وقد احتفظت الرقصات الخاصة بمنطقة الشلاتين بخصوصيتها ولم تخضع لعناصر التغيير أو التحديث إلا قليلاً وظلت تحتفظ بفرديتها وتميزها حتى الآن. فيدفع البدوى بقدميه على الأرض دفعة قوية فى كل خطوة بسبب طبيعة الأرض الرملية لذا يحتاج إلى مجهود هائل فى حركته، وبذلك يدرك أن الحركة القوية العنيفة ذات الضربة القوية فى الرمال هى نتيجة لطبيعة المكان، كما أن الرقص

مؤشر للقومية وإعزاز للتراث والمجتمع المحلى والمجتمع الأم، وتؤكد أن قومية الرقص الخاص بمنطقة الشلاتين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع التاريخي وأصوله القبلية، كما يعبر عن التراث الثقافي والتاريخي، فاستخدام السيف والكرباج فى الرقص يعبر عن القوة والشجاعة والجرأة والإقدام والمغامرة والصبر والإصرار التى لا بد منها فى البيئة الصحراوية القاسية، والتى تعبر عن سمات الشخصية الإقليمية لمجتمع الصحراء، وبالإضافة لما سبق نجد أن محتويات الثقافة المادية من أزياء وملابس ومقتنيات مادية فى الشكل واللون والحاجة نتلمس لها مدلولها الجمالى النفعى والوظيفى لما لها من تأثير إلى جانب الأداء والحركة من حيث شكل الرقصات والتى تستطيع التعرف على ملامح البيئة وطبيعة المكان وجغرافيته.

فتؤدى الرقصات غالباً بجميع أجزاء الجسم حيث تعتمد على حركات القفز والوثب والحجل، وذلك بتبديل القدمين للأمام والخلف على الجانبين مع ثنى الجذع أماماً وخلفاً مع التصفيق، والاشتباكات هى التى تشكل بناء المكون للرقص والتى تحدد حقيقة وواقع العلاقة بين قبيلتين والتى دائماً تعلن عن العداء بين الفردين المكونين للرقصة من قبيلتين مختلفتين، سواء أكان ذلك حديثاً، والذى يعنى بذلك قبيلتى البشارية والعبادة، وقبيلة الرشيدة الذين يحملون لها كل مشاعر العداء والكراهية، فكان قديماً أثناء احتفالاتهم فى انتصارات الحروب فهو إما أن يكون تعبيراً وهمياً أو حقيقةً نتيجة أن قبيلة الرشيدة كثيرة المشاكل نتيجة لطبيعة تكوينهم الشخصى القائم على سرقة القبائل منذ زمن بعيد بعيد ونتيجة تجاورهم فى منطقة

الدراسة مع قبيلتي العباددة والبشارية.

والرقص الخاص بالشباب والرجال عامة فى منطقة الشلاتين يتميز بحالة من التوهج والنشاط والإيقاع السريع، وذلك من خلال الإمساك بالسيف وتحريكه فتظهر حركاته للسيف سريعة وقوية وسهلة الأداء رغم صعوبة الأرض كبيئة صحراوية^(٣). وسوف نستعرض أنواع الرقص الخاص بالرجال فى احتفالية الزواج.

الواندوب: وهى واحدة من الرقصات الشعبية بين قبائل البشارية والعباددة المتوارثة منذ القدم، وتبدأ هذه الاحتفالية فى المساء دائما بضربات الكفوف وهى الطابع الأساسى فى معظم رقصات المنطقة التى تظهر فيها ضربات الكفوف كالإيقاع منغما فيعلو صوت المؤدى للغناء ويتجاوب أصوات المؤدين بالرد حتى يملأ الساحة، ثم يتحرك المؤدون الحركة فى خطوات انسيابية ويتم نقل القدم اليمنى إلى أعلى ثم تعاقبها القدم اليسرى ثم العودة بها بنفس النظام مع ثنى الجسم خفيفا للأمام، وتتكون تلك الجماعة من شيوخ وشباب. وأثناء هذا الأداء الحركى يشكل المؤدون صفا واحدا، يدخل عليهم من يدخل بدون تنظيم ويخرج من يخرج ولكنها تستمر على هذه الحالة وتزداد ضربات الكفوف والأداء حماسا حتى يخرج المؤدى يحمل فى يده سيفا ودرقة ويقفز عاليا فى حركة بديعة يعلن فيها عن نفسه، فكأنه يقول ها أنا ذا ، ونجده يقول كلمة (هسكا) وعرفت أن معنى هذه الكلمة (الاستعداد) حتى تزداد ضربات الكفوف ويتردد صوت الباسنكوب نغما يبعث الروح والإقدام والشجاعة،

ويخرج مؤدٍ آخر ويقفز عاليا ويدور حول راقص بينهما حتى النهاية ويعتمد هذا الحوار الراقص على المبارزة بالسيف بين المؤدين - وقوفاً وجلوساً - ويقوم المؤدى بإبراز القدرات الحركية وهو جالس (جلسة القرفصاء) حيث تظهر قدرته البديعة فى تحريك سيفه فى الهواء لتدل على مهارة المؤدى.

ويلاحظ فى هذه الرقصة أن الأداء الجماعى يزداد جمالا يلفت النظر إليه إذا جلس المؤدى (جلسة القرفصاء) وجلست أيضاً الجماعة من الأفراد حوله ودقت الكفوف مستمرة فى حالة من الهدوء، أما إذا وقف المؤدى وقفت الجماعة وتعالى صوت دق الكفوف بما يعبر عن دلالة جمالية واستجابة من الجماعة للمؤدى فى رقصه بها مهارة فائقة وتعبير عن الحماية والدفاع عن النفس^(٤).

الهوسيف: وهى إحدى الرقصات الخاصة بتلك الجماعة فى منطقة الشلاتين والتى اكتسبت قيمتها الإبداعية من حركة السيف والذى يستخدم كوسيلة للرقص وليس كوسيلة للدفاع عن النفس، حيث نلاحظ الصورة الإبداعية فى تكوين المؤدى لرقصاته وحركاته بالسيف ، حيث إنه فى تلك الرقصة تلتف الجماعة حول سيفين على الأرض على شكل نصف دائرة يطلقون عليه (نصف قرص) ثم يعلو صوت الآلة الباسنكوب فى جملة موسيقية تعلو وتهبط، وفجأة تنطلق ضربات الكفوف وكأنها يد واحدة ثم تتقدم الجماعة إلى الخلف مع النظر إلى اليمين، مع التحفظ الظاهر بخطف السيف والحصول عليه، وفجأة تنطلق الجماعة بأكملها نحو السيف الموجود على الأرض بطريقة عشوائية.

ولابد أنه يفوز به أحد أفراد الجماعة الملتفة حوله فترجع الجماعة إلى التشكيل مرة ثانية وتزداد ضربات الكفوف وتبدأ الرقصة من هنا... يلف المؤدى حول زميله شبه دائرة كاملة، ويحاولان اللف حول بعضهما بطريقة ثنى الجسم إلى الأمام والضرب بالقدم على الأرض، بينما يمسك سيفه فى عزة نفس وكبرياء ويقف المؤديان فجأة ويدكان الأرض بكتلتا أقدامهما والسيف أمام أعينهما ويقف المؤديان فى شموخ ليعلنا عن نجاحه فى الحصول عليه، ثم يؤدى بيده حركة أمامية حيث تستقيم يده للأمام ويبدأ رسغ اليد يتحرك فى رعدة شديدة ويرتعش السيف من أعلى إلى أسفل بطريقة تلفت النظر بمهارة فائقة. للحاضرين بين المؤدين والمشاهدين ، فاللعب بالسيف سواء فى الثبات والحركة السريعة المتوازية على الجسد يستغرق بعضا من الوقت ، إن عملية النقل الحركى للقدم سواء من الثبات والحركة السريعة مع تلك الرعدة بالسيف يستحق النظر والإعجاب بهذه الرقصات التى تتميز المنطقة بفنونها الخاصة فى احتفالية الزواج أو إحساسهم بالفرح، أثناء وجودهم فى الصحراء وعثورهم على بئر جديد ، وفى جلسات الونسنة كتعبير عن روح المودة فيما بينهم، فهو تعبیر صادق وشعور تلقائى يتحلون به فى أى من المناسبات هذه، وهناك اختلاف على ما جاء برسالة الدكتوراه/ نادية بدوى حيث إن الرجال يقومون بالرقص مع النساء رغبة فى تأكيد أنوثتها وجمالها ورشاقتها ، أو نجد أن الرجال فى رقصاتهم يظهرون قوتهم أمام الفتيات^(٥) إلا أن حقيقة الموقف أن هذه القبائل بذاتها لا تسعى إلى استعراض السيدة لجمالها أو رشاقتها ، حيث

إن المرأة فى عزلة كاملة عن الرجال وخاصة فى احتفالية الزواج، فالسيدة الوحيدة التى تدخل فى احتفالات الرجال أثناء ليلة العرس هى الأم التى تستطيع أن تقف بجانب ابنها أو ابنتها فى ليلة الحنة، فالمرأة لا ترقص أمام الحاضرين إلا لذوى نوعها (فالمرأة ترقص مع النساء فقط) ولا تستطيع أن ترقص العروس مع والدها أو عمها، فالرقص يمثل قيمة لها أهميتها تعبر عن الفرح والسعادة فى احتفاليات الزواج وقراءة الفاتحة وجلسة فتح الخشم وفى تقديم المهور والهدايا أثناء احتفالية الزواج.

رقصة البيوب

وهذه الرقصة لها رحيق خاص يسمو عليه طابع مميز وفريد من نوعه يدل على تفرد وتميز هذه الجماعة من العبادة والبشارية فهى عبارة عن حركة أقدام المؤدى تتحرك فى ببطء شديد، ويستعان بالكرباج حيث تظهر الضربات على جسم المؤدى حتى تسيل منها الدماء، والرجال ينتظرون دورهم وهم يضربون بالكفوف فى إيقاع متناغم ويقفزون عاليا أمام بعضهم، فهذه الرقصة تعتمد على قيام أحد المؤدين بالقفز بالسوط أمام زميله حتى يقفز الآخر أعلى منه ويستسلم الآخر للأمر الواقع، ويكون ذلك فى إيقاع أعلى، وفجأة يخرج من بينهم أحد المؤدين وهو يقفز بالسوط فى حركة إلى أعلى والنزول على ساقه اليمنى ثم اليسرى على التوالى بينهما حتى تسيل الدماء من ساقيه، ويبقى فى حالة من النشوة غريبة وكأنه فى حلقة ذكر، وقد يترنح يمينا وشمالا وأصوات الجماعة من الشباب والرجال تزداد حماسا له، ويقوم أعضاء الجماعة بالعزف والغناء بإيقاعات

تزيد من حماس الراقص وتزيد من التوهج الانفعالي الذى يتيح له اكتشاف طاقته الإبداعية وقدرته على التحمل ليفتخر بذاته بين شباب قبيلته، ويقطع أداء المؤدى، ويتدخل أحد زملائه وينتزع السوط من المؤدى ويوقف لفترة وجيزة من الوقت على سبيل التعاطف معه والمؤازرة له ومنحه لحظات يلتقط أنفاسه، وأثناء الرقص يهللون ويقولون أبشر وهو تعبير لحسن أداء الراقص، وهو مأخوذ من الرقص السودانى الخاص بالرجال.

وفيما يلى تحليل لبعض الرقصات:

رقصة (١) الأولى

الشكل والاسم: رقصة فردية تعتمد على الإبداع الفردى من خلال عملية المبارزة بالسيف والدرع.

المضمون: استعراض المهارة خاصة فى البيئة الصحراوية ، حيث يستخدم السيف والدرع والكرباج وقد تظهر فى حركات الطعن والدوران.

الأداة المستخدمة فى الرقص: وهى

(١) أسلحة خاصة بالبدوى فى منطقة الدراسة وتشمل (السيف والدرع) والسيف هو السلاح الحاد الذى يوضع فى الجراب ويكون دائماً كظله.

(٢) الكرباج السودانى الحاد فى ضرباته حيث يرمز إلى رجولة العريس وتحمله مسئولية الزواج.

الموسيقى: وهى الخاصة بمنطقة الشلاتين حيث أداة الباسنكوب، الأمبيليهويت ، الطبلية.

الإيقاع: تقاسيم خاصة فهو لحن مميز للمنطقة.

الأزياء: يرتدى العريس ملابس خاصة باحتفالية الزواج، أما الراقصون من الرجال المدعويين فى الاحتفال ، وليس هناك ملابس خاصة للرقص ، لهم أزياءهم الخاصة بالرجال التى تعبر عن انتمائهم القبلى، وخاصة الصديرى الأسود فهو شعار القبيلة.

الحركات: بسيطة وسهلة تتنوع من السرعة إلى البطء ، تعتمد فى خطواتها على القفز والوثب والحجل وتبديل القدمين تباعاً للأمام والخلف على الجانبين مع ثنى الجذع أماماً وخلفاً .

التشكيلات: الأداء الفردى

زمن الرقصة: تتراوح ما بين ٢٠ إلى ٢٥ دقيقة

الشكل والاسم: رقصة جماعية تقوم بها جماعة من الشباب ورجال القبيلة.

المضمون: إن تنوع المضمون واختلف، فهو تشابك بين الشباب والرجال بالأيدي لذا فهو استعراض لحركات الأقدام ثم التصفيق أو التقاسيم الخاصة، حيث نجد التصفيق ذا إيقاع خاص يعبر عن التفرد لهذه المنطقة.

الأداة: الحركات تعبيرية وليست هناك آلة فى هذه الرقصة الجماعية.

الموسيقى: موسيقى خاصة بالمنطقة فقط.

الحركات: سريعة ومركبة وتسير فى إيقاع واحد.

التشكيلات: تعتمد على تشكيلات متنوعة من الخطوط الأمامية فالتقدم إلى الأمام ثم خطوة إلى الخلف مع ثنى الجذع أماماً مع

التصفيق وتشابك الأيدي، مع توافق الجملة الموسيقية للأغنية التي تلائم حركة القدم.

رقص النساء

تضع السيدة اليد اليسرى عند القلب، وتحرك الصدر إلى الأمام، ويعتبر الرقص حركة إبداعية تتحرك فيها السيدة أو الفتاة في مهارة، حيث تكون الرأس للخلف وفمها إلى أعلى ويكون مغلقا، وتحرك قدميها إلى الأمام وتمشى في دوائر أمام المجموعة من السيدات اللاتي يصفقن لها وهي ترقص، وتستمر لمدة دقيقتين أو ثلاث دقائق ثم تعود مكانها وتتناوب السيدات بانتظام ودون توقف عن الدائرة، ويكون الرقص على شكل مجموعة من السيدات تقف على شكل قوس، وترقص السيدة أمام السيدات ثم تلتف يمينا أو يسارا بوجهها في حركة دائرية للرقبة ويسمى (كوييت) فهي بمثابة حركة زاحفة انتقالية للأمام مع ميل الرأس والكتفين والذراعين والجذع إلى الخلف، فهي تمثل طابعا إيقاعيا يكتمل بالتصفيق بالأيدي مع دق القدم على الأرض لتكون في النهاية توليفة من الأصوات ومن الدقات متنوعة المصدر (من الطبل أو الدلوكة) وهي الآلة الوحيدة التي يصاحبها النساء لرقصاتهن، أما الأطفال فيشاركون في احتفالية الزواج بالرقص مع النساء فيلتفون في شكل نصف دائرة بداخل دائرة النساء، ويحملون عصا صغيرة وكأنها سيف يحمل باليد اليمنى والدرع باليد اليسرى، في اتجاه الأمام في حالة دفاع عن النفس ويهللون كما يهلل الرجال الكبار في رقصاتهم (أبشر) فالرقص لدى جماعة العباددة والبشارية يسمى تربلة، ويمثل رقص

النساء خصوصية مكانية شديدة التميز، وتكون السيدة في أبهى زيتها وزينتها وارتدائها لكامل حليها، ويتم الرقص الخاص بالرجال في الخلاء دون مشاركة النساء، وقد يبدأ الرقص من بعد الغروب ويستمر طوال الليل حيث يدخل ويخرج من يخرج لكنها تستمر بظهور إشراقة أول ضوء للشمس وحتى نهاية العرس.

أغاني النساء عند الاحتفال بالزواج

الأغنية الأولى:

ست الوردة لابسة توب جديو

ست الوردة جالت الليلة عيدو

ست الوردة داخله المساكن

ست الوردة في جلبى (قلبي) ساكن

ست الوردة لابسة توب جديو

ست الوردة جالت الليلة عيدو

تغنى هذه الأغنية أثناء الرقص مع سماع زغاريد النساء الطويلة والتي تشبه ثقافة الجوار (المنطقة السودانية)^(٦).

أغنية لرقص الرجال بالسيف

تلابيت سيرة (في مكان سريع)

اسكريم أو باس (أتوبيس مسافر)

حبشية دقاي (قطعة ذهبية) من حلى العباددة والبشارية

استركولينيت (ذات زخارف ونقوش)

أبشر أبشر أبشروا

في مكان سريع وأتوبيس مسافر قطعة ذهبية ذات زخرفة ونقوش

جميلة ترتديها العروس. وهناك أغنية أخرى أثناء الرقص الخاص بالرجال وهى:

دوبا شلال أدوبا ليلة دوبا: العريس
وارو عيدى دوبا شلال: أغانى العريس
واربت ريسنتيك ليلة ريسنتيك : تفتخروا
وار أجيبو ريساينى ليلة يفتخر العريس بأصل ونسب ابنة عمه.
وتقال هذه الأغنية للحبوبات كما يطلقون عليهم، بمعنى أنها تقال
لافتخار العريس بحب ابنة عمه (حبوبته).

أغنية أخرى^(٧)

كاسلا كاسلا كاسلا بلد جميلة فى السودان

أياهو بلد جميل

جريميا أيا هو كاسلا أنا قلبى سافر

زغريدة شغالة بلد لا تخطط لها تذهب إليها تخطيط

مركن يوديم مهاكولا تسافر إليها من كثرة جمالها

باختنا أودين هيا إليها^(٨)

وعلى الرغم من أن هذه الجماعات تعيش بالقرب من منطقة النوبة إلا أنها لم تتأثر بأبنائها فى رقصاتها وإبداعتها هذه فالجماعات الخاصة بمنطقة الشلاتين ، ترابطت وتداخلت مكوناتها بالبيئة المكانية لتتحد معها فى نسيج واحد لتكون محصلتها نسيجا قوى البنيان بين الثقافة والبيئة، وعلى هذا فالرقصات فى احتفالية الزواج لدى قبائل الدراسة تختلف عنها فى النوبة والتي تتمثل فى رقصاتها المميزة، فالنوبة لها رقصاتها المميزة ألا وهى الأراغيد حيث يشترك

الشباب والنساء والفتيات والرجال فى حلقة الرقص وتتجاوب أصوات النساء وضربات الكفوف مع الدفوف لتكون لغة من الأنغام تسبح فيها الفتيات والشبان حيث تتجمع فيها أقرباء وجيران العروسين من الجنسين، ويكونون دائرة من الرجال والشباب والنصف الآخر من السيدات ويجلس العريس على كرسى أمامهم ويبداً الدق على الدفوف فى أجمل إبداع، كما ترقص الفتيات فى حركة من الخفة والرشاقة فيمرجن أيديهن مع ارتعاشة الجسد وقد تضع الراقصة على رأسها شالا وترتدى نساء النوبة تحت الرداء الهفهاف بما يسمونه هناك الجرجار، والذى يحاك من قماش أسود شفاف بكرانيش فى الأكمام والوسط والذيل وقد تؤدى الحركة فاتحة ذراعيها جانباً داخل الغطاء، وتدور حول نفسها مع ثنى الجذع قليلاً ويسارا فتبدو كالطائر، بينما يؤدى مجموعة من الرجال - وهم على هيئة صف - حركات تمايلية راقصة يليها حركات تطويحية من الجذع، وفى أثناء ذلك يطلقون بحناجرهم أصواتا ذات طابع إيقاعى لتكون فى نهايته توليفة من الأصوات ومن الدقات متنوعة المصدر^(٩)، فالنوبيون (الكنزيون والفاديجا) يعشقون الرقص فى جماعات، وخاصة فى مناسبات الزواج فقط كما لا يستهويهم الرقص الفردى، كما أن المرأة تشترك مع الرجل فيرقص الجماعات ولا تقتصر هذه المشاركة على الأداء الحركى فقط، بل تشمل الغناء فى منظومة إبداعية ، وهذا على عكس ما يتميز به الرقص فى منطقة الشلاتين حيث نجد أن هناك فصلا بين مجالس الرجال ومجالس النساء ، كما أن بصمات المكان والبيئة الطبيعية ونشاطها الخاص فى منطقة

النوبة قد أثرت فى تقاليدهم وعاداتهم وفنونهم الخاصة وفى عادات الزواج، والجدير بالذكر أن المرأة فى الشلاتين وفى عزلة كاملة عن الرجال أثناء احتفالاتهم وذلك للقيود التى حددتها ثقافة المجتمع القبلى.

فقد تأثر أبناء المنطقة بثقافة الجوار والقرابة التى تحكمها علاقات اقتصادية وثقافية ويظهر ذلك فى رقصة السيرة أو العبولى - وهى تمثل الرقص السودانى - التى ترقصها الفتيات يوم الحنة ببيت العروس، وتتميز هذه الرقصة بأن الرأس تكون مشدودة إلى الخلف ، ويكون المشى بخطوات قصيرة جدا، فالدق تنقل إلى الأمام بحيث تظل ملتصقة بنصف القدم الثانية ثم إذا اقتربت من العريس - أو أخويها أو قريب لها - ترمى شعرها فيقول لها أبشر مع طرقة السبابة بالوسطى، وانطلاق الزغاريد الحادة الطويلة وكل ذلك بمصاحبة الغناء المناسب لاحتفالية الزواج^(١٠).

هذه الرقصة التى تشتهر بها كورسكو هى شبيهة بشكل الحركة والإبداع الفنى الحركى للفتاة أثناء الرقص فى احتفالية الزواج بمنطقة الدراسة، وذلك لوجود فروع من قبيلة العباددة التى تسكن منطقة كورسكو، حيث نجد أن كلمة أبشر تقال أثناء الرقص فى مجالس الرجال، فالتجاور المكانى لأبناء منطقة الشلاتين وكورسكو، تجعل هناك تشابها فى شكل الرقص الشعبى الخاص بالنساء ، فالرقص السودانى الخاص برقصة السمبا بمصاحبة الغناء والدقوف تخطو الراقصة خطوة وراء خطوة مع تحريك الجسم مع الخطوات وكذلك تحريك الأيدي برشاقة متناهية للأمام والخلف عند الخطوة،

يلف القدم للداخل مع تحريك الأكتاف والأذرع فإن تماثل البيئة الأيكولوجية بين منطقة الشلاتين وشمال السودان خلقت نوعا مشابها لبعض العناصر الإبداعية فى أشكال الرقص الشعبى.

أما الرقص فى قبيلة الرشادة فقد يتسم بعنصر أساسى وهو الحجل الجانبى فى شكل دائرة، ويوضع السيف خلف الرأس، ويمسك باليد اليمنى مع عمل طعنات بدوران السيف على الجانبين من رسغ اليد وتقوم اليد الثانية بتحريك السيف إلى أعلى الرأس ثم أسفل مع عمل حجلات مستمرة يمينا ويسارا وأماما وخلفا مع مرجحة السيف فى رسغ اليد وذلك مع الدوران به فى مختلف الاتجاهات، مع الطعن الأمامى، مع ضرب القدم الأمامية والخروج بها كخطوة من خطوات الرقص التعبيرية ثم الوقوف بالمواجهة، مع المرجحة لليد اليمنى يمينا ويسارا فى رسغ اليد وذلك فى صيحات من الراقص ومجموعة الرجال (أبشر)، ونجد أن هذه الرقصة تمثل نوعا من الشجاعة وكتعبير للحياة البدوية والصحراوية الصعبة لمحاولة الدفاع عن النفس من الحيوانات الضارية .

أما الرقص بالسيف والدرع، فهو عبارة عن حجلات مستمرة للأمام والخلف مع مرجحة السيف يمينا ويسارا مع ضربات أمامية بالقدمين والخلف ثم عمل طعنات مستمرة عالية وسفلية مع الراقص الذى يجلس جلسة القرفصاء أمامه، ثم تتناوب الضربات السفلية مع رفع الدرع للأمام فى اليد اليسرى ، وذلك فى حركة سريعة تدل على مهارة البدوى من قبيلة الرشادة، وهذه الحركة السريعة تميز البدوى الرشادى عن البشارى والعبادى.

وتلاحظ الباحثة أن الرقص بالسيف يتطلب مهارة فائقة والإمساك جيدا بقبضة السيف^(١١). ولذلك يتطلب من الراقص أن يتحكم فى سيفه بحكمة بالغة خاصة إذا كان الراقص يمسك بيده اليمنى سيفاً واليد اليسرى سيفاً آخر، مع حركات دائرية لسيفين مما يثير دهشة المشاهد لحلبة الرقص أن يتحكم فى السيفين أثناء الرقص دون وقوع أحدهما أثناء اللعب بهما فهو يحاول جذب أبناء قبيلة العبادة والبشارية وكأنه يخبرهم بمدى قوة الرجل فى قبيلة الرشادية^(١٢) فالرقص لدى الرجل الرشادى شديد الشبه بالرقص الخاص بالدول العربية وخاصة عمان التى يرقص أصحابها بالسيف فى حلقات إبداعية، وهذا الشبه من حيث كونهم يندرجون من أصول عربية.

وهكذا يبدو أن الثقافة المادية - التى تظهر من خلال الحياة البدوية لدى شعوب وقبائل منطقة الشلاتين - هى جزء من ثقافة المجتمع، حيث إن هناك صلة قوية بين الثقافة المادية والمجتمع الذى يعيش فيه البدوى، بكل ما يشمل ذلك المجتمع من المظاهر البيئية والثقافية والدينية والاجتماعية السائدة فيه، وبذلك نسلّم بالقول الذى يدرك أن المجتمع وثقافته المادية، وجهان لعملة واحدة، بمعنى أن الثقافة المادية تعبر عن ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه البدوى، فإن البيئة هى التى توحى للبدوى بالتعبير عما ينتجه والذى يوظفه فى النهاية لصالح خدمته ولصالح المجتمع وبيئته.

ولا نستطيع فى هذا المجال المحدد فى الثقافة المادية الخاصة باحتفالية الزواج أن نقول بأننا قد تعرضنا لكافة نواحي الثقافة المادية والفنون الشعبية فى منطقة الشلاتين ، أو إننا قد تفحصنا

الثقافة المادية بأكملها والفنون الشعبية فى مجملها، إلا أننا قد تعرضنا لبعض عناصر الثقافة الشعبية بشكل دقيق يتناسب مع تشابكها الموضوعى عند تناولها من خلال المنهج الفولكلورى، الأمر الذى لا ندعى أننا أعطيناه حقه فى هذه المساحة من خلال ما تحمله هذه البقعة من الأرض من موروث ثقافى متميز ومتفرد، لكننا نستطيع القول بأن الدراسة حاولت التعرف على بعض عناصر الثقافة الشعبية الخاصة باحتفالية الزواج لمنطقة الشلاتين التى هى جزء من أرض مصر.

الهوامش

- (١) سمير جابر، الرقص الشعبي فى مصر، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع ٢٣، ١٩٨٨، ص ٨٠.
- (٢) وهيب محمد لبيب، سيمفونية الرقص بالعصا ولعبة التحطيب، دراسة تطبيقية لفرقة رضا والقومية للفنون الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ندوة الفنون الشعبية بين السياق الشعبى والسياق العرصى الجماهيرى، الندوة العلمية لمهرجان الإسماعيلية السادس، ١٩٩٥، ص ١٢٣.
- (٣) تم تصوير الحركات الإيقاعية لأبناء منطقة الشلاتين، وهى مرفقة بالرسالة على أسطوانة مدمجة.
- (٤) قامت الباحثة بتحليل المادة بعد تسجيلها على شريط فيديو.
- (٥) نادية بدوى، الفن عند البجا فى الأنثروبولوجيا الجمالية، مرجع سبق ذكره، ١٩٩٢، ص ١٢٢.
- (٦) انظر إخبارية رقم (٢٩)
- (٧) انظر إخبارية رقم (٢٧)
- (٨) هذه الأغاني ترددها النساء أثناء حركة الرقص.
- (٩) سمير جابر، الرقص الشعبى فى مصر، موسوعة الفنون الشعبية، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٩٤، ص ١٥١.
- (١٠) محمد رياض، كوثر عبد الرسول، رحلة فى زمان النوبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ٢٦٢.
- (١١) ويذكر بعض الإخباريين أنه فى إحدى الاحتفالات الخاصة بالزواج «السيف» خرج من يد صاحبه (الراقص) الذى كان يرقص فى حلبة الرقص ومن شدته وحدته قطع رقبة أحد المدعويين فى الرقص.
- (١٢) قامت الباحثة بتحليل مادة الرقص الشعبى لقبيلة الرشيدة بعد تسجيلها على شريط الفيديو.

توصيات الدراسة

- من خلال استعراض نتائج الدراسة توصلت الباحثة إلى مجموعة من التوصيات من أبرزها ما يلى :
- ١ - عمل كتيبات للتعريف بالمنطقة، ومخطوطات للتعرف على الأماكن عن طريق الخرائط وبها محظورات بيئية خاصة بمجتمع الدراسة، للتعرف على المخاطر الموجودة فى المنطقة لتفاديها من قبل الباحثين.
 - ٢ - الاهتمام بالعلامات الإرشادية واللافتات، لتعرف الزوار على المنطقة سواء كانوا باحثين أو قائمين بمشروعات التنمية وباللغتين العربية والإنجليزية. كما أن هناك ضرورة لإنشاء قاموس للغة البجاوية الخاصة بالحياة اليومية وأسلوب معيشتهم، وذلك لتسهيل مهمة الباحثين.

٣ - إنشاء مكتب صغير من الإخباريين أو الرواة للتعرف على غرباء المنطقة سواء كانوا دارسين أو باحثين، للتعرف على لغة الرطانة، أو مترجم لهم حيث يتم الاستعانة بهم فى المؤسسات العلمية أو الاقتصادية بهدف تنمية المنطقة.

٤ - ضرورة الاستفادة بالفنون الشعبية بالمثلث وعمل مهرجانات للفنون الشعبية، بغرض جذب العالم للاهتمام بتراث هذه المنطقة الذى يعتبر فريداً. حيث الاهتمام بثقافة المنطقة حكومياً وأفراداً للتعرف على آفاق المنطقة ولانتمائهم للمجتمع القومى الكبير.

٥ - ضرورة استغلال المنتجات البيئية مثل الصناعات الجلدية والصوفية والوبرية وغيرها، حيث الاستفادة ببيعها لغرباء المنطقة سواء كانوا باحثين أو قائمين بمشروعات التنمية، تشجيعاً لمنتجاتهم البيئية الخاصة بالمنطقة، والتي تعتبر تراثاً تحمله هذه الصناعات التقليدية البيئية، والتي تعد نتاجاً لتفاعل بين الإنسان والبيئة الطبيعية فهى تحمل الطابع التقليدى، ولذلك لابد من الحفاظ عليها وضرورة الانتفاع بها فى إطار كونها ثروة لابد من استغلالها استغلالاً جيداً.

٦ - ضرورة تشجيع الرحلات الجماعية والمدرسية والتدريب العملى لكليات الآداب قسم الاجتماع والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية، لاستكشاف جزء مهم من أرض الوطن والتعرف على تراثه وثقافته، والتي هى بمثابة جزء يتكامل مع ثقافة الأمة المصرية.

٧ - حرصت الباحثة فى مجالها العملى كباحثة بالهيئة العامة

لقصور الثقافة، من خلال توصيات الرسالة فى خطة تحديث المنطقة وتطويرها، إلى إنشاء متحف لحفظ وتسجيل عناصر التراث الشعبى فى المناطق الثقافية، وخاصة أنها تتسم بالثقافة الهامشية. وتعد هذه الدراسة إحدى الاتجاهات الداعية للاهتمام بالفلكلور التطبيقى والمجال العملى لتدعيم عناصر هذا التراث الذى يتعرض لكل عوامل الاضمحلال فى الوقت الحاضر. فكان هذا مبرراً قومياً وهدفاً ذاتياً فقد حرصت هذه الدراسة إلى رصد اهتمام الدولة نحو هذه الجماعات البدوية المنعزلة التى كانت فى سجل النسيان، والتى تعبر عن ثقافة هامشية حدودية وقد تم بالفعل تحديد قطعة أرض من المحافظة لإنشاء متحف اثنوجرافى فولكلورى يضم العديد من نماذج التراث الثقافى ومنتجات الثقافة المادية، ليتم عرضها للتعبير عن طريقة حياة والنشاط الاجتماعى والاقتصادى لجماعات العباددة والبشارية التى تعبر عن خصوصية هذه القبائل.

٨ - نشر المدارس بالتجمعات الصغيرة والناحية وتعليم الكبار بفتح فصول محو الأمية أكثر من الموجود بالفعل.

٩ - إنشاء جامعة للتعليم العالى لأبناء المنطقة، وخاصة بداخل المنطقة حفاظاً على قيمهم الاجتماعية وتخطى حاجز عدم خروج الفتاة للتعليم، ولازدياد الفتيات فى التعليم.

١٠ - إنشاء مكتبة لتزويد أبناء المثلث بكتب ثقافية أو ترفيهية فى ضوء الاتجاه الحالى لخطة وزارة الثقافة فى تنمية مشروع القراءة للجميع، وذلك ضمن تخطيط برامج ونشاط قصر الثقافة

الخاص بالمثلث ووجود تخطيط لإقامة ندوات تختص بالوعى والتثقيف الصحى، والاجتماعى، والدينى. ربما ساعد ذلك على الحد من السلطة الأبوية وضرورة أخذ رأى الفتاة حين زواجها. وينبغى أن نشير إلى ذلك الدور الكبير الذى يلعبه التعليم فى مجال رفع الوعى الصحى للمرأة (زوجة وأماً) والذى تشير إليه كثير من الدراسات، بحيث يكون له مردود طيب فى رعايتها لأطفالها من الناحية الصحية والتغذية وكذا من ناحية التنشئة والرعاية الأسرية والوعى بالأخطار الصحية المتعلقة بالنمط المثالى للزواج وما ينجم عنها من مشكلات وسبل التعامل مع هذه المشكلات وكيفية اجتنابها مستقبلاً. وهذا يتطلب جهود توعية مخلصه وموجهة بأسلوب مقنع يحترم عقلية هؤلاء الناس ويتمشى مع خصوصيتهم الثقافية.

١١ - مازال الاهتمام الإعلامى بالمثلث محدوداً للغاية، رغم وصول الإرسال الإذاعى والتليفزيونى، إلا أن الجرائد والمجلات والصحف لا تصل رغم توافر المواصلات اليومية من القاهرة للمثلث.

١٢ - تقترح الباحثة إنشاء مكتب أو جمعية أهلية لرعاية الرعاة وحماية مراعيهم المحمية بهدف تنمية المراعى وإعادة تخصيص حقوق الرعى لسكان هذه المناطق وإرشادهم لطرق الرعى وتوفير الأعلاف أثناء فترات الجفاف، مما يعمل على تنمية الثروة الحيوانية وإحياء البداوة والبدو بدلا من المحاولات العديدة لوأد البداوة.

١٣ - العمل على حل المشكلات الخاصة بقبائل البدو من الرشايدة وذلك بعمل بطاقات الهوية لهم، أسوة بما هو متبع مع قبائل العباددة والبشارية من حيث التعليم والمنح المقدمة لهم وخاصة فى تصريحات التجول داخل وخارج الحدود.

١٤ - يلزم الاهتمام بسجلات الزواج والطلاق والمواليد والوفيات والهجرة، حيث لوحظ أن ليس هناك تسجيل فعلى لهذه البيانات وذلك لأسباب أمنية واجتماعية خاصة بمنطقة الدراسة.

١٥ - إعادة النظر فى سياسية توطين البدو، وكيفية التوطين، ملائمتها للحياة الاجتماعية والظروف المعيشية والنشاط الاقتصادى فى المنطقة، حيث قامت الحكومة ببناء مساكن التوطين لتلائم تصوراتهم وأسلوب حياتهم، ولذلك نأمل إعادة النظر فى وضع التصميم للبيت حيث يكون شديد الشبة أو قريب من بيت البرش فى شكله الإبداعى، حتى لا يدرك البدوى أنه ترك بيته أو استغنى عن تراثه وقيمته وحتى لا يشعر بالغربة فى مكانه أو بيئته ليعبر عن ذاته وهويته وخصوصية المنطقة وتفرد موروثه الشعبى.

١٦ - وتوصى الباحثة بإنشاء مركز لإعداد دراسات اجتماعية واقتصادية لتعكس ظروف المجتمع المحلى وذلك للحفاظ على الموروث الشعبى وهوية هذه الجماعات السلالية بهدف تخطيط المنطقة تخطيطاً واعياً ومدروساً، وبذلك تتحول التنمية إلى عملية اجتماعية متكاملة تتفاعل فيها جميع النخب الرسمية الأهلية منها والحكومية مع ضرورة إنشاء علاقات غير رسمية مثل علاقات

الود والصداقة بين القوى التنفيذية والشعبية لتحقيق التنمية بصوة شاملة للإقليم، عندما تسود فكرة الإيمان بضرورة التغيير من أجل مستقبل أهالي المنطقة وبالإيمان بضرورة إزالة كافة العقبات التي تحد من نمو التنمية بالإقليم. ولذلك وضعت استراتيجية محددة المعالم للتنمية بالإقليم بناء على دراسات اجتماعية واقتصادية خاصة بالإقليم لتحقيق الأهداف المرجوة من التنمية الشاملة وربط الإقليم بالمجتمع الأم.

الملاحق

الملحق الأول بيانات الإخباريين

١- بطاقات إخباري البشارية إخباري رقم (١)

اسم المصدر: محمد عيسى محمد

السن: ٣٦ سنة

مكان الميلاد: حلايب

القبيلة: البشارية (حمد أوراب)

العمل الأساسي: تاجر (بقالة)

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين - البحر الأحمر

الأسرة: عجيباب

الحالة التعليمية: يجيد القراءة والكتابة

إخبارى رقم: (٢)

اسم المصدر: فاطمة محمد على

السن: ٥٠ سنة

مكان الميلاد: أبو رماد

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى: ربة منزل

الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها ٩ أبناء

اسم الشهرة: فاطمة

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: حمد أوروب

الحالة التعليمية: أمية

إخبارى رقم: (٣)

اسم المصدر: فاطمة عيسى

السن: ١٨ سنة

مكان الميلاد : الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى: ربة منزل

الحالة الاجتماعية: غير متزوجة

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأعمال الإضافية: تطريز

الحالة التعليمية: الابتدائية

إخبارى رقم: (٤)

اسم المصدر: على حسين

السن: ٢٢ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى: طالب

الحالة الاجتماعية: أعزب

اسم الشهرة: على حسين

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الحالة التعليمية: المرحلة الإعدادية

إخبارى رقم: (٥)

اسم المصدر: حسين محمد آدم

السن: ٢٤ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى: راع

الحالة الاجتماعية: متزوج

اسم الشهرة: حسين آدم

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الحالة التعليمية: المرحلة الإعدادية

إخبارى رقم : (٦)

اسم المصدر: محمد حسين

السن: ٢٩ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى: راع

الحالة الاجتماعية: أعزب

اسم الشهرة: محمد حسين

النوع: ذكر

محل الإقامة: عزبة الشيخ

إخبارى رقم: (٧)

اسم المصدر: حسين محمد على

السن: ٣٧ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى: راعى أغنام

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول

اسم الشهرة: حسين حجر

النوع: ذكر

محل الإقامة : الشلاتين

الأسرة: العشب/ الشيخ محمد على

الأعمال الإضافية: تاجر

الحالة التعليمية: أمى

ملاحظات: الإخبارى ميسور الحال -

متزوج اثنين ويعول ٥ أولاد.

إخبارى رقم: (٨)

اسم المصدر: أحمد محمد أحمد

السن: ٢٧ سنة

مكان الميلاد: جبل علبة

القبيلة: الشنتتيراب (البشارية)

العمل الأساسى: طالب بالصف الإعدادى

الحالة الاجتماعية: أعزب

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين - البحر الأحمر

الأعمال الإضافية: راع

الحالة التعليمية: طالب بالصف الأول الإعدادى

إخبارى رقم: (٩)

اسم المصدر: أوكير أحمد إبراهيم

السن: ٢٠ سنة

مكان الميلاد: قرية أبو رماد - الشلاتين

القبيلة: الشنتراب تابع قبيلة البشارية

العمل الأساسي: راع

الحالة الاجتماعية: أعزب

النوع: ذكر

محل الإقامة : الشلاتين - البحر الأحمر

الأعمال الإضافية: تجارة سوپر ماركت

الحالة التعليمية: يجيد القراءة والكتابة

إخبارى رقم: (١٠)

اسم المصدر: محمد حسين

السن: ٢٣ سنة

مكان الميلاد : جبل علبة - الشلاتين

القبيلة: عجايب - البشارية

العمل الأساسي: راع

الحالة الاجتماعية: أعزب

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين - البحر الأحمر

الأسرة: عجايب

الحالة التعليمية: يجيد القراءة والكتابة

إخبارى رقم: (١١)

اسم المصدر: حسين محمد على

السن: ٣٧ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسي: راعى أغنام

الحالة الاجتماعية: متزوج ٢ ويعول ٥

اسم الشهرة: حسين حجر

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين/ حجر الأساس

الأسرة: العشب

الأعمال الإضافية: تاجر

الحالة التعليمية: يعرف القراءة والكتابة

إخبارى رقم: (١٢)

اسم المصدر: فاطمة أوهاج

السن: ٥٢ سنة

مكان الميلاد: أبو رماد

القبيلة: البشارية

العمل الأساسي: ربة منزل

الحالة الاجتماعية : متزوجة ولديها ٩ أبناء

اسم الشهرة: فاطمة

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين عزبة الصول

الأسرة: حمد أوراب

الحالة التعليمية: أمية

إخبارى رقم: (١٣)

اسم المصدر: علوية عثمان مصطفى

الحالة التعليمية: أمية
إخبارى رقم: (١٥)
 اسم المصدر: صلاح حسين عيسى
 السن: ١٦ سنة
 مكان الميلاد: الشلاتين
 القبية: البشارية
 العمل الأساسى: طالب
 الحالة الاجتماعية: أعزب
 النوع: ذكر
 محل الإقامة: الشلاتين - البحر الأحمر
 الأسرة: البشارية
 الحالة التعليمية: طالب ثانوية عامة
إخبارى رقم : (١٦)
 اسم المصدر: فاطمة محمد طاهر
 السن: ٤٥ سنة
 مكان الميلاد: جبل علية
 القبيلة: البشارية
 العمل الأساسى : ربة منزل
 الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها ٥ أبناء
 اسم الشهرة: فاطمة طاهر
 النوع: أنثى
 محل الإقامة: الشلاتين

السن: ٣٦ سنة
 مكان الميلاد: حلايب
 القبيلة: البشارية
 العمل الأساسى : ربة منزل
 الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها ٦ أبناء
 اسم الشهرة: أم سعاد
 النوع: أنثى
 محل الإقامة: الشلاتين
 الأسرة: الحاكماب
 الحالة التعليمية: أمية
إخبارى رقم: (١٤)
 اسم المصدر: فاطمة محمد هيثاى محمد
 السن: ٤٥ سنة
 مكان الميلاد: وادى عيزيب
 القبيلة: البشارية
 العمل الأساسى : ربة منزل
 الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها ٨ أبناء.
 اسم الشهرة: فاطمة كجراى
 النوع: أنثى
 محل الإقامة: الشلاتين
 الأسرة: الأميراب
 الأعمال الإضافية: شغل الخوص

الأسرة: الأميراب

الحالة التعليمية: أمية

إخبارى رقم : (١٧)

اسم المصدر: زينب حسين على

السن: ٥٥ سنة

مكان الميلاد: جبل علبة

القبيلة: البشارية

الحالة الاجتماعية: أرملة ولديها ابن وابنة متزوجان

اسم الشهرة: زينب

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: أمر

الحالة التعليمية: أمية

إخبارى رقم : (١٨)

اسم المصدر: محمد طاهر سدو

السن: ٤٤ سنة

مكان الميلاد: جبل أوسير

القبيلة: البشارية

العمل الأساسي : تاجر إبل

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ولد وبنت

اسم الشهرة: سدو

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: إبراهيماب

الحالة التعليمية: لا يقرأ ولا يكتب (الخلوة)

إخبارى رقم : (١٩)

اسم المصدر: إبراهيم الحسن محمد

السن: ١٦ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسي : طالب فى ثانية ثانوى

الحالة الاجتماعية: أعزب

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الحالة التعليمية: طالب ثانوية عامة

إخبارى رقم : (٢٠)

اسم المصدر: إبراهيم محمد حسان

السن: ١٦ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسي : طالب فى ثانية ثانوى

الحالة الاجتماعية: أعزب

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: البشارية

الأعمال الإضافية: مساعدة الوالد فى الرعى

الحالة التعليمية: طالب ثانوية عامة

إخبارى رقم : (٢١)

اسم المصدر: محمد حامد محمد

السن: ٣٢ سنة

مكان الميلاد: أبو رماد

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى : راع

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: البشارية

الحالة التعليمية: أمى

إخبارى رقم : (٢٢)

اسم المصدر: زينب على

السن: ٢٣ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: غير متزوجة

اسم الشهرة: زينب

302

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الحالة التعليمية: المرحلة الابتدائية

إخبارى رقم : (٢٣)

اسم المصدر: محمد نور

السن: ٦٤ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: البشارية

العمل الأساسى : تاجر

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول

اسم الشهرة: محمد نور

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: جامعاب

الأعمال الإضافية: صاحب معرض

الحالة التعليمية: أمى

٢- بطاقات إخباري العبادة:

إخبارى رقم : (٢٤)

اسم المصدر: على عيسى محمد

السن: ٥٠ سنة

مكان الميلاد: بير الجاهلية - الشلاتين

القبيلة: العبادة

303

العمل الأساسي : صياد

الحالة الاجتماعية: متزوج

النوع: ذكر

محل الإقامة: بير الجاهلية - الشلاتين

الأسرة: الكريجاب

الحالة التعليمية: أمى

إخبارى رقم : (٢٥)

اسم المصدر: مقبولة عمر شريف

السن: ٣٠ سنة

مكان الميلاد: جبل علبة

القبيلة: العبابدة

العمل الأساسي : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها ٣ أولاد

اسم الشهرة: مقبولة

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الشويماب

الحالة التعليمية: أمية

إخبارى رقم : (٢٦)

اسم المصدر: سر الختم محمد عثمان

السن: ٥٠ سنة

مكان الميلاد: منطقة صحراوية - الشلاتين

القبيلة: العبابدة

العمل الأساسي : تاجر وصاحب أملاك

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول

اسم الشهرة: الحاج سرى

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين/ عزبة سرى

الأسرة: الشويماب

الأعمال الإضافية: شيخ مشايخ العبابدة

الحالة التعليمية: يقرأ ويكتب

بيانات أخرى: شيخ مشايخ قبيلة العبابدة ومدينة الشلاتين يعمل

بالتجارة على نطاق كبير وله نفوذ داخل القبيلة وخارجها (اقتصادى

وسياسى).

إخبارى رقم : (٢٧)

اسم المصدر: أحمد محمد أحمد

السن: ٣٥ سنة

مكان الميلاد: أبو رماد

القبيلة: العبابدة

العمل الأساسي : تاجر أعشاب وراع

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الأميراب

الحالة التعليمية: مدرس فى الخلوة

إخبارى رقم : (٢٨)

اسم المصدر: أمنة عيسى

السن: ١٧ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: العبابدة

العمل الأساسى : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: غير متزوجة

النوع: أنثى

محل الإقامة: حجر الأساس - عزبة الشيخ

الأسرة: الشويماب

الحالة التعليمية: فى تعليم محو الأمية

إخبارى رقم : (٢٩)

اسم المصدر: عائشة عيسى

السن: ١٩ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: العبابدة

العمل الأساسى : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: غيرمتزوج

النوع: أنثى

محل الإقامة: حجر الأساس - عزبة الشيخ

الحالة التعليمية: فى تعليم محو الأمية

إخبارى رقم : (٣٠)

اسم المصدر: فاطمة مصطفى

السن: ٢٥ سنة

مكان الميلاد: حلايب

القبيلة: العبابدة

العمل الأساسى : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها طفلان

اسم الشهرة: أم عيسى

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الحاكماب

الحالة التعليمية: تقرأ وتكتب (محو أمية)

إخبارى رقم : (٣١)

اسم المصدر: سعد أحمد محمد بركة

السن: ٣٦ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: العبابدة

العمل الأساسى : يعمل أرزقى مع التجار

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ابنان

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين - البحر الأحمر

الأسرة: العبابدة

الأعمال الإضافية: أجير لدى راعى إبل

الحالة التعليمية: يقرأ ويكتب بسيط جدا

إخبارى رقم : (٣٢)

اسم المصدر: كرار

السن: ٢٢ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: العباددة

العمل الأساسى : صياد

الحالة الاجتماعية: أعزب

اسم الشهرة: كرار

النوع: ذكر

محل الإقامة: عزبة الصول

الأعمال الإضافية: تجارة السمك

الحالة التعليمية: الخلوة

إخبارى رقم : (٣٣)

اسم المصدر: محمد طاهر

السن: ٢٥ سنة

مكان الميلاد: جبل علبة

القبيلة: العباددة

العمل الأساسى : راع

الحالة الاجتماعية: غير متزوج

اسم الشهرة: ابن القبيلة

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الشويمباب

الأعمال الإضافية: تجارة

الحالة التعليمية: فى ثانية ثانوى

إخبارى رقم : (٣٤)

اسم المصدر: أمنة على

السن: ٣٥ سنة

مكان الميلاد: شلاتين

القبيلة: العباددة (الشويمباب)

العمل الأساسى : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها ٥ أطفال

اسم الشهرة: أمنة ابنة شيخ القبيلة

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: المحمدية

الحالة التعليمية: أمية

إخبارى رقم : (٣٥)

اسم المصدر: مدينة محمود

السن: ٣٠ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: العباددة (الشويمباب)

العمل الأساسي : ربة منزل
 الحالة الاجتماعية: متزوجة ولديها ٥ أولاد
 اسم الشهرة: الزوجة الثانية لشيخ القبيلة
 النوع: أنثى
 محل الإقامة: الشلاتين
 الحالة التعليمية: أمية
إخبارى رقم : (٣٦)
 اسم المصدر: فرج الله ناصر
 السن: ٢٥ سنة
 مكان الميلاد: بئر الجاهلية
 القبيلة: العبابدة
 العمل الأساسي : راع
 الحالة الاجتماعية: غير متزوج
 النوع: ذكر
 محل الإقامة: الشلاتين
 الأسرة: العبابدة الفراجات
 الأعمال الإضافية: أعمال أخرى.
 الحالة التعليمية: أمى
إخبارى رقم : (٣٧)
 اسم المصدر: الشيخ حسن محمد النجار
 السن: ٥٨ سنة
 مكان الميلاد: بئر الجاهلية

القبيلة: العبابدة
 العمل الأساسي : شيخ بدنة
 الحالة الاجتماعية: متزوج
 النوع: ذكر
 محل الإقامة: الشلاتين
 الأسرة: الفراجات
 الحالة التعليمية: (خلوة)
٣. بطاقات الرشايدة:
إخبارى رقم : (٣٨)
 اسم المصدر: عامر على عطية الله
 السن: ٢٩ سنة
 مكان الميلاد: الشلاتين
 القبيلة: الرشايدة
 العمل الأساسي : صاحب إبل وأغنام
 الحالة الاجتماعية: متزوج
 النوع: ذكر
 محل الإقامة: الشلاتين
 الأسرة: الدويميني
 الأعمال الإضافية: تجارة
 الحالة التعليمية: يعرف القراءة والكتابة
إخبارى رقم : (٣٩)
 اسم المصدر: محمد سليم

السن: ٢٧ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: الرشايدة

العمل الأساسي : معلم

الحالة الاجتماعية: أعزب

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الدويميني

الحالة التعليمية: متعلم الصف السادس متوسط

إخباري رقم : (٤٠)

اسم المصدر: سالم مبارك سويلم

السن: ١٣ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: الرشايدة

العمل الأساسي : الرعى

الحالة الاجتماعية: أعزب

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الرشايدة

الحالة التعليمية: يقرأ ويكتب

إخباري رقم : (٤١)

اسم المصدر: مبارك سويلم

السن: ٥٥ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: الرشايدة

العمل الأساسي : الرعى

الحالة الاجتماعية: متزوج

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الرشايدة

الحالة التعليمية: أمي

إخباري رقم : (٤٢)

اسم المصدر: أحمد حميد العمدة

السن: ٥٠ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

العمل الأساسي : تاجر إبل وبهائم

الحالة الاجتماعية: متزوج

اسم الشهرة: حميد العمدة

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الرشايدة

الحالة التعليمية: يقرأ ويكتب بسيط

إخباري رقم : (٤٣)

اسم المصدر: محمد مبارك محمد

السن: ٦٠ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: الرشايدة

العمل الأساسي : الرعى

الحالة الاجتماعية: متزوج

اسم الشهرة: —

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الرشايدة

الحالة التعليمية: أمي

إخباري رقم : (٤٤)

اسم المصدر: عايدة عيد

السن: ٢٥ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين

القبيلة: الرشايدة

العمل الأساسي : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: متزوجة

اسم الشهرة: عايد

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الرشايدة

الحالة التعليمية: أمية

إخباري رقم : (٤٥)

اسم المصدر: سلمى سليم عطية الله

السن: ٥٠ سنة

مكان الميلاد: الشلاتين - البحر الأحمر

القبيلة: دويميني

العمل الأساسي : ربة منزل

الحالة الاجتماعية: متزوجة

اسم الشهرة: سلمى

النوع: أنثى

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الرشايدة

الحالة التعليمية: أمية

إخباري رقم : (٤٦)

اسم المصدر: محمد سليم حامد

السن: ٢٢ سنة

مكان الميلاد: السودان

القبيلة: الرشايدة

العمل الأساسي : تاجر

الحالة الاجتماعية: أعزب

اسم الشهرة: محمد سليم

النوع: ذكر

محل الإقامة: الشلاتين

الأسرة: الرشادة

الأعمال الإضافية: التجارة بالسوق مع التجار

الحالة التعليمية: الابتدائية

الملحق الثاني

قاموس مبسط للغة التبادلية

١. أدوات الحياة اليومية (الأدوات المنزلية)

عربي	رطانة
معيار لوضع الماء لإعداد القهوة	شَرَقَرَقْ
هون لدق حبات البن	فنيكو
صحن لتناول العصيدة	كُوبَاتْ
أداة لعجن العصيدة	المفراك (كوشنْ)
قاعدة العجين	لَوَاهِيدْ
صحن خشبي صغير لقلى البن	تومؤى
إناء الجبنة المصنوع من الفخار	ودائيتْ
إناء الجبنة المصنوع من الفخار بزخرفة	الماهيْتْ
إناء الجبنة المصنوع من الألومنيوم	كاسارُونيتْ
مبيت للجبنة لحفظ الجبنة من الكسر	جَبِنَاتْ فُوْ
إناء للطهي من الفخار	تُومْ أوى
ملاعق صغيرة لأكل البليلة	مؤيتْ
ملاعق كبيرة	مؤى
عصا لهز أغصان الأشجار لإسقاط الثمار	تُ مَهْرَقْ
الرشف من فنجان الجبنة	رَوَيْتْ
المراحة	تُورى
مقداحة النار	نقاد
حجر المراحة	تيولاب من حجر البازلت الأسود

دَقِينَاتُ أَوَانِي الطَّبِيخِ

تَوًّا

كَلْهُوتُ

كَلِيوتُ

مَمَرَّةُ

تَ مَارِ اتَنْكويكو

كَيَايَ

مكان لتجهيز الطعام (مشعل)

إِنَاءٌ مِنَ الْفَخَّارِ

إِنَاءٌ الْهَجِينِ

إِنَاءٌ الْبَلِيلَةِ

فرشة للدقيق أثناء الطحن

تجهيز الطعام

طين (خاص لصنع الأواني الفخارية)

٢- منتجات السعف

رطانة

أَمُولْتُ كَفَلْ

تَر

أَنُور

سِيلِيلْنِيَت

أَقُولْتُ

عَنْجَرِيْبُ (أَوْتَال)

هَسَالْ

تَرُوْ

تُوَيْشْ

تُ أَرَارَة

عربي

أواني الحليب

لتنقية الذرة

حبل الدلو

المصلاية

إناء لحلب الجمال

سرير

مقود الجمال يصنع من الحبال

قيد الجمال من الجلد

جراب للذرة

أكياس لحفظ الذرة

٣- المنتجات الجلدية

رطانة

عربي

دلو لرفع المياه

مخال مزخرفة تحمل على الجمال

فرش الجمال للزينة

زينة رأس الجمال

جراب لحفظ النقود يوضع حول الخصر

لحفظ النقود للنساء

جراب جلدي كبير

القربة

الدلو

حزام لربط سرج على الجمال

حزام عريض يرتديه الرجل ويضع فيه

خنجره

دوركاتُ

امكيت

ت أُرْس

هسكاتُ

كمار

تء كيس

مسود

إِسْر

ت دركو

مَارَبِيْبُ

أَحْب

٤- المصطلحات الخاصة بأجزاء المسكن

وتكوينه من الخارج ومحتويات المسكن من الداخل

رطانة

عربي

ركائز المسكن

الشعبة الأمامية

الشعبة الخلفية

أربعة أوتاد

البروش

الجزء الخارجى من البيت

هُمْرُ

قُوْتُ

رادايتُ فُ

قسن

باد

تيفُ

تُ مهسير
بأديب
دلُّك
هلس
تمبأس
مشكيت
تُ ساكو
مترأس
ترة قود (خصوصيات الرجل)
اليك
أتف
تيف، الجزء الأيمن: مى قود
أماجيت
(شَقَتْ)
إمبأ دس
هَلْكَ
هَيْش
ت هَبَر
مسور

الحصير
الحصير المصنوع من الجريد
لحاف
غطاء من الصوف (مفروشات العروس)
الوسادة
برش مزين
قطعة من السعف مزخرفة بالجريد
والودع لزينة المنزل
وسادة من الخشب المنحوت للرأس
الجانب الأيسر من البيت
العريشة (المضفية)
العريشة والأشجار من أغصان الأشجار
الجزء الخاص من البيت
السريـر الكبير
البيت البرش الصغير الذى يسكنه
الأطفال أبناء الأسرة فى سن ٦ سنوات
نسج البرش
أداة خشبية لتثبيت البروش فى بعضها
البعض
يضفر البروش
الستارة الأمامية (من الودع وخيوط
الصوف)
الجراب الذى تخزن فيه الأشياء الثمينة

320

٥. المصطلحات الخاصة بالأسلحة البجاوى

عربى	رطانة
جميع الأسلحة تسمى	تين فـدق
السيف	مَادَد
السيف المزين بالفضة والحديد	أوكار
السيف الطويل ذو النجمة	سُليمان
سيف به زخرفة على شكل هلالين	أيراب نافيـب
الرمح الحديدى	منكُور
السيف ذو نصل حديد	يُـسريـاى
غمد السيف	ق، برشُم
الدرع ذو قبضة حديد وسميك	كـريـباى يصنع من جلد الفيل
الدرع الأقل سمكا الذى يصنع من جلد	دَشكـاب يصنع من جلد التمساح
الدرع الأكبر حجماً	ايسنتياى يصنع من جلد فرس
عصا للرعى	البحر
عصا طويلة مستقيمة (ضخمة)	كُوليات
عصا قوية الصنع لا تقطعها السيوف	رب كُولى
عصا مقوسة حادة الجانبين تصنع من	زُونَة
شجر السلم	بليل

321

ثيابى	هَلْكَائى
سلحفاة وأداة تعريفها أدركواهل	دركواهل
حذاء	قى دَأْتُ
قدح خشبى	كوب
نبات القرع	بُوالُ
سرير العنجريب المصنوع من السعف	نأل
أودية صغيرة	روء
سعف الدوم	أكايت أَنْقُو
الحجر العلوى للرحى من البازلت	إنتيو
قل ما عندك	تْ إيسيتك هديدا
حضور شخص	إيباب كيكُ
لم يأت	نانا تيب إبيتتاوا
لماذا جئت ؟	أهول واينيب ؟
العام القادم	ت مسْ تِ إستنيثْ
المرأة التى ترمى الودع	إبتْ سادرُ
اقتفاء الأثر	بروو أَابْ إكتيينُ
صغير الماعز والحملان	اب أوأبابْ أْكول
صباح الخير	لبيبا ماتانا
سر نحو الجبال	تُونْ بريسكْ دَأْ إش
صباح هادئ	كوتى ماتانا
أهلا بكم	إتيانينا

رطانة	٦.الخناجر	عربى
هَنْجَر	الخنجر ذو المقبض الأبنوسى ورأس	
هُوسْتْ	مقوس	
شُوتَال	خنجر صغير وأقل تقوساً	
	خنجر ذو رأس ضخم ونصل مدبب	

٧. قائمة ببعض الألفاظ باللغة التبدائية فى منطقة الشلاتين وهى اللغة المستخدمة لدى قبيلة العباددة والبشارية الذين ينتمون إلى قبيلة البجة

رطانة	عربى
(أَوْقُو)	تعنى البيت
أو أوكَامْ	توكام - الجمل الناقة
لُولُ	الحبل المستخدم فى الدلو
كفلُ	إناء من السعف لحلب النعاج
أهاشى	تراب الوطن
(تْ أَوْرُ)	بنت (مات)
تْكُ	رجل
أَوْزُ	ولد
هلك	ثوب

رعاة الإبل	امشار	المصافحة بالأيدي	تُوشوبُ
رعاة الغنم	إباتيق	تحية النساء	تُ رَحْبُ
الصيد	تُؤلن	السؤال كلا عن الآخر	دبى دلهيتُ
صلاة ليوم تكريم الإبل	كَمَتِيتُ سليل	التقبيل	هُوى فَوْتُ
سعادة	لُباب	ممسك الدرع	يسمى أدل
نبات العشر	برسُ	الرقص المصاحب بالدرع	يسمى أدر، والرقص (أرد) بمعنى
عبارة تقال عند الفرحة	لُول هل	السيف والرقص بالقفز بالقدم	يقفز
ارتوى بالماء	رئى	ممسك بالخنجر	بيبُ
اجلب الماء من البئر	شَهَتْ، أو أَسْل	الممسك بالعصا الخشبية	أد إيرُ - أدير
يجمع أخشاب الوقود	هنديبُ بيات كوز	عقرب سام	أذُ
		لحاء شجر	أذيدُنُ
		بقايا الطعام فى الصحن	أف، أو أدفتُ
		شجر الدوم	تَ أَكُ
		هل أنت متعافٍ؟ سؤال عن التحية	أفيمَاوا
		الصحة والعافية	أفى
		الشخص الفرّح	أفرْهسى
		الشخص كبير السن	إبقرَمُ
		الشخص الهرم	إبقرَمُ تك إك
		مسكن من الخشب والبروش	بذايقو (فو) البيت
		يستيقظ من النوم	سبَارُ

٨ بعض المصطلحات الخاصة بالأزياء والتزين «الخاصة بالعروسين»

عربى	رطانة
القميص (الجلباب الطويل)	قَمِيسُ أو (عراقى)
السروال (البنطلون)	سِرْبَادُوبُ
الصدىرى	سديرُ
شال الرأس الأحمر للعريس	إِسْبِيبُ (أدُوبُ)
الشال الذى يلف حول الوسط والصدر	(هَلُوبَابُ)
للرجل	توبُ أَوْفُودُ أَتُ

الخلال لتمشيط الشعر ذو ثلاثة أسنان
السوار الذى ترتديه المرأة الرشايدية فى
أعلى الذراع
خيط من الجلد يستخدم لربط عقد
السوميت
الزواج
المرأة حديثة الزواج
الخطبة
الطلاق
التعويض للزوجة المطلقة
مجموعة من السعف
القراية
جد الأم، أوالأب
جدة الأم، أو الأب
عم أو خال
تضفير شعر العروس
اليوم الأول للزواج عند العبايدة
اليوم الأول للزواج عند البشارية
اليوم الثانى للزواج
اليوم السابع
عقد القران

327

دَمْلُج
بِيَّاي
دُوبَانْ
قَيِّ دُوبَانْ
سيليليتْ (أمسيتْ)
فدِقْ
لبُوبْ
سَنَكُوبْ
أَبْيَايتْ
هُوبْ
أهوتْ
دُوو
تَمَهُدْ يقود هُولِبْ
الفرطْة
يُوم السُنكُوبْ أو تمبرت
سمكاي أُرُوبْ
سمايْة
أوسف
تمنيتْ (متلاويب)
كُويتْ

تَلْ أوت سُول
مرواجْ
زِمَامْ (تِلْهافاي)
حَبْشِيَّة
كُوليل
مسكاتْ
شفْ
تلال أو ترال
عقد السُوميتْ خوفا من مشاهرة
العروس
إذنْ
فَذَانْ
أَلَمْ
أَلَامْ
بَهْرْ
امبَاذِبَهْرْ
تقوياتْ
كى دأت، قرب كَتُوْ
ايوداي هالال(يصنع من التتيل
ويحلى بالفضة)
مِهِنْ تَت ويصنع من الخشب

326

(الودك) لتزيين رأس العروس

المهر

ضريرة

رقص الرقبة للسيدات

بركات كُھوك تكت

شحم مغلى

أل

مسحوق من جذوع الشاف

أل

(دعاء) بأن العروسين يغمهما البركة

بريم

رقبة

حبة الخرز

الحزام للمرأة

٩. المصطلحات الخاصة بزينة الجمل

رطانة

عربي

هرج

جراب للجمل خاص بالمحتويات

الشخصية للبدوى

كيشويات

مخلاة من القماش (جزء من عدة الجمل)

أودو

جزء من الهودج مزين بالصدف والودع

باسوور

سرج الجمل

فارتيت

حزام سرج الجمل

إينيس

مساند الجمل

ت مبرر

جزء يوضع على عنق الجمل لزيئته

ت أرس

فرش الجمل يوضع فوق السرج (يصنع

من فروة كثيفة الصوف والجلد)

328

بيضة

الجمل الصغير

هيئيب

جمل عمره أربع سنوات

مشكوريب

جمل ذو خمس سنوات

ملكوريب

جمل ذو ست سنوات

١٠ آلات الغناء والرقص

رطانة

عربي

الأمبيلهُويت

الناي

الباسنكوب

قيثارة (طنبورة)

الكبور

الطبله

الدلوكة الكبيرة

الطبله الكبيرة

١١. بعض الألفاظ المرتبطة بمعطيات البيئة

رطانة

عربي

بوور - بووت

أرض

بر

سما لمتمطر

أفرد

سحابة

أمس أووير رآواب

سما صافية

اللا بباركهوك ووبر

يبارك الله فى المطر

دمان

المناخ

برام

الهواء أو الطقس

329

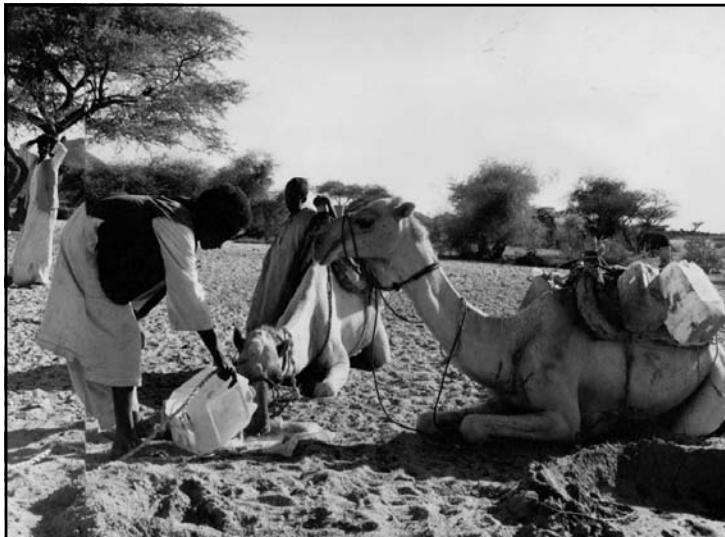
الظلام	تَبِنُ
حجر لإشعال النار	تَنَادُ
هلال	تَرَقُّ
الذبح أو الأضحية	هُرُودُ
غروب الشمس	تَوَوِينُ ذَبْتُ
الشمس الحارقة	بُوبُ
الأودية الواسعة	أَدَمَرَاءُ
وادي ضيق صغير	دَمَرُ
بئر	رَبِيتُ
الصحراء	سَبُوتُ
السحاب	سَهَابُ أَوْ (سَابُ)
الشتاء	وَيَابُ
ساحل البحر	شَلَكُ
ممر بين جبلين	فَرَأْتُ
حفرة	دَنُوبُ
فترة ما قبل الشروق	كُرُومُ
الربيع	بَهَسَ
الخريف	أَيْمُ
البرد الشديد	أَرَكَلُ
المطر	سَيْفُ
رمى الودع	سَارْدِيبُ
عندما تأفل نجمة فى الأفق	إِبَابُ هَاكُولُ
نجم	هِيوكُ
النجم الذى يجمع اللبن فى الضروع	أَمْدَوَيْتُ هِيُوكُ
المشى لقضاء الحاجة	سَاتِيذَأْسَاءُ

ملحق الصور الفوتوغرافية

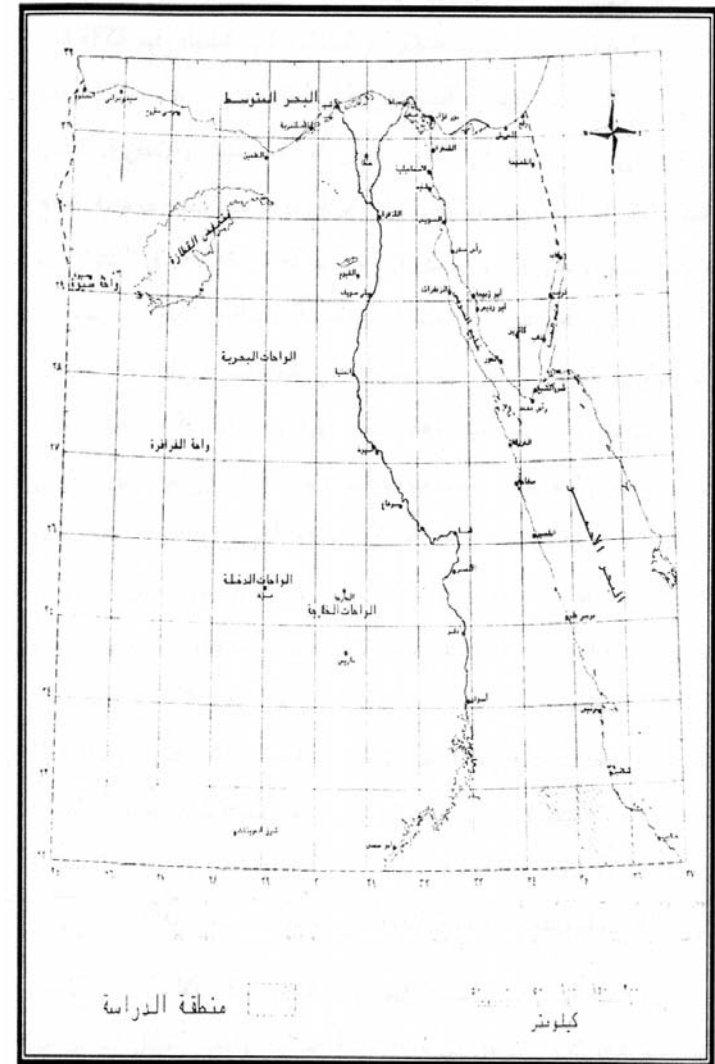




335



١٦٨



334



337



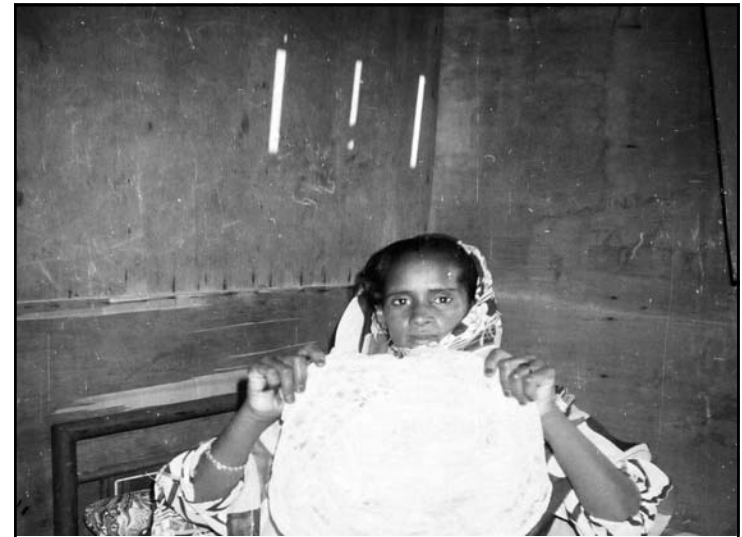
336



339

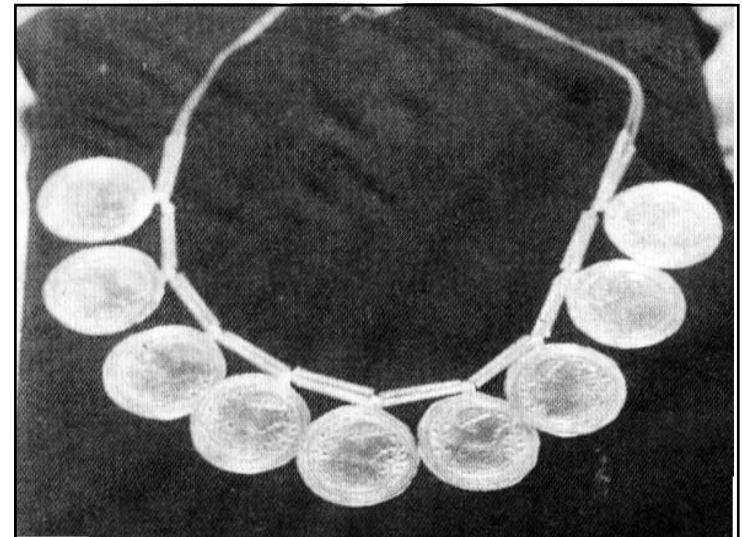


338





341

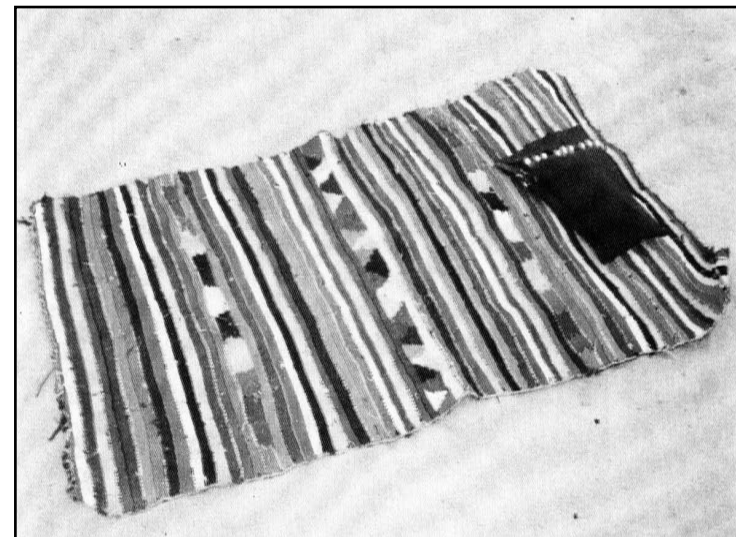


340

للنشر فى السلسلة :

- * يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء . ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن .
- * يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
- * السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طبع الكتاب أم لم يطبع .

343



342

صدر مؤخراً فى سلسلة
مكتبة الدراسات الشعبية

- 112- الأمثال الشعبية الجنوبية (قنا نموذجاً)..... كرم الأبنودى
- 113- حدث فى بدء الخليقة..... ترجمة : غادة عبد المنعم
- 114- الشخصية المساعدة للبطل د. مصطفى جاد
- 115- حكايات شعبية مصرية جمعها : أحمد محمد عبد الرحيم
- تقديم : د. نبيلة إبراهيم
- 116- تربية الطفل فى الفولكلور..... د. أميمة منير جادو
- 117- قصة الزير سالم الكبير سيرة شعبية
- 118- كليله ودمنة تأليفاً لا ترجمة د. محمد رجب النجار
- 119- فى الفولكلور القبطى..... روبرت الفارس
- 120- الأغنية الشعبية د. مجدى محمد شمس الدين
- 121- أشكال الغناء الشعبى فى الشرقية..... حامد أنور